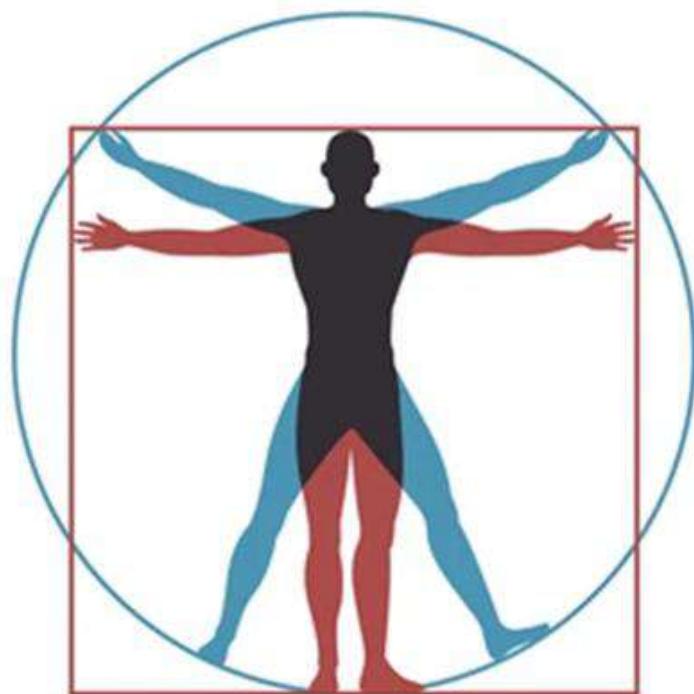


الطب  
بنجية

أدب



كتاب يقارب الأمراض الشائعة

د. غفار محمد

**الطب بنكهة أدبية ...**

## الإهداء :

إلى كل من لا يرى في المرض وصمة أو  
عاراً ، بل جزءاً من تكوين الحياة يعلمنا  
الصبر و يترك فينا أبلغ الدروس قبل أن  
يرحل . . .

**الطب بنكهة أدبية ...**

## محتوى الكتاب :

- ارتفاع ضغط الدم ( القاتل الصامت )
- الداء السكري ( السم بالعسل )
- القصور الكلوي ( المصفاة لا تعمل )
- أمراض الجهاز التناسلي الذكري ( ميراث السنين )
- أمراض الجهاز الهضمي ( ما يدخل إليك .. يظهر عليك )
- أمراض القلب ( عطل في المضخة )
- أمراض الجهاز التنفسي ( ما بين شهيق و زفير )
- أمراض الغدد الصماء ( أصمّ يسمع كل شيء )
- أمراض الجهاز التناسلي الأنثوي ( الوردة و الأشواك )
- أمراض الجهاز العصبي ( روق أعصابك )
- أمراض الجهاز الحركي ( بحث مفصلي )
- أمراض العين و الأذن و الجلد ( فوضى الحواس )
- أمراض الأطفال ( رسوم متحركة )
- التوليد ( يصوركم في الأرحام كيف يشاء )
- أمراض الجراحة ( المبضع مفتاح الأسرار )
- أمراض نفسية ( صرخة روح )
  - ❖ ملحق ( مغالطات طبية )
  - = السرطان ( تيلوميراز )
  - = الوجه الآخر للطب ( إغماء ستندال )
  - = ترويض النفس ( فرويد الخيال )
  - = بيکاسو الأمراض ( الطب بالألوان )
  - = شخص مريض بنفسك ( من العرض تعرف المرض )
  - = بردية فيزاليوس ( مشرط حجري )

**الطب بنكهة أدبية ...**



ارشاد فصل الالم

(السائل الهاجم)



هناك قوة خفية تجري في عروقنا، لا تُرى بالعين ولا تُحس إلا حين تشد قبضتها على القلب فجأة، لتخبرنا أن **الجسد ليس مجرد آلة، بل مرآة لكل اختياراتنا وأفكارنا**. هذه القوة هي **ضغط الدم** ، النهر الخفي الذي يمد كل خلية بالحياة، وفيه سرّ وجودنا واندفاعنا نحو كل لحظة. لكنه، إذا تجاوز حدوده، يتحول إلى قاتل صامت، يسكن بين تفاصيل الحياة اليومية، يراقبنا بصمت حتى يحين وقته ليعلن نفسه بلا رحمة .



ضغط الدم هو رقصة دائمة للقلب بين الانقباض والانبساط ؛ نبضة تحرك الحياة تعقبها لحظة هدوء تسمح للأوعية بالتنفس. عندما يتجاوز ضغط الدم في الأوعية أثناء انقباض القلب **120** ملم زئبق، أو ضغطه أثناء انبساط القلب **80** ملم زئبق، يكون الجسد قد أرسل إشاراته الأولى، صرخات خافته تخبرنا بأننا نحتاج للتوقف والتأمل. وإذا تجاوز الانقباضي عتبة

**140** أو الانبساطي عتبة **9**، أو انحرف الانقباضي منفرداً عند كبار السن، يصبح ذلك بمثابة جرس إنذار، يرنّ في صمت، يحذر من أن الرحلة لم تعد آمنة كما كانت.



أسباب القاتل الصامت متشابكة كخيوط القدر، بعضها ولد معنا منذ أبصرنا النور، وبعضها نصنعه كل يوم. الأسباب الأولية تتخفي في الوراثة، السمنة، العمر، **نمط الحياة المرهق، والتوتر النفسي المستمر**. كل وجبة مالحة، كل ساعة بدون حركة، كل شعور بالغضب أو القلق، يضيف طبقة إلى هذا الجدار الخفي الذي يضغط على القلب والشرايين. أما الأسباب الثانوية فهي أكثر وضوحاً لكنها أقل شيوعاً: **أمراض الكلى**

**المزمنة، اضطرابات الغدد، أو أدوية نأخذها دون وعي، فتأتي العواقب كأنها رسائل من المستقبل تحذرنا من إهمال الذات.**

ورغم كل هذا، غالباً لا يظهر المرض بأعراض واضحة. الصداع في مؤخرة الرأس هو إنذار خافت، الدوار يطرق الباب كتحذير من اختلال التوازن بين الداخل والخارج، ضيق التنفس وكأن القلب يطلب لحظة للتوقف، وخفقان القلب المتتسارع يصرخ للحذر. لكنها غالباً تبقى مجرد همسات لا يستجيب لها الإنسان ويعزيها لأسباب أخرى كالتعب والإرهاق والقلق، حتى تأتي لحظة تظهر فيها مضاعفات قوية : ألم الصدر، ضعف أحد جنبي الجسم، تشوش الرؤية، كأن الجسد فجأة يصرخ بصوت متهدّج لا يمكن تجاهله.



التشخيص هو رحلة إلى أعماق الجسد، رحلة لاكتشاف ما وراء الأرقام والأجهزة. القياسات المتكررة للضغط تكشف الأنماط الخفية ( يشترط قبل كل قياس تجنب التدخين و الكحول و المنبهات ، مع تفريغ المثانة ، و الاسترخاء لمدة **5** دقائق قبل القياس ، وأن يكون الذراع المقاس بمستوى القلب تماماً ) ، وأجهزة المراقبة على مدار **24** ساعة تكشف ما تخفيه اللحظات العابرة.

تحاليل الدم و البول تكشف تأثير المرض على الكلى و الشحوم و السكر ، و **تخطيط القلب** و الإيكو يظهر كيف يؤثر الضغط على العضو الذي يدفع الحياة في كل نبضة. أحياناً نحتاج لتصوير الكلى والأوعية إذا شكنا بارتفاع ثانوي، لتصبح كل صورة نافذة تطل على أسرار الجسم الداخلية.



العلاج يبدأ من الوعي بالوجود نفسه. تغيير نمط الحياة ليس مجرد نصيحة، بل إعادة للحياة إلى توازنها

ال الطبيعي : تقليل الملح، تناول الخضروات والفاكهه والحبوب، الحركة اليومية، فقدان الوزن الزائد، تجنب التوتر النفسي، والابتعاد عن التدخين والكحول. كل خطوة هنا هي رسالة منك للجسد تقول : ( أنا أهتم بك، وسأحميك من القاتل الصامت المترbus بك )



وعندما لا تكفي هذه الخطوات، تأتي الأدوية كرفقاء طريق، كلُّ منهم له دوره في تهدئة النهر الهائج : مدرات البول لتخفييف الصوديوم والماء الزائد، مثبطة الإنزيم المحول للأنجيوتنسين وحاصرات مستقبلات الأنجيوتنسين لتوسيع الأوعية، حاصرات بيتا لترويض خفقان القلب، وحاصرات قنوات الكالسيوم لإعادة المرونة للشرايين. كل دواء هو بمثابة كلمة سحرية تحفظ توازن الجسد بين القوة والهدوء.



لكن المرض، إن ترك بلاوعي، يتحول إلى ظل يطارد الحياة. القلب يتضخم، الكلية تتعب، العين ترى بضبابية، والأوعية معرضة للتمدد أو التمزق. كل مضاعفة هنا ليست مجرد حالة طبية، بل درس في الانتباه، صرخة صامتة من الجسد تقول : ( اهتم بي قبل فوات الأوان ) ..

الوقاية ليست إجراءات جامدة، بل فلسفة حياة. وزن متوازن، غذاء نقى، حركة مستمرة، قياس دورى للضغط، ووعي بكل اختيار يومي، كل ذلك يجعلنا نرقب نبضاتنا بسلام، ونستمع إلى لغة الجسد كما نستمع إلى نبوءة حكيم.

ارتفاع ضغط الدم، بهذا المعنى، ليس مجرد صراع مع الأرقام والأوعية، بل صراع الإنسان مع ذاته ومع الحياة نفسها. كل نبضة مرتفعة هي رسالة من الجسد تقول : ( أنت جزء من هذا العالم، وكل اختيار تصنعه يترك أثراً داخلياً وخارجياً ). كما أن الضغط يثقل القلب ويختبر قدرة الشرايين على التحمل، فإن الحياة تضع على أكتافنا أعباء وصراعات، وتعلمنا كيف نوازن بين القوة والضعف، بين الواجب والراحة، بين السرعة والتأمل.

في النهاية، المرض يصبح مرآة لوعي الإنسان : يختبر

صبره، ويدركه بأهمية الانتباه للحظة، ويكشف له هشاشة حياته وقوتها وجوده في آن واحد. تماماً كما يحتاج القلب إلى التوازن بين الانقباض والانبساط، يحتاج الإنسان أن يجد التوازن بين الاندفاع والتأمل، بين السعي والسكينة. ارتفاع الضغط ليس مجرد عائق جسدي، بل رمز للحياة نفسها : للخيارات التي نتخذها، للتوترات التي نحملها، للوعي الذي نختاره بأن نعتني بأنفسنا قبل أن تأتي الصدمات لتجبرنا على التوقف.





الله اكمل

( الله بحال العمل )



في فضاء الحياة الدقيقة، حيث تترافق الخلايا و  
الهرمونات في انسجام مذهل، يظل الداء السكري  
ضيف غامض، يذكّرنا بأن التوازن ليس مجرد فكرة،  
بل تجربة يومية، وأن الجسد بيت هش يحتاج إلى رعاية  
وعي مستمر. إنه المرض الذي يختصر فلسفة (السم  
بالعسل) عبر السهل الممتنع ..



يظهر الداء السكري في أشكال مختلفة، كل واحد منها  
يحمل سحرًا خاصًا وتحديات فريدة. **النوع الأول**، الذي  
غالبًا ما ينتهي بالصغار والشباب، يحدث نتيجة هجوم  
الجهاز المناعي على خلايا بيتا في البنكرياس، فيفقد  
الجسم القدرة على إنتاج الإنسولين تماماً ، الهرمون

الذي يعمل على خفض سكر الدم عبر إدخاله إلى الخلايا كي تستخدمه. في هذا النوع، يصبح الإنسان رهين العطش المستمر، التبول المتكرر، الجوع الذي لا يهدأ، والتعب المزمن. هنا، يصبح الإنسولين رفيقاً يومياً، ومراقبة مستوى السكر بالدم عدة مرات في اليوم ضرورة لحفظ التوازن.

أما النوع الثاني، فهو أكثر مراوغة، يختبئ خلف الوزن الزائد وقلة النشاط البدني، وينشأ غالباً نتيجة مقاومة الجسم لتأثير الإنسولين أو نقص تدريجي في إنتاجه. ترتفع احتمالات الإصابة مع تقدم العمر، مع وجود تاريخ عائلي، أو الإفراط في تناول السكريات والدهون. هذا النوع قد يبقى خفياً لسنوات، حتى تظهر العلامات ببطء، من إرهاق مستمر إلى بطء التئام الجروح، ومن العدوى المتكررة إلى تشوش الرؤية.

هنا، يكون التحكم ممكناً غالباً عبر **تغييرات نمط الحياة**:

النظام الغذائي الصحي، النشاط البدني المنتظم، والحفاظ على وزن مثالي، بينما الأدوية الفموية مثل خافضات السكر الفموية و على رأسها الميتغورمين أو الإنسولين في الحالات المتقدمة تصبح أدوات لإعادة التوازن.

سكري الحمل يظل كضيف مؤقت، يظهر أثناء الحمل نتيجة تغيرات هرمونية تقلل حساسية الجسم للإنسولين،

وقد يزول بعد الولادة، لكنه يترك أثره العميق على الجنين و على الأم أيضاً في المستقبل ويزيد احتمال الإصابة بالنوع الثاني لاحقاً.



تشخيص الداء السكري يتطلب دقة ووعياً، إذ تكشف اختبارات الصيام، التي تقيس مستوى السكر بعد صيام ثمانية ساعات، فإذا وصل إلى **126** ملغراف/ديسيلتر أو أكثر في مناسبتين، عن وجود السكري. ويعطي اختبار تحمل الجلوكوز بعد ساعتين من تناول محلول سكري صورة أوضح، فإذا كان مستوى السكر مساوياً أو أكبر من **200** ملغراف/ديسيلتر، يكون التشخيص إيجابياً. كما يقدم اختبار الهيموغلوبين السكري متوسط مستوى السكر خلال شهرين إلى ثلاثة أشهر، فإذا كان **6.5**

% أو أكثر، يشير ذلك إلى السكري. هذه الاختبارات ليست مجرد أرقام، بل نوافذ على أعماق الجسم، رسائل من خلايانا تحذرنا من اختلال التوازن قبل أن يتحول إلى أزمات جسدية.



أسباب الداء السكري متعددة، كخيوط نسيج الحياة نفسه. في النوع الأول، يمتزج العامل المناعي الذاتي بالوراثة والتأثيرات الفيروسية المحتملة، في حين يرتبط النوع الثاني بالسمنة، قلة النشاط البدني، الجينات، النظام الغذائي غير الصحي، وتقدم العمر. أما سكري الحمل فينشأ نتيجة التغيرات الهرمونية خلال الحمل، وزراعة الوزن المسبق، وعوامل وراثية تجعل الجسم أقل قدرة على استخدام الإنسولين بكفاءة.

أعراض الداء تترجم صمت الجسد إلى لغة محسوسة، فيظهر العطش الدائم، التبول المتكرر، الجوع المفرط، التعب المستمر، بطء التئام الجروح، العدوى المتكررة، وتشوش الرؤية. إنها إشارات من الجسد تدعونا لل الاستماع إليها قبل أن تحول إلى صرخات من الألم والعجز.

الوقاية من هذا الداء ممكنة، خصوصاً النوع الثاني وسكري الحمل، إذا ما عاش الإنسان حياة متوازنة، حيث يصبح النظام الغذائي غنياً بالألياف، الخضار والفواكه، مع تقليل السكريات والدهون المشبعة، والنشاط البدني اليومي لمدة ثلاثين دقيقة على الأقل جزءاً لا يتجزأ من الروتين، والحفاظ على وزن صحي، مع الفحص الدوري للسكر، والإقلاع عن التدخين والكحول. إنها رحلة حياة أكثر من كونها إجراءات طبية، رحلة تأمل في العلاقة بين الجسد والعادات والاختيارات.

المضاعفات المحتملة تكشف الوجه القاسي للسكري عند الإهمال، فتظهر أمراض القلب والشرايين، اعتلال الأعصاب، الفشل الكلوي، مشاكل العين بما في ذلك اعتلال الشبكية، تقرحات القدم، الالتهابات المتكررة، والمشاكل الجلدية والفموية. كل واحدة منها تروي قصة تجاهل رسائل الجسم، وكلها تدعونا إلى الانتباه

والحذر.

العلاج رحلة مستمرة، ففي النوع الأول يصبح الإنسولين علاجاً ثابتاً مع مراقبة يومية لقيم السكر واتباع حمية متوازنة بعيدة عن السكريات والشحوم الضارة وغنية بالألياف ونشاط بدني مستمر، بينما في النوع الثاني تكفي تغييرات نمط الحياة في البداية من تغذية مناسبة ورياضة منتظمة، مع اللجوء للأدوية الفموية الخاضعة لسكر الدم وعلى رأسها الميتفورمين أو الإنسولين في المراحل المتقدمة. أما سكري الحمل، فالحمية الصحية، التمارين الخفيفة، وأحياناً العلاج الدوائي الدقيق تضمن سلامة الأم والجنين.



وفي النهاية، يظهر السكري كمعلم صامت، كمرآة فلسفية، يعلمنا أن التوازن ليس مجرد مفهوم، بل ممارسة يومية فإن اختل .. اختل الجسد برمته، وأن **الحرية الحقيقية هي الانضباط الوعي**، فكل وجبة، وكل خطوة، وكل لحظة عناء بالجسد، هي حل نجاة يخرجنا من فخ السكري المنصوب لنا .. في دروب السكري، نتعلم أن الحياة ليست مجرد مرور الوقت، بل فن رعاية الذات وفهم الأرقام والاختبارات كرسائل من أعماق الخلايا تخبرنا إن كانت بخير أو بحاجة للمسة حنان و قليل من الرعاية و الاهتمام ..

هذا هو الداء السكري ببساطة .. عندما يصبح العسل مسموماً و يودي بحياتك ..

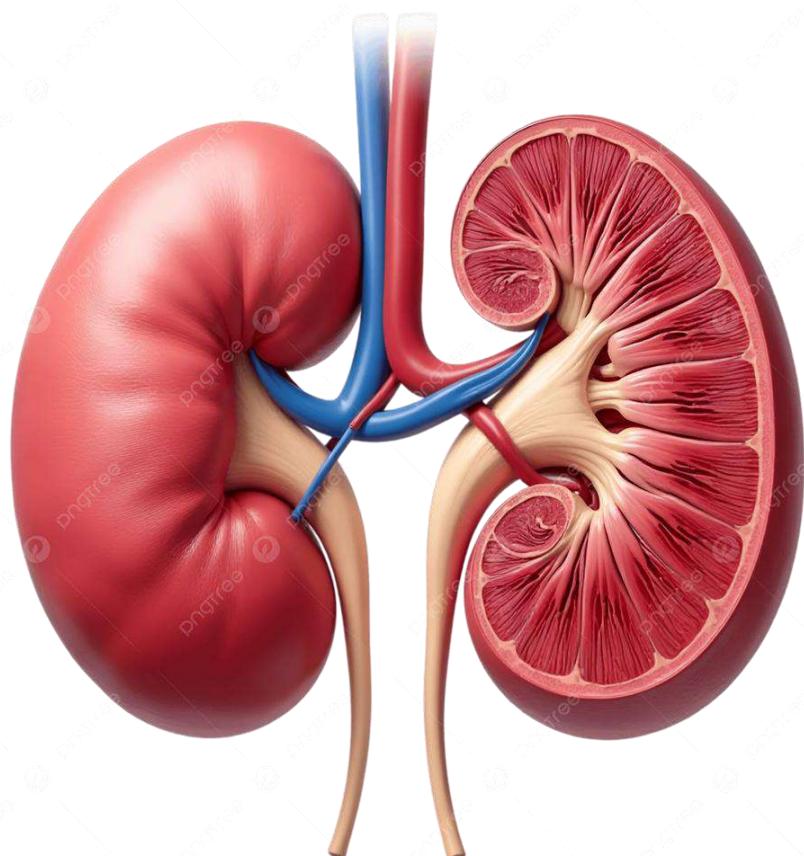


القهر الكوني

(المصافحة لا تُعمل)



في جسد الإنسان، ثمة عضو يعلم بصمت، متوازٍ في عمق الخاصرتين، كأنّه ناسك في معبد الجسد، يصفّي الدم من شوائب الحياة دون أن يطلب شكرًا. إنّها الكلية، تلك الحارسة الخفية التي تزن الماء والملح والدم، وتحافظ على نقاء الداخل كما يحافظ البحر على توازنه بين المد والجزر. وحين تتعب الكلية أو تصاب بالوهن، تختل موازين الجسم كلها، ويبداً ما يُعرف بالقصور الكلوي، ذلك المرض الذي لا يعلن حضوره بعاصفة صاحبة بل يتسلل ببطء، كما يذبل الينبوع حين تُحجب عنه منابع الماء.



القصور الكلوي، في جوهره، هو تراجع قدرة الكليتين على أداء وظيفتهما الطبيعية في تنقية الدم وتنظيم

سوائل الجسم وأملاحه. و حين تتوقفان عن العمل كما ينبغي، تبدأ الفضلات السامة التي ينتجها الجسد يومياً بالتراكم في الدم، فتغدو الخلايا في فضلاتها كحاوية قمامية ممتلئة. لا يقتصر دور الكليتين على التصفية فحسب، بل هما شرفاً على توازن ضغط الدم، وتساهمان في إنتاج خلايا الدم الحمراء، وتضبطان معدلات الكالسيوم عبر إنتاج فيتامين D. لذلك، حين يصيبهما خلل، تتداعى المنظومة كلها، ويبداً الجسد رحلة قاسية في محاولة استعادة توازنه المفقود.



هذا القصور لا يأتي دائمًا على هيئة واحدة. فهناك من يأتي فجأة، كما ينهار سدّ بعد عاصفة، وهو **القصور**

**الكلوبي الحاد**، الذي يظهر خلال ساعات أو أيام قليلة نتيجة حدث طارئ يُفقد الكلية قدرتها على الترشيح مؤقتاً. وهناك من يتسلل ببطء، قطرة بعد قطرة، على مدى سنوات، فيتآكل النسيج الكلوبي تدريجياً حتى يصل إلى فشله الكامل، وهو **القصور الكلوبي المزمن**. الأول قابل للشفاء إن أدرك مبكراً، أما الثاني فهو كالنهر الذي غير مجرى، لا يعود إلى ما كان عليه، وإن أمكن تهدئة اندفاعه أو إبطاء مساره.



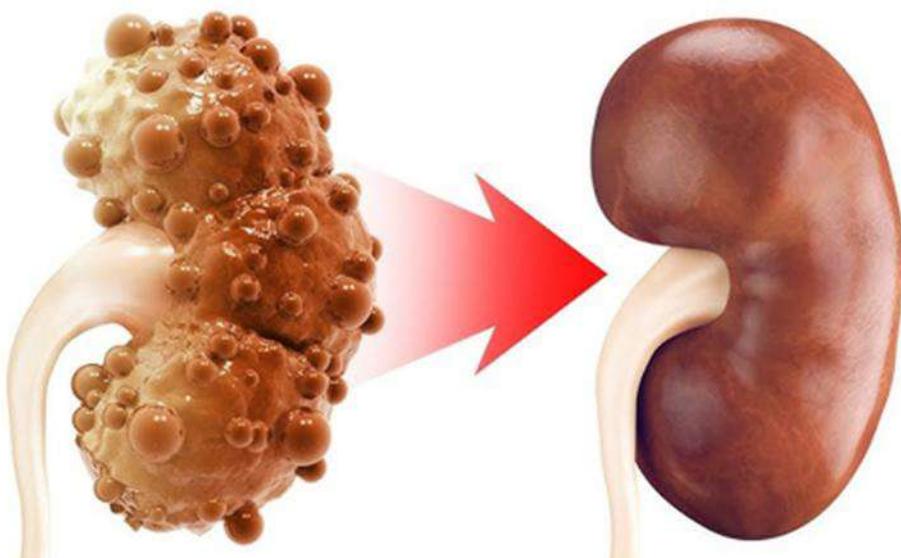
ولكلّ نوع أسبابه التي تشبه خيوطاً متتشابكة بين ما قبل الكلية وما بعدها. فقد يكون **الخل في تدفق الدم إليها** حين يقلّ جريان الدم نحوها بسبب نزيف شديد أو جفاف قاتل أو هبوط في ضغط الدم، أو حين يتراجع القلب في مهمته، أو حين تعبث بعض الأدوية بتوازن تدفق الدم في شرائينها الدقيقة. وقد يكون **السبب في نسيجها ذاته** حين تشتعل فيها التهابات الكبيبات أو الأنابيب، أو حين

تهاجمها المناعة خطأً كما يحدث في داء الذئبة الحمراء، أو حين تضيق أو عيّتها أو تُسد بالجلطات. وربما يكون **الخلل بعد أن تؤدي الكلية عملها**، عندما يُسد طريق البول الخارج منها بحصاة أو ورم أو تضخم في البروستات يمنع انسياپ ما صفتة من سوائل وسموم، فيرتد السيل إلى منبعه مدمرًا ما يلقاه في طريقه.



لكن أكثر أسباب القصور المزمن شيوعاً هي تلك التي تنشأ من أمراض العصر الصامتة: **داء السكري** وارتفاع **ضغط الدم**. فالسكر الذي يفيض في الدم لا يكتفي بتخریب الأوعية الكبیرى، بل يتسلل إلى أوعية

الكلية الدقيقة فيخنقها ببطء، فيما يرافق ضغط الدم المستمر تلك الشعيرات حتى تنهك وتضعف. وهناك أمراض أخرى تصيب الكلية لا تقل خطراً، كالتهابات الكلى المزمنة، **التكيسات الوراثية**، استخدام المسكنات والمضادات الحيوية بلا رؤية، إضافة إلى **الانسدادات البولية المهملة** التي يجعل الكلية تعمل ضد نفسها.



## الكيسات الكلوية

وتتجلى أعراض الفصور على الجسم كما تتجلى ظلال المرض على وجه الأرض العطشى. في **الفصور الحاد**، ينقص البول فجأة أو ينقطع، ويتوتر وجهه والساقان من احتباس الماء، ويغزو الجسم تعب شديد وغثيان وقيء، وتضطرب نبضات القلب حين يختل توازن البوتاسيوم في الدم، وقد يبهت الوعي نفسه إن ارتفعت السموم حداً لا يُحتمل. أما **الفصور المزمن**، فقصته أطول وأشد خفاءً: تعب دائم لا تفسير له، شحوب كالرماد نتيجة فقر

دم سببه توقف الكلية عن إفراز الهرمون الذي يأمر  
نخاع العظم بإنتاج الكريات، حكة تلسع الجلد في  
صمت، انتفاخ في الأطراف، ضيق في النفس حين  
تجمع السوائل في الرئتين، صداع مزمن لا يرحل،  
ارتفاع في ضغط الدم يزيد الطين بلة، وطعم معدني  
يملأ الفم، كأن المراة تسكن في النفس لا في اللسان.

حين يشك الطبيب في القصور الكلوي، يبدأ رحلة بحث دقيقة في جسد المريض، تبدأ بالعين وتنتهي بالمجهر. ينصلت إلى الجسد، يلمح التورم، يقيس ضغط الدم، يتحسس الجلد بحثاً عن الجفاف، ثم يطلب من المختبر أن يتحدث بلسان الأرقام. هناك، تُقاس نسبة الكرياتينين والبيوريا في الدم تلك الفضلات التي تطرحها الكلية عادةً فتكون هنا مرتفعة ، ويُفحص البول بحثاً عن البروتين أو الدم أو الخلايا الغريبة. يُحسب معدل الترشيح الكبيبي، ذلك المؤشر الذي يكشف مدى قدرة الكلية على تصفية الدم. وتقاس مستويات الصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم والفوسفور، إذ يكفي اضطراب بسيط فيها ليقلب التوازن رأساً على عقب. وإن احتاج الطبيب أن يرى ما وراء الصمت، أرسل صوتاً عبر الأمواج فوق الصوتية ليرسم صورة للكلى في أعماق الجسد **بالإيكو** ، يقيم حجمها وشكلها، ويبحث عن انسداد أو تكيس أو ورم، وربما لجأ إلى التصوير **القطبي** أو **الرنين المغناطيسي** أو **أخذ عينة صغيرة من**

نسيجها تُفصح عن حالها تحت المجهر.



وإذا لم يُتدارك الأمر، فإن هذا القصور يتحول إلى سلسلة من المضاعفات التي تمتد إلى كل زوايا الجسم.  
**فقر الدم** يزداد عمّقاً، و **العظام** تضعف حتى تكاد تتكسر من عبء الفوسفور المترافق ونقص فيتامين (د)، و **ضغط الدم** يعلو فوق السيطرة، و **القلب** يتعب من مقاومة السوائل المحتبسة، و **الرئتان** تفيضان بالماء، و **الأعصاب** تصرخ في صمتها، و **الجهاز المناعي** يذبل، فيصبح الجسم سهل الغزو من أبسط عدو. وفي النهاية، إن ترك المرض من دون علاج، يفيض السم في الدم حتى يصبح **الغسيل أو الزراعة** سبيل البقاء **الوحيد**.

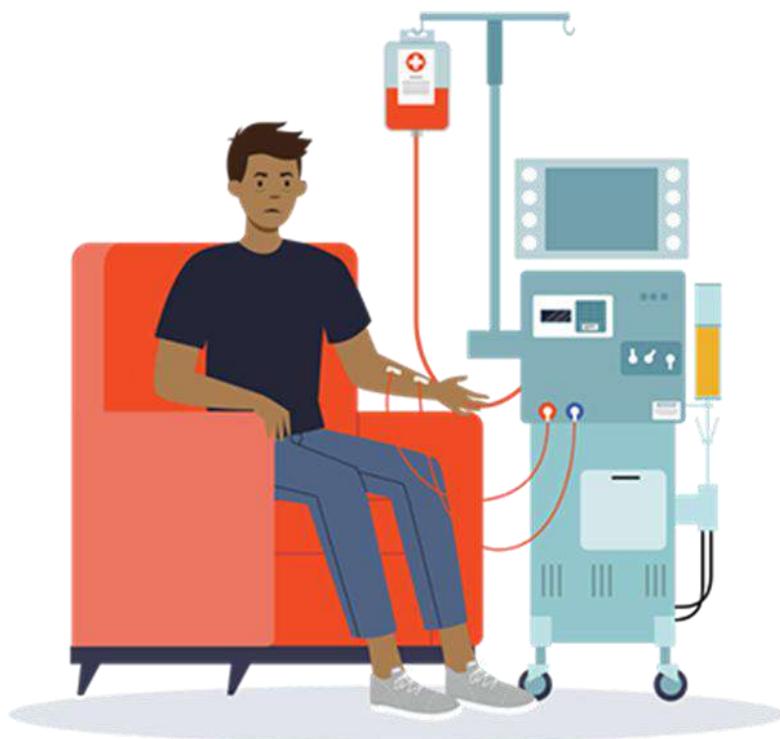
غير أن الطريق إلى الوقاية ليس مستحيلاً، بل يبدأ بخطوات صغيرة من وعي الإنسان بنفسه. فحماية الكلى

تبدأ بحماية ما ينقل كاهلها : ضبط السكر في الدم، والسيطرة على ضغط الدم، والإكثار من شرب الماء باعتدال، والابتعاد عن الاستخدام العشوائي للأدوية، خاصة المسكنات التي يستسهلها الناس، والفحص الدوري الذي يكشف المرض قبل أن يت杰زء، ومعالجة الالتهابات البولية الصغيرة قبل أن تتسلل إلى عمق الكلية، واتباع نمط حياة متزن في الغذاء والحركة، بعيد عن الإفراط في الملح والبروتين والتدخين والكحول.

أما حين تقع الواقعة ويحدث القصور، فكل مرحلة علاجها. في القصور الحاد، ثُشن حملة عاجلة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه : يُعاد للجسد ما فقده من سوائل، ويُضبط الضغط، ويُوقف النزيف، وتسحب الأدوية السامة، وتُزال الانسدادات التي تعيق انسياب البول، وأحياناً لا مفر من اللجوء إلى الغسيل الكلوي المؤقت لتنقية الدم حتى تستعيد الكلية أنفاسها. كثيراً ما تعود الكلية إلى عملها إذا حُسن التدخل، وكأنها نهضت من إغماءة مؤقتة.

أما القصور المزمن، فقصته مع الزمن أطول وأكثر تعقيداً. لا شفاء منه بمعناه الكامل، بل ترويض له، إبطاء لزحفه الصامت، ورعاية دقيقة لما تبقى من قدرة الكلى. العلاج هنا يعني ضبط ضغط الدم والسكر بدقة، واتباع حمية غذائية صارمة تُخفف العبء عن الكلية:

تقليل البروتين الحيواني، والحد من الملح والبوتاسيوم،  
ومراقبة الفوسفور. وتُستخدم الأدوية لتنظيم الأملاح  
ولتحفيز إنتاج الدم، بينما تُعطى المدرات لتخفيف  
السوائل. وحين تضعف الكلية تماماً، يُستعان **بجهاز**  
**الغسيل** الذي يقوم مقامها، يُنقذ الدم كما كانت تفعل  
هي، ثلاث مرات في الأسبوع، لعدة ساعات في كل  
مرة.



إنه علاج شاق لكنه ينقذ الحياة، حتى يأتي الحل الأسمى : **زراعة كلية جديدة** تعيد للإنسان توازنه وحرি�ته. غير أن الزراعة ليست باباً مفتوحاً للجميع؛ تحتاج إلى توافق دقيق بين الأنسجة، وإلى التزام مدى الحياة بأدوية تمنع الجسد من رفض العضو المزروع.

ويتعلم المريض مع الوقت أن يتعايش مع هذا الرفيق

الثقيل. أن يعرف جسده معرفة حميمة، أن يتلزم بالمواعيد، وأن يراقب التغيرات في بوله وجلده ونفسه، وأن يجد في الدعم العائلي والروحي سندًا في رحلة طويلة من الصبر. فالحياة مع القصور الكلوي ليست مجرد معركة مع المرض، بل هي تمرين على الانضباط والوعي والامتنان لما بقي يعمل في الجسد من معجزات.

وفي النهاية، حين نتأمل هذا المرض، نرى أنه ليس مجرد عطب في عضو صغير، بل رسالة رمزية عن التوازن ذاته. الكلية تعلمنا أن النقاء يحتاج إلى جهد، وأن التصفية لا تكون إلا بالماء الجاري بلا عوائق، وأن الجسد مثل الروح، إذا تراكمت فيه السموم، اختنق ببطء. والقصور الكلوي يذكّر الإنسان بأن كل ما في جسده متراوط، وأن الحياة لا تدار بالعشوانية بل بالتوازن الدقيق بين الأخذ والعطاء، كما تفعل الكلية حين تُبقي الدم نقىًّا والحياة ممكناً. وربما كان في ضعفها ما يذكّرنا بضعفنا نحن، وبأننا لسنا سوى كائنات تعيش على توازن هش بين النور والظل، بين الماء والنار، بين ما يُصفّى وما يبقى عكرًا، وبين حكمة الخالق في أن يعلمنا من خلال المرض كيف نصغي إلى أجسادنا، فنفهم أنفسنا، ونحيا بوعيٍ أعمق لجمال الحياة وهشاشةها.



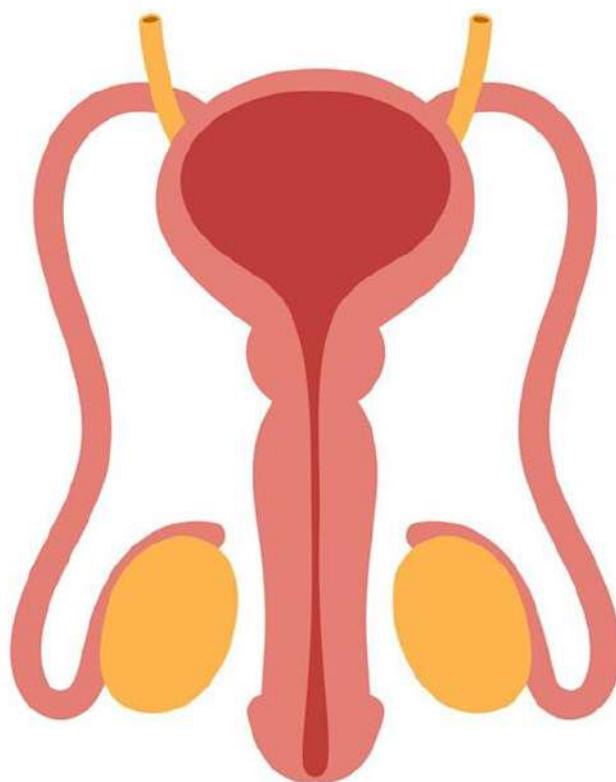
أَمْرَاضُ الْجَهْنَازِ

الْقَنَاعِيُّ الْذَّكَرِيُّ

( كِبِيرَاتُ الْمُسْتَبَدِّنِ )



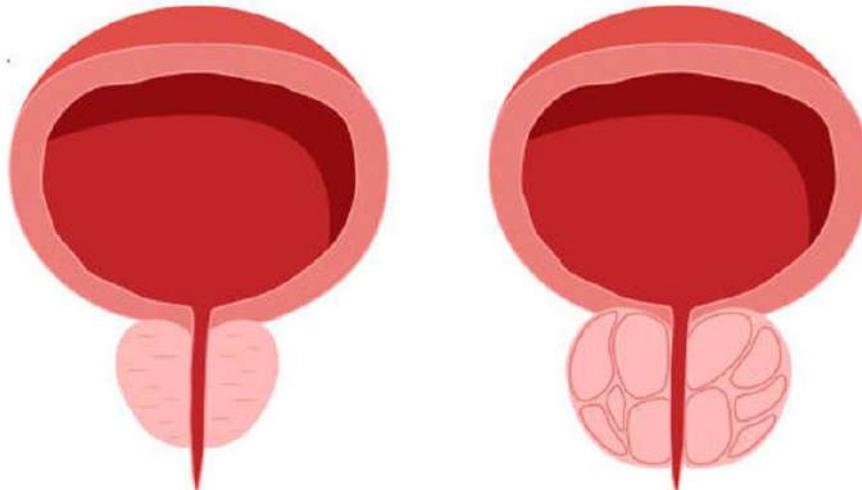
في البدء كان الجسد، معجزةً من لحمٍ وروح، وجهازه التناسلي واحدٌ من أكثر مناطقه سرّاً وتعقيداً. هو مهدُ البدور واستمرار الحياة، الموضع الذي تختلط فيه الفطرة بالغريرة، واللذة بالقدرة، والموت بالحياة الجديدة. في عمق الجسد الذكري، حيث تلتقي الغدد بالقنوات، وحيث تجتمع الهرمونات لتصوغ ملامح الرجلة، ثمة توازنٌ دقيق لا يراه أحد. إنه عالمٌ صامتٌ من الأنابيب المتشابكة والغدد الخفية التي تعمل في انسجامٍ بديع، وحين يختل هذا الانسجام، تتجلى أمراضٌ لا تمسُّ الجسد وحده، بل تمسُّ صورة الرجل في نفسه، إحساسه بقوته، ورؤيته لوجوده.



يبدأ الحديث عن هذا الجهاز من حيث تبدأ الحياة نفسها : من الخصيتين اللتين تنتجان النطفة، ومن البروستات

التي تحيط بعنق المثانة كخاتمٍ من عضلاتٍ وغددٍ تحرس بوابة السيل المنوي، ومن القصيبي الذي يختزل في امتداده الطويل قصبة البذل والخصب. ومع مرور الزمن، كما تشيخ الأشجار وتلين الصخور، تتعب هذه الأعضاء من الدوران في عجلة الهرمونات، فيبدأ الاضطراب يزحف على صمتها، وتنكشف أمراضها كما تنكشف الأسرار على ضوء الشيخوخة.

أول ما يطرق باب الرجال في منتصف العمر وما بعده، مرضٌ صامتٌ في بدايته، حليم في مظهره، لكنه يتسلل بخطى وئيدة إلى أعماق الحياة اليومية : **ضخامة البروستات**. تلك الغدة الصغيرة التي لا تتجاوز حجم الجوزة في شباب الرجل، تبدأ مع السنين بالانتفاخ البطيء، حتى تكبر وتضغط على عنق المثانة والإحليل، فتضيق القناة التي يعبر منها البول، وتبدأ المعاناة التي لا يُعلن عنها كثيرون خجلاً أو استهانة.



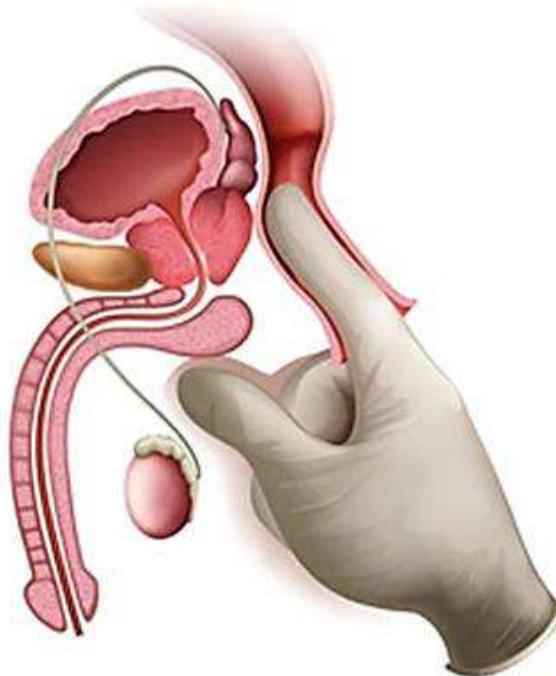
**الضخامة في جوهرها ليست ورماً خبيثاً، بل تضخم**

حميد ينشأ من تأثير الهرمونات الذكرية التي لا تتوقف عن تحفيز خلايا البروستات مع تقدم العمر. ومع الزمن، ينقسم النسيج ويتكاثر كما لو أنه يحاول مقاومة الفناء، فيتحول هذا النمو إلى عبء على الجسد بدل أن يكون علامة على الحيوية. لا يعرف الطبيب بعد سرّ هذا التضخم تماماً، لكنه يرى في العمر والعوامل الوراثية والاختلالات الهرمونية الأسباب الأكثر احتمالاً، ويضيف إليها أنماط الحياة المترفة، وقلة الحركة، وكثرة الدهون، كعوامل تزيد من فرص ظهوره.

وفي البداية لا يشعر الرجل بشيء سوى تباطؤ طفيفٍ في اندفاع البول، لكن الأيام تُظهر ما تخفيه الساعات. تصبح الحاجة إلى التبول متكررة، خاصة في الليل حين يوقظ امتلاء المثانة نومه. يضعف التيار ويشعر بأن شيئاً من البول يبقى عالقاً لا يغادر. ومع ازدياد التضخم، يتسع الاحتباس، وتعكر حياة الرجل بين الخجل والألم. تتوتر المثانة من الداخل، وقد تتراجع السوائل نحو الكليتين فترهقهما، ويتحول الإهمال إلى كارثة صامتة.

ولأن المرض لا يُرى بالعين المجردة، يعتمد الطبيب على لغة الجسد التي تترجمها الفحوص. يبدأ الفحص بالتحسس اللطيف من طريق المستقيم ليقدر حجم الغدة وصلابتها. ثم تأتي التحاليل التي تكشف عن مستوى

مركب خاص تفرزه البروستات في الدم، وهي إشارة دقيقة إلى وجود تضخم أو التهاب أو ورم. ويُستخدم التصوير بالأمواج فوق الصوتية ليُرى شكل الغدة وحدودها، ويُقاس ما تبقى من البول بعد التبول. إنها رحلة بحث دقيقة بين الغدة والمثانة وما بينهما من قنواتٍ وأنسجة.



أما العلاج، فمزجٌ من الصبر والخيارات التي يحددها حجم المعاناة. في المراحل الأولى تُستخدم **الأدوية** التي ترخي عضلات البروستات وتفتح عنق المثانة، أو تلك التي تقلص حجم الغدة تدريجيًّا. ومعها يُنصح المريض **بتقليل السوائل قبل النوم، والابتعاد عن المنبهات، وممارسة الحركة اليومية التي تنشط الدورة الدموية**. لكن حين لا يجدي الدواء، وحين يشتد الضغط حتى يُعطل انسياب الحياة، يلجأ الطب إلى **الجراحة الدقيقة**.

التي تستأصل الجزء المتضخم أو تفرّغ مجرىه. وبين الدواء والمشرط، يعيش الرجل صراغاً بين كبرياته الجسي وحاجته إلى الراحة.

إلى جانب هذا المرض الشائع، تمتد أمراض أخرى كظلالٍ تحيط بعالم الجهاز التناسلي الذكري، ولكل منها لغته الخاصة ومعناه العميق. هناك **التهاب البروستات**، ذلك الألم الغامض الذي يجمع بين الحمى والألم وصعوبة التبول. قد يكون سببه عدوٍ بكتيرية تدخل من الإحليل أو تنتقل من المثانة، فتشعل في الغدة ناراً خفية تجعل المريض يعيش تناقضًا بين الرغبة في التبول والعجز عنه. أحياناً يكون الالتهاب مزمناً لا يرحل بسهولة، فيستقر الألم بين العانة وأسفل الظهر، ويتحول الجلوس إلى عذاب. ويعتمد تشخيصه على الفحص والتحاليل التي تكشف عن البكتيريا في البول أو في إفرازات البروستات. أما العلاج، فبالمضادات الحيوية والمسكنات، وبالراحة التي تتبع للجسد أن يُطفئ التوتر المتراكم فيه.

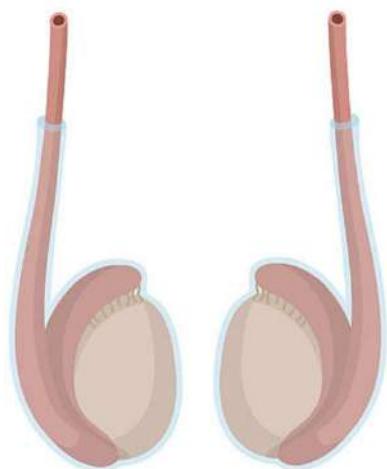
ثم هناك **سرطان البروستات**، الضيف الثقيل الذي يزور الكبار بصمت ويقيم طويلاً قبل أن يُكتشف. يبدأ كورم صغير في أعماق الغدة، لا يسكب الماء ولا أعراضًا في البداية، ثم يزداد حجمًا حتى يُحدث الأعراض نفسها التي تُحدثها الضخامة الحميدية. لكن تحاليل الدم

والموجات فوق الصوتية، وأحياناً الخزعة الدقيقة، هي التي تكشف إن كان الأمر مجرد تضخم بريء أو ورم خبيث. وقد تتفاوت العلاجات بين **الجراحة والعلاج الإشعاعي والهرموني**، بحسب المرحلة والعمر وقوة الجسد. ومع ذلك، فإن كثيراً من سرطانات البروستات تنمو ببطء شديد، حتى إن بعض المرضى يعيشون معها سنوات طويلة دون أن تهدد حياتهم، لأن المرض اختار التعايش بدل الهجوم.

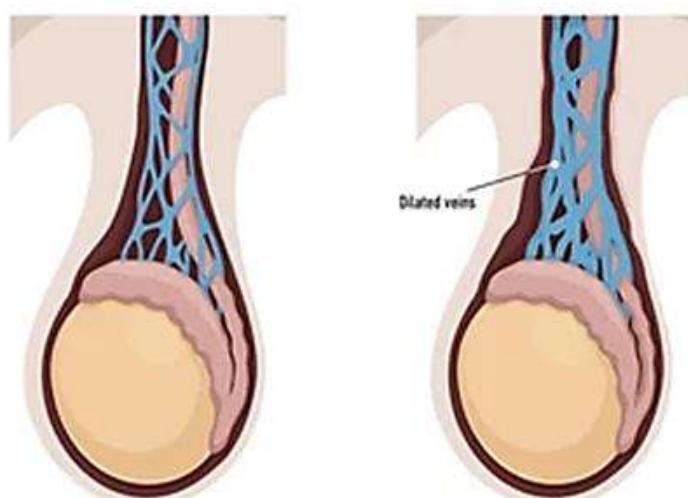
ولا يمكن الحديث عن الجهاز التناسلي دون ذكر **الضعف الجنسي**، وهو ليس مجرد عجز في أداء، بل مرآة لحالة الجسد والعقل معاً. قد يكون سببه اضطرابات الأوعية الدموية أو السكري أو الأدوية، وقد يكون نتيجة توثر نفسيٍّ يختنق في صمت. الجسد هنا يتحدث بلغة الرموز : ضعف الانتصاب يعني ضعف الدورة الدموية، يعني القلب نفسه يرسل إشارةً من بعيد. لذلك لا يُعالج هذا العرض بالمنشطات وحدتها، بل بفهم شامل **لصحة الرجل البدنية والنفسية**.

أما **التهابات الخصيتين والبربخ**، فتأتي غالباً بعد عدوى، فتورم الخصية وتشتد حرارتها، ويغدو المشي أو **الجلوس مؤلماً**. هنا أيضاً يتحدث الجسد بألمه ليذكر صاحبه بضعفه وب حاجته إلى العناية. يُشخص الطبيب الالتهاب **بالفحص والتحليل**، ويُعالج **المضادات**

**الحيوية وبالراحة والكمادات الدافئة.** وإن أهمل، فقد يترك أثراً على الخصوبة، فيتجلى المرض في صورة فقدان القدرة على الإنجاب.



وهناك **الدوالي الخصوية**، وهي أوردة تتسع حول الخصية كخيوطٍ زرقاء تفقد مرونتها، فتعيق تبريد **الخصية وتضعف إنتاج النطفة**. غالباً ما تظهر في الشباب، وتحتشف صدفة أو بسبب شکوى من الآلم أو تأخر الإنجاب. علاجها **جراحي بسيط** لكنه يعيد التوازن الحراري للخصية كما يُعاد جريان النهر بعد إزالة السود.



ومن خفایا هذا الجهاز أيضًا **سرطان الخصية**، الذي يصيب في غالب الشباب في عَزِّ عمرهم. ورغم ندرته، إلا أنه يُعدّ من أكثر السرطانات قابلية للشفاء إذا كُشف مبكرًا. يبدأ بورم صغير غير مؤلم، يشعر به المريض صدفةً، لكن التخليص **بالموجات فوق الصوتية والتحليل الهرموني والخزعة** يحدد مصيره. العلاج هنا يجمع بين **الجراحة والعلاج الكيميائي أو الإشعاعي**، والشفاء فيه ليس مستحيلاً، بل شائعاً حين يُكتشف باكرًا.

وربما كان أغرب ما في أمراض هذا الجهاز أنها تمسّ أكثر ما يربط الرجل بذاته : خصوبته، قدرته، رجولته كما يفترض وهوًّا عندما يطرق **العقل** بابه . ولذا فإنها ليست مجرد علٍّ عضوية، بل جراحٌ في المعنى، صراغٌ بين الطبيعة والوعي، بين جسدٍ يشيخ وروحٍ تتثبت بالشباب. الطبّ هنا لا يصف أدوية فقط، بل يقدّم عزاءً فلسفياً للإنسان الذي يرى نفسه يفقد ما كان رمز قوته.

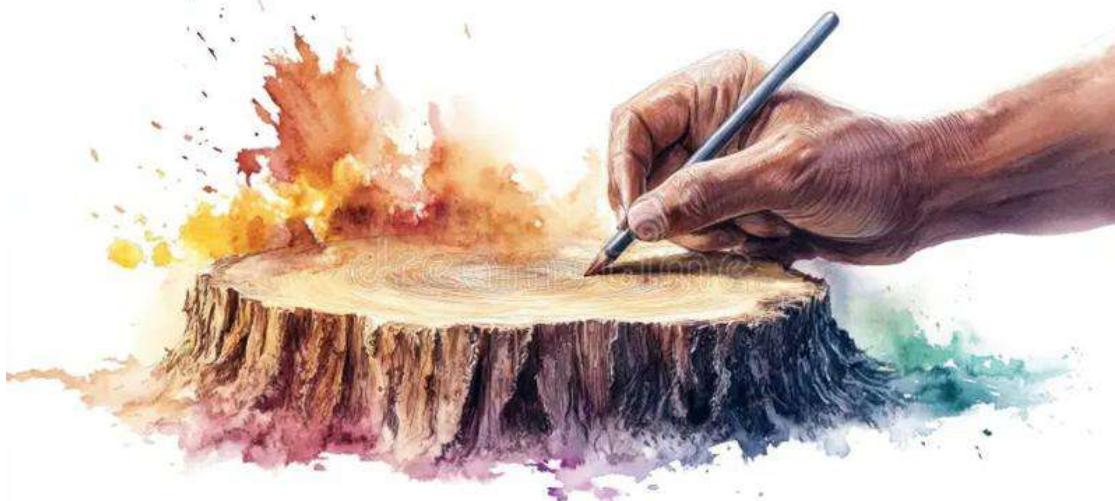
إن الجهاز التناسلي الذكري، رغم ما يخترنه من قدرة، هشٌّ كخيطٍ من نور ، متوازنٌ على حافة بين الفيض والنقسان. حين يعمل بانسجام، يمنح الحياة معناها واستمراريتها، وحين يختل، يكشف هشاشة الإنسان أمام دورة الطبيعة التي لا ترحم. ومع ذلك، فإن كلّ مرضٍ

فيه يحمل في طياته درساً : أن القوة ليست في الصلابة الدائمة، بل في القدرة على الإصلاح، على التجدد، على قبول أن الجسد كالأرض، يحتاج إلى رعايةٍ دائمةٍ كي يتّمر من جديد.

وفي النهاية، حين ننظر إلى هذا الجهاز لا كأداة للإنجاب فحسب، بل كبنيةٍ رمزيةٍ للخلود، نفهم أن أمراضه ليست مجرد خللٍ عضوي، بل إشاراتٌ إلى رحلة الإنسان بين الفناء والخلود. فالبروستات التي تتضخم ببطءٍ كأنها ترفض التوقف، والخصية التي تتعب من إنتاج الحياة، والقضيب الذي يخبو ثم يستعيد قدرته، كلها رموزٌ عميقةٌ في مسرح الجسد. إنها تذكّرنا بأن الحياة ليست ديمومة القوة، بل حكمة التناوب بين الامتلاء والفراغ، بين الفيض والانحسار، بين ما يمنحك وما يُستنزف.

وفي صمت الليل، حين يوقظ ألم التبول أو قلق الشيخوخة الرجل من نومه، ليتلمّس ثقل الزمن في خاصرته، يدرك شيئاً لم يدركه من قبل : أن الجسد ليس خصماً، بل مرآة. وأن البروستات التي تؤلمه إنما تذكّره أنه عاش، أنه تذوق الحياة حتى آخرها، وأن كل تضخم فيها ليس إلا صدى لامتلاء عاشه من قبل. فكما تنمو الأشجار القديمة في جذوعها عقدٌ تحمل ذاكرة الرياح، تنمو في أجسادنا أمراضٌ تحمل ذاكرة أعمارنا.

وهكذا، يكون المرض أحياناً كتاباً آخر نقرأ فيه معنى الحياة، وندرك أن الإنسان، مهما ضعف جسده، يظل كائناً يسعى إلى البقاء، لا بجسده وحده، بل بما يتعلمه من كلّ وجعٍ يمنه بصيرة.





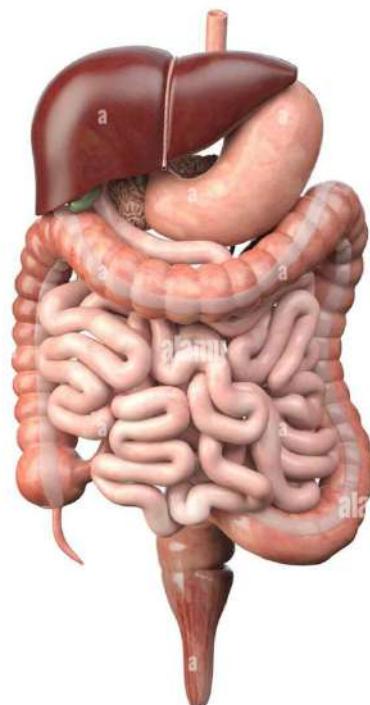
أَمْرَاخُ الْجَهَازِ

الْمُعْتَدِلِي

( مَا يَبْدِلُ إِلَيْكُ بِيَظْهُرٍ عَلَيْكُ )



في أعماق الجسد، حيث يبدأ الوجود المادي في التفاعل مع العالم الخارجي، يقع الجهاز الهضمي كأنه نهر الحياة الخفي، يبدأ من الفم الذي يتذوق العالم، ويمتد في رحلة طويلة عبر المريء والمعدة والأمعاء والكبد والبنكرياس حتى ينتهي في صمت الإخراج. هو الجهاز الذي يترجم ما تأكله إلى ما أنت عليه، يحول المادة إلى طاقة، والطعام إلى فكر، وكأنه مختبر كيميائي داخلي يصهر العالم الخارجي ليعيد تشكيله فيك. ولأنه بوابة التماس بين الداخل والخارج، فهو أكثر الأجهزة عرضةً لأمراضٍ لا تنبع من العطب وحده، بل من نمط الحياة نفسه، من توتر الإنسان، من طمعه في الملاذات، ومن اضطرابه الداخلي.



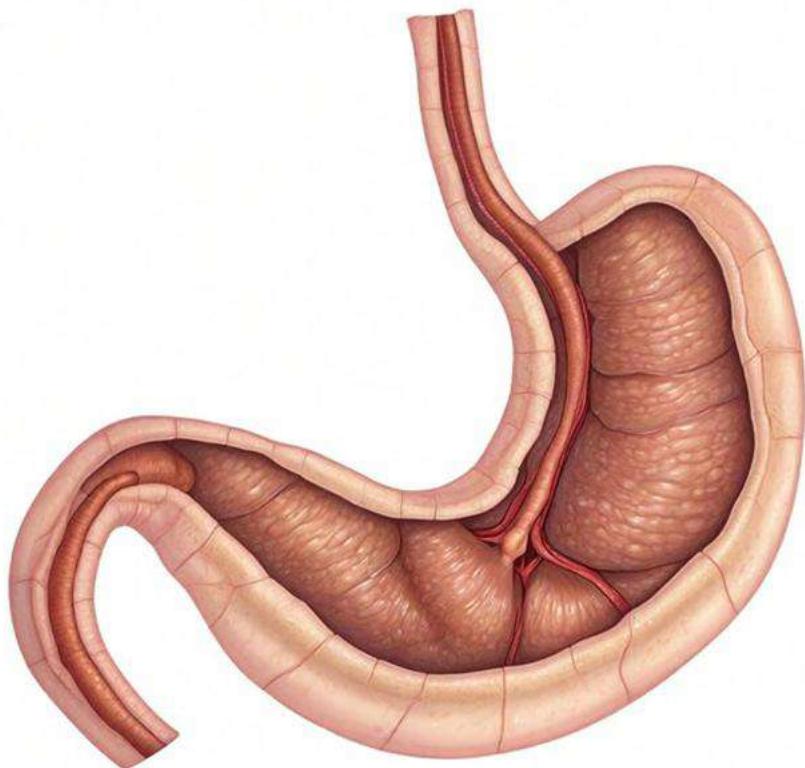
لقد عرف الإنسان منذ القدم آلام بطنه كأول أسرار المرض. كان يُمسك موضع معدته حين يجوع أو

يغضب أو يخاف، كأنّها مركز عواطفه لا أحشاؤه فقط. واليوم، رغم كل ما بلغته العلوم، لا يزال هذا الجهاز من أكثر الأجهزة شكوى، كأنّه مرآة لحياتنا المعاصرة الملائمة بالعجلة والضغط والإفراط. من حرقة المعدة التي تعكس احتراق النفس، إلى قرحةٍ تنزف بصمت، إلى التهاباتٍ تشتعل كالنار في المريء أو القولون، إلى أورامٍ تنشأ في العتمة كخيانة داخلية.

ولعل التهاب المعدة والقرحة الهضمية من أكثر ما يشغل أطباء الجهاز الهضمي. فالمعدة، تلك الغرفة العضلية المفعمة بالحموضة، التي تهضم الحديد كما تهضم الخبز، تصبح أحياناً ضحية نفسها. حين يختل توازنها بين الحمض والمخاط الحامي، يبدأ جدارها في التآكل. وقد تكون الأسباب واضحة أحياناً : جرثومة دقيقة تدعى **الملوية البوابية**، تسكن بطانة المعدة كضيفٍ ماكر، تخرّب بهدوء وتُحدث التهابات مزمنة قد تمتد إلى القرحة. وأحياناً يكون السبب إنساناً مثقلًا بالهم، يتناول المسكنات كحلوى، أو يدمن القهوة والتدخين، أو يترك التوتر يأكل معدته كما تأكل **الحموضة الجدار**.

تبدأ القصة بحرقةٍ بعد الطعام، وغثيانٍ خفيفٍ يزداد مع الفراغ، وألم في أعلى البطن كجمرةٍ تتوجه بعد كل وجبة. ومع الزمن، قد ينذف الجدار، فيغدو القيء دمويًا

أو يصبح البراز قاتماً كالفحم. أما التشخيص، فحكاية تُروى بالأدوات الحديثة : **منظار** يدخل إلى أعماق المعدة ليرى الجرح بعينه، واختبار التنفس أو البراز يكشف أثر **الجرثومة**. والعلاج، كإصلاح ميزان الكون، يبدأ بتهيئة الحمض بالأدوية التي تغلق صمامات الإفراز، مع مضادات للجرثومة تقتلها من جذورها، ونظام غذائي يعيد للمعدة هدوءها المفقود. وهنا يتعلم الإنسان درسًا بسيطًا : أن النار لا تطفأ بالنار، وأن المعدة لا تشفى إلا إذا هدأ ما يحترق في النفس أو لا.



أما الارتجاع المудى **المريئي**، فهو حكاية أخرى بين الأعلى والأسفل. حين يضعف الصمام الذي يفصل المريء عن المعدة، يعود الحمض إلى طريق لا ينبغي له العودة إليه، فيلسع جدار المريء ويزرع فيه التهاباتٍ

مزمنة. يشعر المريض بحرقـة تصعد إلى الصدر بعد الطعام أو عند الاستلقاء، بطعم لاذع في الفم، وسعال  
ليـلي لا تفسـير له. ومع الوقت، إن أهـمل الأمر، قد يتـبـدـل نـسـيجـ المـرـيـءـ نفسهـ فيـ مـحاـولـةـ بـائـسـةـ لـلتـكـيفـ. هناـ، يـشـخـصـ المـرـضـ بالـمنظـارـ أوـ بـقـيـاسـ الـحمـوضـةـ، وـيـعـالـجـ بـتـغـيـيرـ نـمـطـ الـحـيـاةـ قـبـلـ الدـوـاءـ: تـقـلـيلـ الـوـجـبـاتـ الـدـسـمةـ، رـفـعـ الرـأـسـ أـثـنـاءـ النـوـمـ، تـرـكـ التـدـخـينـ وـالـكـحـولـ، ثـمـ يـأـتـيـ الـعـلاـجـ الدـوـائـيـ لـيـسـدـ مـنـابـعـ الـحـمـوضـةـ. إـنـهـ مـرـضـ الـعـصـرـ، اـبـنـ الـعـجلـةـ وـالـوـجـبـاتـ السـرـيـعـةـ وـالـجـلوـسـ الطـوـيلـ، كـأـنـ المـرـيـءـ يـقـولـ لـصـاحـبـهـ: ( اـهـدـأـ، فـالـعـالـمـ لـيـسـ سـبـاقـاـ ) ..

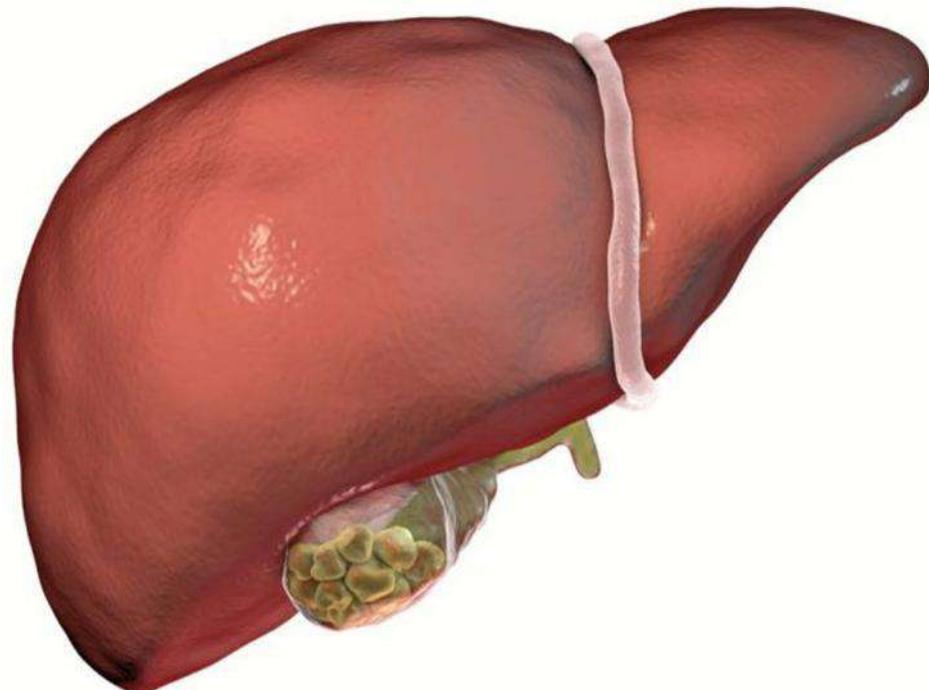
وفي الأعمق التالية، حيث تتلوى الأمعاء كأفعى زرقاء طويلة، تكمن **متلازمة القولون العصبي**، ذلك المرض الذي لا يترك أثراً في الأنسجة لكنه يعذب صاحبه كما لو كان مرضًا حقيقياً من لحم ودم. إنه اضطرابٌ في التوازن بين الأعصاب والأمعاء، بين ما تفكّر به وما تهضم. تتقلص الأمعاء حين يغضب صاحبها، وتتنفس حين يقلق، وتعصي الأوامر حين يخاف. المـهـ غـامـضـ، يـأـتـيـ وـيـذـهـبـ، يرافقه إسهالٌ أو إمساكٌ أو كلاهما، وـأـنـفـاخـ يـجـعـلـ الـبـطـنـ سـجـناـ. يبحث الطبيب عن سببٍ فلا يجد، يجري الفحوصات فتأتي سليمة، لأن العطب في الجوهر، لا في الجدار. العلاج هنا أشبه بتهذيب الروح: **تنظيم الطعام والنوم، تخفيف التوتر، استخدام الأدوية**

**بذكاء لا بِإفراط، وتعلم الإصغاء إلى الجسد قبل أن يصرخ.** فالقولون العصبي هو في حقيقته مرآة القلق المعاصر، مرضٌ لا يُشفى بالدواء وحده بل بالسلام الداخلي.



غير بعيدٍ عنه يقف **داء الكبد** بأطيافه المختلفة، من **الالتهاب الفيروسي إلى الكبد الدهني والتشمغ**. الكبد، تلك الغدة العظيمة التي تعمل كحارسٍ على بوابة الدم، تُنقّي السموم وتصنع البروتينات وتخزن السكر، حين تُصاب بفيروسٍ خفي **التهاب الكبد B** أو **C** تبدأ معركة صامتة بين الخلايا والمناعة. قد يمرّ المرض سنوات دون أعراض، إلى أن يظهر التعب واليرقان وانتفاخ البطن وتغيير لون البول. يُكشف المرض بتحليل الدم، ويُرى وجهه في **التصوير**، ويُؤكَد أحياناً بأخذ

**عينةٌ صغيرةٌ**. العلاج اليوم أصبح ممكناً بفضل الأدوية الحديثة التي تقتل الفيروس وتعيد للكبد عافيته، لكن الشرط الأكبر هو الوعي للوقاية : الوقاية بالتطعيم، وتجنب العدوى بالدم أو الأدوات الملوثة، والامتناع عن الكحول والمخدرات التي تخرّب الكبد كما تخرّب الأخلاق.



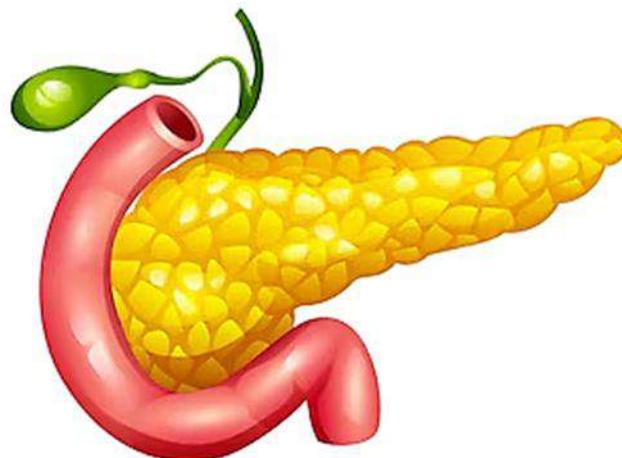
**أما التهاب المرارة وحصواتها**، فهي قصة الحصى التي تتكون من صمت طويل. حين يزداد تركيز العصارة الصفراوية في كيس المرارة، تتشكل الحصى الصغيرة كحباتٍ من الرمل، وقد تظل ساكنة إلى أن تتحرك في الممرات فتسدّها. عنها يصرخ الجسد بألم حادٍ في الجانب الأيمن من البطن ، يمتد إلى الكتف، مصحوب بالغثيان والحمى. يشخص الأمر **بالموجات فوق الصوتية**، ويُعالج في البداية **بالمضادات الحيوية**

والمسكنات، لكن الحل الجذري غالباً جراحي، بإزالة المراة كلها. فالحصى، مثل بعض الأفكار، لا تُزال إلا من جذورها.

ولا يمكن الحديث عن الجهاز الهضمي دون المرور **بالتهاب القولون التقرحي وداء كرون**، وهما من أمراض المناعة الذاتية التي تهاجم الأمعاء كما يهاجم الجسد نفسه في لحظة فقدان البوصلة. **التهاب القولون** يشتعل في المستقيم ويمتد إلى الأمعاء الغليظة، محدثاً تقرحاتٍ ونزيفاً وإسهالاً متكرراً وقدان وزن وحمى. أما **داء كرون**، فيمكن أن يصيب أي جزء من القناة الهضمية، من الفم إلى الشرج، مسبباً تضيقات وتشوهاتٍ وتعباً مزمناً. يشخص المرض **بالممنظار** والفحوصات المخبرية والتصوير، ويُعالج بمثبطات المناعة والكورتيزون والعلاجات البيولوجية. لكنه يظل أكثر من مجرد مرضٍ عضوي؛ إنه صراع بين الجسد ونفسه، بين نظامٍ فقد قدرته على التمييز بين الذات والآخر.

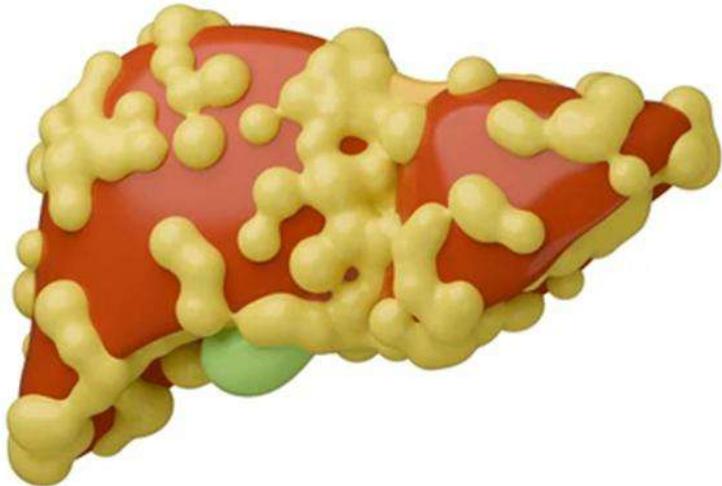
وفي زاويةٍ أخرى من الجسم، هناك **التهاب البنكرياس**، ذلك العضو الذي يعمل ككيميائيٍّ ماهرٍ يفرز الإنزيمات التي تهضم كل شيء. حين يشتعل البنكرياس، تنقلب هذه الإنزيمات عليه، فتبدأ بهضم نسيجه نفسه، مسبباً **المَّا حارقاً** يمتد إلى الظهر، وغثياناً، وارتفاعاً في

الحرارة. قد يكون السبب **حصاةٌ صغيرةٌ تسدّ القناة الصفراؤية**، أو **إفراطاً في شرب الكحول**، أو **ارتفاعاً في الدهون**، أو **دواءً معيناً**. يُشخص المرض بتحليل الدم وصور الأشعة، ويعالج بالراحة والتغذية الوريدية والسيطرة على الألم حتى تهدأ العاصفة. لكن البنكرياس لا ينسى الإساءة؛ فالتهاب متكرر فيه قد يتحول إلى مرضٍ مزمن أو سرطانٍ صامتٍ لا يُكتشف إلا بعد فوات الأوان.



أما **سرطانات الجهاز الهضمي**، فهي الوجه الأكثر قسوة في هذه الرحلة. من **سرطان المعدة** الذي يزحف بصمتٍ بعد قرحةٍ مهملة، إلى **سرطان القولون** الذي يبدأ بورمٍ صغيرٍ يمكن اكتشافه مبكراً لو أجري تنظيرٌ دوري. الأعراض هنا خادعة: **فقر دم لا تفسير له، نزيفٌ خفي، تغييرٌ في نمط التغوط ، فقدان وزنٍ غامض**. لكن الاكتشاف المبكر يغير المصير، والعلاج اليوم، ما بين **الجراحة والعلاج الكيميائي والمناعي**، أصبح أكثر فاعلية من ذي قبل.

وربما كان **الكب الدهني**، الذي تفشي بين الناس كالنار في الهشيم، المرأة الأصدق لحياتنا الحديثة. إذ تراكم الدهون في خلايا الكبد بسبب قلة الحركة والإفراط في الأكل، تماماً كما تراكم الأفكار غير المهمومة في عقولنا. إنه مرض صامت، لكنه يُذمر بتشمع بطيء إن لم يُكبح جماحه. العلاج ليس دواءً بقدر ما هو عودة إلى البساطة : **غذاء متزن، حركة يومية، تخفيف الوزن، وامتناع عن الكحول.**



كل هذه الأمراض، على اختلافها، تشترك في شيء واحد : إنها ليست مجرد عطبٍ في عضو، بل انعكاسٌ لطريقة عيشنا وتفكيرنا. الجهاز الهضمي هو الجسر بين العالمين، بين ما نبتلعه من الخارج وما نهضمه في الداخل. وكل اضطرابٍ فيه هو رسالة من الجسم تقول : **( ما يدخل إليك .. يظهر عليك )**

وفي نهاية هذه الرحلة الطويلة عبر أحشاء الإنسان، لا

بد من وقفٍ فلسفية أمام هذا الجهاز الذي يجمع بين المادة والروح. فالهضم ليس فعلاً بيولوجيًّا فقط، بل مجازٌ للوجود ذاته. نحن نهضم ما نأكل، لكننا أيضًا نهضم ما نرى ونسمع ونشعر. وما لم نهضمه يتحول إلى مرض، سواء في الجسد أو في الوجدان. فكما تتخلّ المعدة بالطعام الرديء، تتخلّ الروح بالأفكار الثقيلة والمشاعر المسمومة.



إنَّ أمراض الجهاز الهضمي، بكل ما فيها من ألمٍ واحتراءٍ وامتلاء، هي دروس في التوازن والاعتدال. إنها تقول لنا إنَّ الإنسان لا يُقاس بما يأكل، بل بما يهضم، لا بما يملأ معدته، بل بما يتحمل قلبه من طمأنينة. والشفاء الحقيقي يبدأ حين يدرك المرء أنَّ الجسد لا يريد سوى البساطة، وأنَّ راحة المعدة لا تنفصل عن راحة الضمير، **وأنَّ كل طعامٍ يدخلنا هو**

عقد غير مكتوبٍ بيننا وبين الحياة. ومن لا يحترم هذا العقد، يجد في أحشائه ثورة صامتة تعيده إلى أصل الحكمة الأولى : إنَّ الإنسان كوكبٌ صغير، وإنَّ النظام في داخله هو شرطُ بقائه في مدار الحياة.



أَمْرَاخْضُ الْقَلْبِ

( عَدْلُ فِي الْمُخْفَفَةِ )



في أعمق الجسد، خلف الصدر الذي يتقدّد أنفاسنا،  
ينبض عضو صغير لا يتجاوز حجم قبضة اليد، لكنه  
أقوى من كل إرادة عرفها الإنسان. إنه القلب، الكاهن  
الأعظم في معبد الجسد، لا ينام ولا يتوقف، يضخ الدم  
كما تضخّ الروح المعنى في الوجود. فيه تتلاقى الفيزياء  
بالعاطفة، والعلم بالشعر، فهو في الوقت ذاته محرك  
الحياة ومركز الإحساس. ومنذ عرف الإنسان ذاته،  
ادرك أنّ هذا العضو الغامض ليس مجرّد مضخة، بل  
رمز للوجود كُلّه؛ فعندما يتعب القلب، يتعب الكون  
الصغير الذي نحمله في صدورنا.



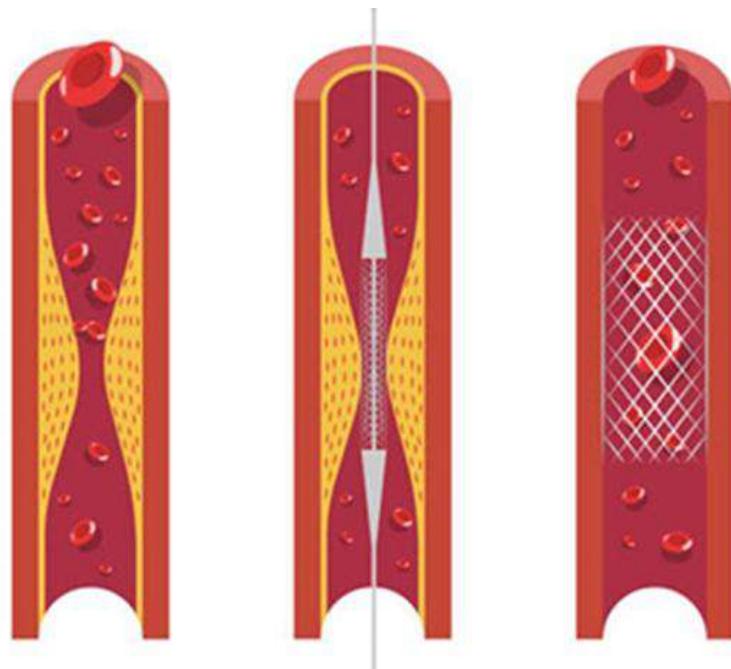
ولأنّه يحمل على عاتقه عبء النبض المستمر، فهو  
أكثر الأعضاء عرضةً للخذلان. أمراض القلب هي  
صدى الزمن داخل الجسد، ومرآة لعاداتنا ومشاعرنا  
وحياتنا اليومية. كما يشيخ الإنسان بالسنوات، يشيخ  
قلبه بما أكل وشرب وشعر وخاف. وليس غريباً أن

تكون هذه الأمراض اليوم القاتل الأول للبشرية في العالم، فهي تحصد الأرواح بهدوء، كما يطفئ الغروب ضوء النهار.

أول ما يتسلل إلى قلب الإنسان هو **داء الشرايين التاجية**، المرض الذي ينسج خيوطه ببطء على جدران الشرايين التي تغذّي القلب نفسه. تلك الأنابيب الدقيقة التي تحمل الدم مليء بالأكسجين تصبح ممرات ضيقة، بعد أن تلتتصق جدرانها بدهونٍ وكوليسترولٍ وترسباتٍ صلبة تُعرف بالتصلب العصيدي. تبدأ الحكاية من لقمةٍ دسمة، أو سجارةٍ خامدة في يدٍ قلقة، أو ضغط دمٍ مرتفعٍ لم يُبالَ به، أو داء سكريٍّ أهمل صاحبه ترويشه. ومع مرور الزمن، تتصلب الشرايين وتتضيق، حتى يأتي اليوم الذي يعجز فيه الدم عن المرور، فيصرخ القلب من الجوع، جوعه إلى الهواء، فتحدث **الذبحة الصدرية** : المُخانق في منتصف الصدر، يمتد إلى الذراع الأيسر والكتف والفك، كأنّ اليد اليسرى رفعت لتشهد على عجز القلب عن التنفس.

وحين يُغلق الشريان تماماً، يحدث **احتشاء عضلة القلب**، ذلك الحدث الذي يفصل بين الحياة والموت في دقائق. ينهاز جزء من عضلة القلب بسبب انقطاع الدم، وتبدأ الخلايا في الموت واحدةً تلو الأخرى. الألم هنا ليس المَا جسدياً فحسب، بل صاعقة في الوجود كله.

يُهرع الأطباء إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه، يفتحون الشريان المغلق بالأدوية المذيبة للجلطات أو بالقسطرة التي تدخل أنبوباً دقيقاً يحمل بالوناً يوسع الطريق من جديد، ثم يُركب دعامة تحافظ على جريانه. بعدها تبدأ رحلة العلاج الدائم : أدوية لتمبييع الدم، وخفض الكوليسترول، وضبط الضغط والسكر، وأسلوب حياةٍ جديد لا يعرف التهاون.



لكن القلب، إن نجا من الجلطة، لا يخرج كما كان. يصبح أكثر حكمة، وأكثر هشاشة. يشعر صاحبه بكل نبضة كأنها تذكر بما نجا منه. وربما يدرك في تلك اللحظة أن أكثر الطرق ازدحاماً في حياته لم تكن الشوارع، بل شرائينه.

وفيظلال الأخرى من أمراض القلب، يقف **قصور القلب**، وهو ليس مرضًا واحدًا بل حالة من الإنهاك

العام، حين تعجز العضلة عن ضخ الدم بالكافية. أسبابه كثيرة : **جلطات سابقة تركت الندوب**، أو ارتفاع ضغطِ أرهد القلب حتى تضخم ثم ضعف، أو أمراض صماماتٍ لم تعالج، أو اعتلالاتٍ خلقيةٍ في النسيج العضلي. يبدأ الأمر بتعبٍ بسيط عند الجهد، ضيقٍ في النفس عند الصعود، تورّم في الساقين عند المساء، سعالٌ ليليٌ يوقظ المريض من نومه، وشعورٌ غامضٌ بأنَّ القلب لم يعد يواكب إيقاع الحياة.



يفحص الطبيب المريض فيسمع خرير الدم بين الصمامات، ويطلب **أشعة** تظهر ظل القلب متضخماً، ويُجري **تخطيطاً** يرسم نبضاته، أو تصويراً بالأمواج **فوق الصوتية** يظهر كيف تنقبض العضلة وكيف تضخ. **العلاج هنا يشبه ترميم مدينة قديمة** : **أدوية تقلل احتباس**

السوائل، وأخرى تخفف الجهد عن العضلة ، وثالثة تقوي تقلص القلب وموسعة للشرايين تعيد التنفس إليها. وفي بعض الحالات، **تُزرع أجهزةٌ صغيرةٌ تنظم النبض أو تحفز العضلة على الانقباض بتناسقٍ أكبر.**

إلا أن قصور القلب ليس هزيمة نهائية. إنه نوع من الدعوة إلى التوازن، إذ يُجبر الإنسان على الإبطاء، على الإصغاء إلى جسده. فالقلب الذي يضعف لا يموت، بل يتأمل، وكأنّه يطلب من صاحبه أن يعيش برفق، أن يوزن خطواته كما يوزن النبض نفسه.

ومن بين أصوات القلب الخفية، **هناك أمراض الصمامات**، تلك الأبواب الصغيرة التي تفتح وتغلق مع كل نبضة لتجهّه الدم في الاتجاه الصحيح. حين تتخلّس هذه الصمامات أو تلiven أكثر مما ينبغي، يختلّ نظام الجريان، فيرتدّ الدم أو يتباطأ. أشهر هذه الحالات **تضيق الصمام الأبهري**، الذي يمنع الدم من مغادرة القلب بحرية، فيشعر المريض بدوار وألم في الصدر وضيق عند المجهود. وهناك أيضًا **صور الصمام التاجي**، حين يتسرّب الدم عائداً إلى الأذين بدل أن يمضي في طريقه، فيرهق القلب على المدى الطويل.

تشخيص هذه الحالات **بسماعة الطبيب** التي تسمع لحن الخلل، **وبالتصوير الدقيق** الذي يكشف درجات التلف. أما العلاج، فقد يكون **دوائياً لتخفيف الأعراض**، أو

**جراحياً** لاستبدال الصمام أو إصلاحه. إنها جراحة دقيقة كأنّها ترميم نايٍ في أوركسترا الجسد.



وفي قلب الإيقاع ذاته، قد يختل اللحن نفسه فيما يُعرف **باضطرابات النظم القلبية**. القلب الطبيعي يعزف نبضاته بانضباطٍ مدهش، لكن أحياناً تتدخل صواعق كهربائية أو مناطق شاردة في العضلة فتخلط الإيقاع. فينبض القلب بسرعةٍ مفرطة أو ببطءٍ ممل، أو يفقد انتظامه في ما يُعرف **بالرجفان الأذيني**، حيث تتحول النبضات إلى ارتعاشٍ فوضوي يجعل الدم يتخثر داخل الأذينين، مهدداً بجلطةٍ قد تصعد إلى الدماغ. العلاج هنا يقوم على إعادة الإيقاع إلى نظامه بالأدوية المنظمة أو الصدمات الكهربائية أو الأجهزة المزروعة التي تضبط التيار كقائد أوركسترا حازم.

وهناك من يولد بقلبٍ غير مكتمل البناء، وهي **العيوب الخلقية** التي تجعل الطفل يولد بنفس متعب أو لون أزرق. بعضها بسيط يُصلح بجراحة واحدة، وبعضها معقد يحتاج إلى متابعةٍ مدى الحياة. إنها رسائل من الطبيعة تقول ظنه حتى الكمال العضوي ليس مضموناً، وأنّ الحياة تمنحك الاختبار قبل الفهم.

وللقلب أيضاً معاناته مع الالتهابات، **الالتهاب عضله أو غشائه الخارجي (التامور)**. تنشأ عادة من عدوٍ فيروسية أو بكتيرية، أو كرد فعل مناعي بعد جراحة أو مرضٍ آخر. أعراضها تشبه أحياناً نوبة القلب : الم في الصدر، حرارة، خفakan، ضعف عام. لكن الطبيب يعرف الفارق من العلامات الدقيقة، ويؤكد لها **بالتحاليل والتصوير**. العلاج هنا راحة ومضادات لالتهاب، وأحياناً أدوية ضد الميكروبات إن وجدت. غالباً ما يعود القلب إلى إيقاعه، كأنه كان يعاني حزناً مؤقتاً فتعافي منه.

ومن أغرب أمراض القلب ما يسمى **اعتلال عضلة القلب**، حين تضعف العضلة أو تتضخم بلا سبب واضح. قد يكون السبب وراثياً أو ناتجاً عن عدوٍ قديمة أو سمية دوائي أو إدمان الكحول. ويشعر صاحبه بالخفakan والتعب وضيق النفس .. يُشخص **بالتخطيط والتصوير الدقيق**، ويعالج **بالأدوية** التي

تخفف العبء عن القلب أو بزراعة جهاز منظم للنبض،  
وفي الحالات القصوى بزراعة قلبٍ جديدٍ يُعيد للجسد  
إيقاعه الأول.

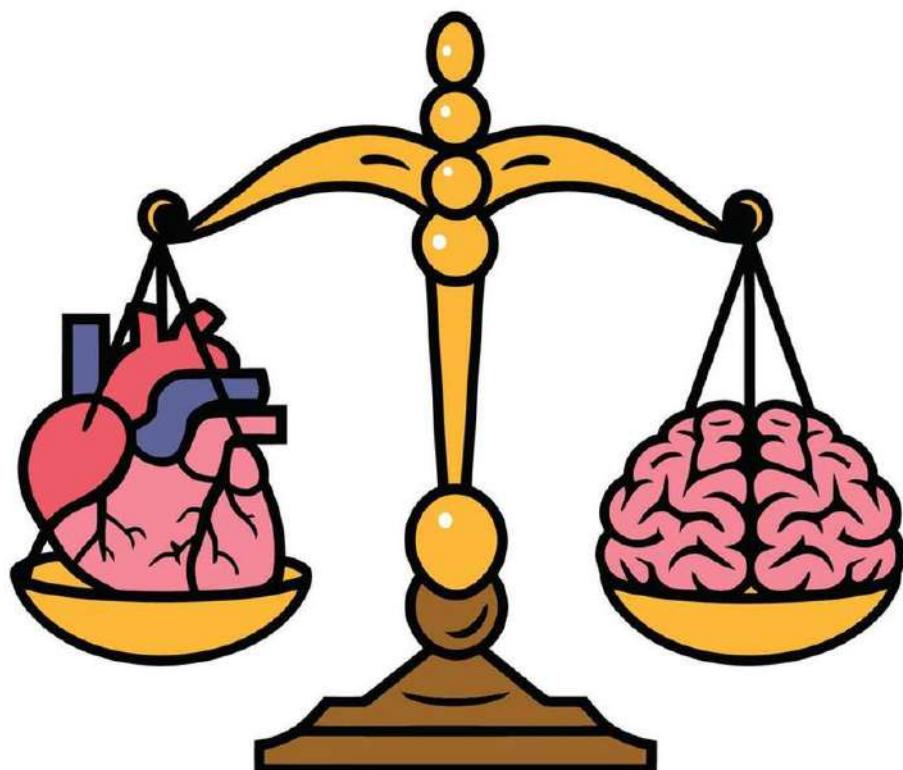
ورغم كل التقدّم العلمي، يبقى القلب أكثر الأعضاء  
تذكيراً بحدود العلم. فالأطباء قد يُصلحون الشرايين،  
ويستبدلون الصمامات، ويزرعون الأجهزة، لكنهم لا  
يستطيعون إعادة الطمأنينة التي تُعالج القلب من داخله.  
فالقلوب تمرض أيضاً من الحزن، من الوحدة، من  
الخوف الطويل، من الإحباط الذي يتراكم مثل  
الكوليسترول في الشرايين النفسية. وقد رأى الأطباء  
مرضى تعافى جرحهم الجسدي لكنهم ماتوا بعد ذلك  
بأسابيع، لأنّ القلب حين يفقد الرغبة في النبض، لا  
تنفعه الأدوية.

التشخيص اليوم أصبح دقيقاً كالعلم الحديث نفسه:  
**تخطيط القلب** يرسم كهربة النبض كخط حياة على  
الورق، و**تصوير الإيكو** يظهر حركة الصمامات  
والبطينات كلوحة متحركة، والقسطرة تكشف أعمق  
الشرايين وتفتحها كما يفتح الطبيب نافذة في ليلٍ مغلق.  
ومع ذلك، يظلّ الطبيب أمام القلب في حالة تواضعٍ  
 دائم، كأنه أمام معجزةٍ تتحدث بلغةٍ لا تفهم تماماً.

أما العلاج، فهو مزيجٌ من العلم والإرادة. فالعقاقير  
وحدها لا تكفي إن لم يتغيّر نمط العيش: الامتناع عن

التدخين، وضبط الغذاء، وممارسة الرياضة بانتظام، وتعلم فن الهدوء. فالقلب لا يحب الإسراف، لا في الجهد ولا في الغضب. وكل نبضةٍ زائدة هي احتجاجه على وثيره العصر.

وفي النهاية، حين نتأمل القلب، ندرك أنه ليس عضواً فينا فحسب، بل استعارةٌ كبرى لوجودنا. فهو يعلمنا أن الحياة قائمة على الإيقاع، وأن الفوضى مميتة. يعلمنا أن الثبات لا يعني الجمود، وأن الراحة لا تأتي من التوقف بل من التوازن بين الانقباض والانبساط، بين الأخذ والعطاء، بين ما نمنحه للعالم وما نحتفظ به لأنفسنا.



إن أمراض القلب ليست عطباً عضوياً فحسب، بل مجازٌ عن الخلل في علاقتنا بالحياة. حين نركض بلا توقف،

حين نحمل الهم كما نحمل الحجارة، حين نحبّ بعنفٍ أو نكره بعنفٍ أو نخاف بعنفٍ، ننسى أن القلب كائنٌ هشٌ يحبّ اللطف. وربما كان الشفاء الحقيقي يبدأ من هناك، من العودة إلى نبضٍ طبيعيٍ في كل شيء، إلى وثيرٍ إنسانيةٍ في العيش، إلى مصالحةٍ بين القلب وما يجاوره من ضجيجٍ في هذا العالم.

فالقلب لا يمرض من الدم وحده، بل من المعنى.  
ومن فهم قلبه، فهم الحياة.

لأنَّ كل نبضةٍ ليست مجرد دفقة دم، بل إعلانٌ صغيرٌ أن الحياة، رغم كل شيء، ما زالت تختارنا مع كل ثانية.



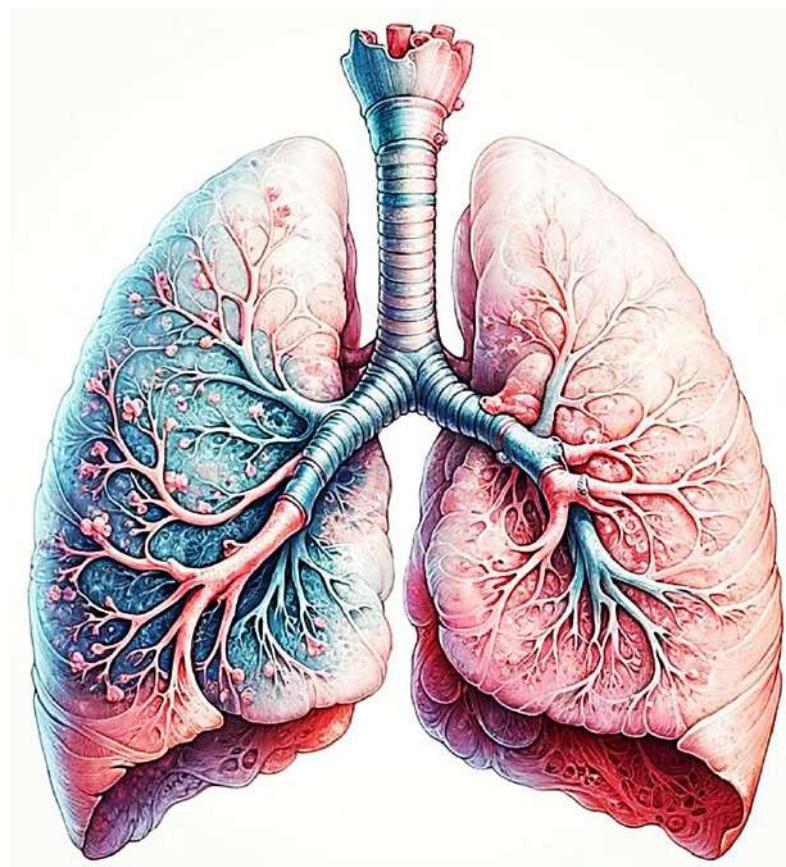
أُمراض المجاز

الطب

(بین شعبیت و زنگنه)



حسناً ... اجلس بهدوء، وتخيل صدرك كما لو كان سماءً، يتنفس النور والهواء مع كل شروق، وتتهجد أنفاسه مع كل غروب. إن الجهاز التنفسي هو نافذة الحياة المفتوحة على اتساعها، هو الممر السري بين الروح والمادة، بين الوعي والغياب، بين أول صرخة يولد بها الإنسان وأخر زفير يودع به الدنيا. من الرئتين تتبع الألحان الأولى للحياة، ومن قصب الهوى يخرج اللحن الأخير... لكن هذه النافذة التي أهديت لنا لتمنحنا الهواء قد تصاب بالضباب، وقد يتثاقل فيها التنفس حتى يصبح الألم هو اللغة الوحيدة الممكنة.

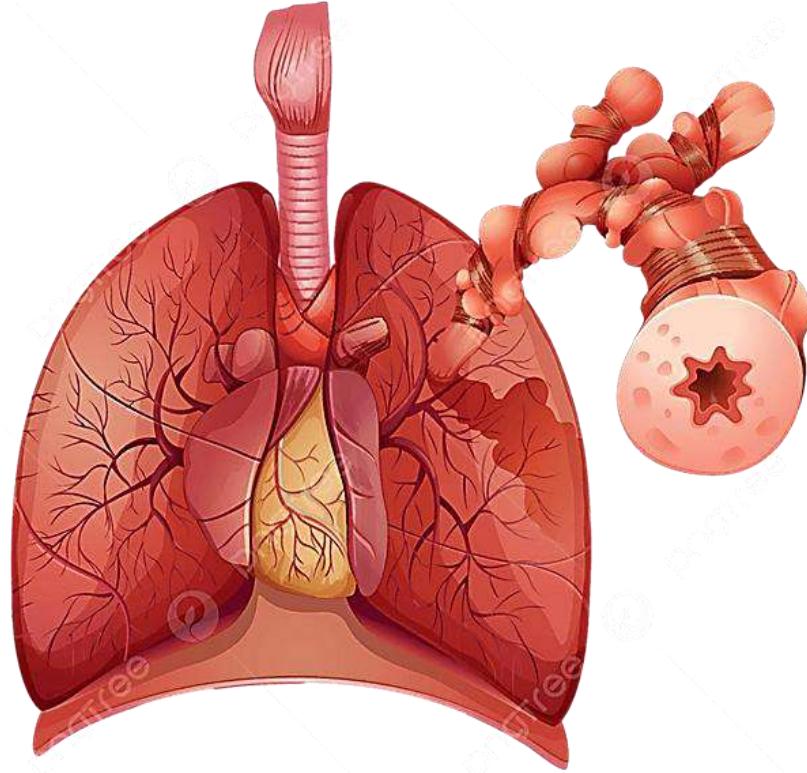


من هنا تبدأ حكاية أمراض الجهاز التنفسي، الحكاية التي تكتبها الحياة على صدورنا بالضباب والوجع،

وترسمها على وجوه المرضى بأنفاس متقطعة كأغانٍ حزينة لم تكمل. ليست هذه الأمراض مجرد عوارض فيزيولوجية، بل فصول من ملحمة الصراع بين الإنسان والهواء، بين الرئة التي تتوق إلى النقاء والعالم الذي يملؤها بالدخان والغبار والعدوى.

أشهر تلك الفصول وأكثرها قسوة هو **الربو**، ذلك المرض الذي يختبئ بين خيوط الليل وصمت الصدر، فيتحول التنفس إلى معركة صغيرة يخوضها الجسد ضد نفسه. الربو حالة مزمنة تتسم بتضيق الشعب الهوائية بسبب فرط تحسّسها لعوامل بيئية، كالغبار أو حبوب اللقاح أو دخان السجائر. لا يأتي الربو بغتة، بل ينساب كريحٍ خفيفة ثم يتحوّل إلى إعصار في الرئتين. تبدأ الأعراض بسعال جاف وضيق نفس وصفير يسمع في الصدر كوشوشة خوف، وقد يشتد حتى يختنق الإنسان بين هواء لا يصل ورغبة بالبقاء لا تُطفأ. أما التشخيص فيأتي من الاستماع لصدر المريض، وقياس تدفق الهواء الخارج من رئتيه، وأحياناً عبر اختبارات تكشف مدى استجابة الشعب الهوائية للأدوية الموسعة. أما العلاج، فهو مزيج من الوقاية والدواء، فيُستخدم البخاخ لتوسيع الشعب، وتعطى العقاقير التي تهدىء الالتهاب المزمن فيها. لكن العلاج الحقيقي للربو هو في صفاء الهواء، وفي تطهير المدن من الدخان، لأن الرئة لا تحيا في عالم ملوث بالأنانية كما لا يحيا

## القلب في عالم ملوث بالكراهية.



ومن الربو ننتقل إلى **الالتهاب الرئوي**، ذلك المرض الذي يهاجم الرئة كما يهاجم الشتاء دفء البيوت. إنه التهاب في أنسجة الرئتين تسببه الجراثيم أو الفيروسات أو حتى الفطريات، فيتاحل الهواء الذي كان يملأ الحويصلات إلى سائل يثقل الصدر ويعيق التنفس. تظهر الأعراض كمى مرتفعة وسعال متواصل وإفراز بلغم قد يكون مصفرًا أو مدمى، مع ألم صدرى حاد يشتد عند الشهيق. ولأن الرئة مرآة الحياة، فإن التهابها يعكس دائمًا ضعف المناعة أو قسوة الظروف. يُشخص الالتهاب الرئوي عبر **الأشعة الصدرية** والتحاليل المخبرية، وأحياناً عبر زرع عينات البلغم لتحديد نوع الميكروب المسبب. أما العلاج فهو صراع

زمني بين المريض والعدوى : **المضادات الحيوية** حين تكون بكتيرية، أو **الأدوية المضادة للفيروسات** حين يكون الفيروس سيد المشهد، مع الراحة والترطيب **والغاية بالأوكسجين**. والوقاية هنا ليست رفاهًا، بل فطرة حياة، تبدأ من غسل اليدين وتنتهي بلقاحات تحمي الصدر من غزوات الكائنات الدقيقة.

ثم تأتي **الانسدادات الرئوية المزمنة**، وهي ليست مرضًا واحدًا بل مأساة طويلة تُكتب على صدور المدخنين وكل من عاش طويلاً في ظل المداخن.

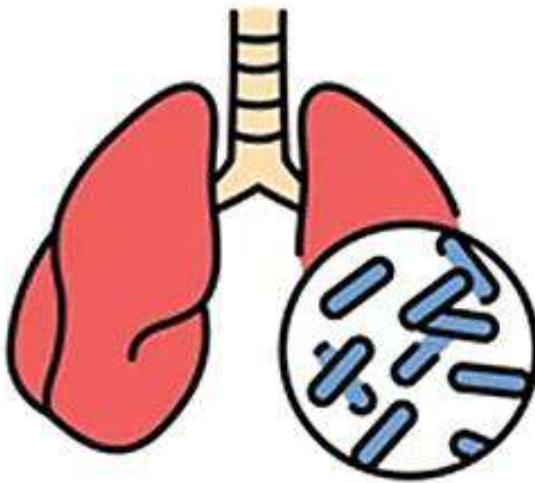


إنّها حالة يتناقص فيها تدفق الهواء تدريجيًا بسبب تخرّب جدران **الهوبيصلات الهوائية**، حتى تصبح الرئة كشبكة ممزقة لا تمكّن شيئاً. يتّنفس المريض بصعوبة

حتى في أبسط الأنشطة، وتحول المشية إلى معركة، والنوم إلى تجربة بين الحياة والموت. السعال المزمن، البلغم الدائم، ضيق النفس المتصاعد... كلها علامات تتندر بأن الزمن في الصدر بدأ يتباطأ. في صور الأشعة يظهر اتساع مفرط في الرئتين، وفي اختبارات التنفس تكشف خسارة القدرة على الزفير الكامل. العلاج لا يعيد ما فقد، لكنه يبطئ السقوط، من خلال موسعات الشعب الهوائية، العلاج بالأوكسجين، والإقلال التام عن التدخين الذي كان الشرارة الأولى للحريق. ولعل أعمق درس تعلمه هذه الحالة هو أن ما نحرقه من تبغ اليوم، نحترق به غداً هواءً وأنفاساً.

أما السل الرئوي فهو المرض الذي يحمل في ذاكرته رائحة القرون القديمة، المرض الذي ظل لقرون مرادفاً للموت البطيء. تسببه جرثومة عصوية دقيقة ماكرة تتخفّى في الجسد، وقد تظل نائمة سنوات قبل أن تستيقظ حين تضعف المناعة. يتجلّى في سعال مزمن مع بلغم مدمّي، وتعب عام، ونقص في الوزن والحرارة. لكن الغرابة فيه أنه لا يقتل فقط الجسد، بل يستهلك الصبر والعزلة، إذ يحتاج المريض إلى علاج طويل يمتد لأشهر بأدوية متعددة. ومع ذلك، فإن التقدم الطبي جعله مرضًا قابلاً للشفاء متى التزم الإنسان بخط العلاج. ورغم ذلك، يبقى السل رمزاً فلسفياً لمرض الحضارات: حين يضيق الصدر بالحياة، يختنق هواؤه، كما تختنق

المدن المزدحمة بذنوبها.



ولا يمكن أن تُذكر أمراض التنفس دون التوقف عند **سرطان الرئة**، المرض الذي يشبه خيانة داخلية، إذ تنقلب خلايا الحياة على صاحبها. إنه مرض خفيٌّ يبدأ من خلية صغيرة متمردة، فتتكاثر بلا نظام حتى تغزو الرئة وتشلّها. أسبابه كثيرة، لكن التدخين هو بوابته الكبرى، يليه التعرّض للمواد المسرطنة وتلوّث البيئة. لا يكشف المرض عن نفسه إلا متأخراً، عبر سعال مستمر، ألم صدرى، ضيق تنفس، أو نفث دمويٍّ يثير الرعب. التشخيص هنا عمل دقيق يجمع الأشعة **المقطوعية**، **والتنظير**، **والخزعات النسيجية**، ليتبين حجم الشر في نسيج الحياة. العلاج يعتمد على المرحلة: **الجراحة** حين يمكن الاستئصال، **والعلاج الكيميائي** أو **الإشعاعي** حين يتجاوز الورم حدوده. لكن مهما بلغت الأدوية من قوة، يبقى أن أنقى علاج لسرطان الرئة هو **الهواء النظيف والإقلاع عن كل عادة تقتل ببطء**.

وهناك أيضاً **الالتعبات التحسسية والموسمية** التي تتسلل مع ربيع العطور وغبار الخريف، فتمتلئ الأنوف بالعطاس، والصدور **بالصفير**، والعيون **بالدموع**. إنها ليست أمراضًا قاتلة، لكنها تعكر صفو الهواء وتربك اتزان الجسد بين الداخل والخارج. علاجها يكمن في **تجنب المحفزات**، و**تلطيف المناخ الداخلي**، واستخدام **الأدوية المضادة للهستامين أو البخاخات الموضعية**. إنها تذكير بسيط من الطبيعة بأن الجمال قد يلسع أحياناً، وأن الزهرة التي نستنشقها قد تحمل في رحيقها شيئاً من العذاب.



ثم يأتي **التليف الرئوي**، المرض الذي يجعل من الرئة حمراً بعد أن كانت غيمة. تتصلب أنسجتها تدريجياً، ويصبح دخول الهواء إليها عملاً شاقاً، كمن يحاول النفح في صخرة. أسبابه متعددة : بعضها وراثي،

وبعضها مرتبط بالposure الطويل لمواد سامة، أو كأثر جانبي لأمراض مناعية. أعراضه تبدأ بضيق النفس المتزايد وسعال جاف مزمن، ويكتشف عادة عبر التصوير الطبي وفحوص التنفس. العلاج صعب، لكنه ممكن من خلال أدوية تُبطئ التلَّيف، وأحياناً زراعة رئة جديدة تعيد للمريض حياته كما تُعاد السماء لزرقتها بعد الغيم.

وفي عمق كل هذه الأمراض، يبقى المشهد واحداً : إن التنفس، أبسط أفعالنا اليومية، هو في الحقيقة أعقدها وأكثرها قداسة. الهواء الذي ندخله إلى أجسادنا ليس مجرد غاز، بل هو مشاركة مع الكون في دورة الحياة. حين يختل هذا التوازن، ويصبح الهواء عبئاً بدل أن يكون خلاصاً، يدرك الإنسان هشاشته في مواجهة اللامرأي.



وفي الختام، فإن أمراض الجهاز التنفسي ليست مجرد

قائمة من العلل، بل هي مرآة حضارتنا الحديثة، التي  
لوثت الهواء ودفعت الثمن أنفاساً مختنقة. إنها تذكرنا  
بأن الهواء ليس ملكاً لنا وحدينا، بل هو عهد بيننا وبين  
الأرض. من يفسده يخون الحياة نفسها. والرئة، حين  
توقف عن الغناء، لا تموت فقط... بل تصمت فيما تلك  
الموسيقى السرية التي كانت تجعلنا بشرًا.

هكذا، كل شهيق وزفير هو وعد بالوجود، وكل اختناقٍ  
هو نداء من العالم أن نعيد لأنفاسنا نقاءها الأول.



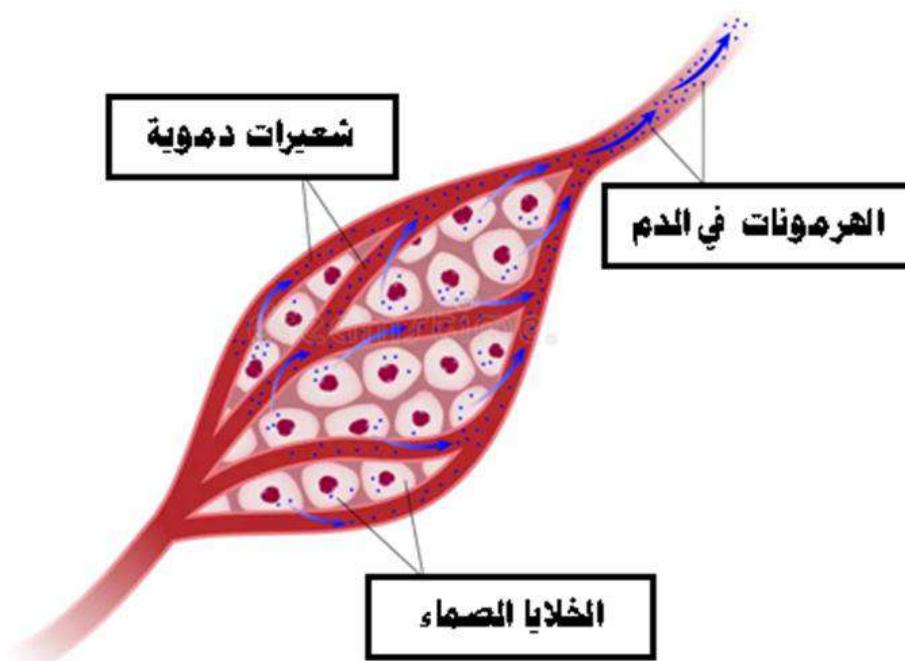
أَسْرَارُ الْخَلْقِ

الحمد

( أَصْلَمْ بِسْمِكَ اللَّهِ )



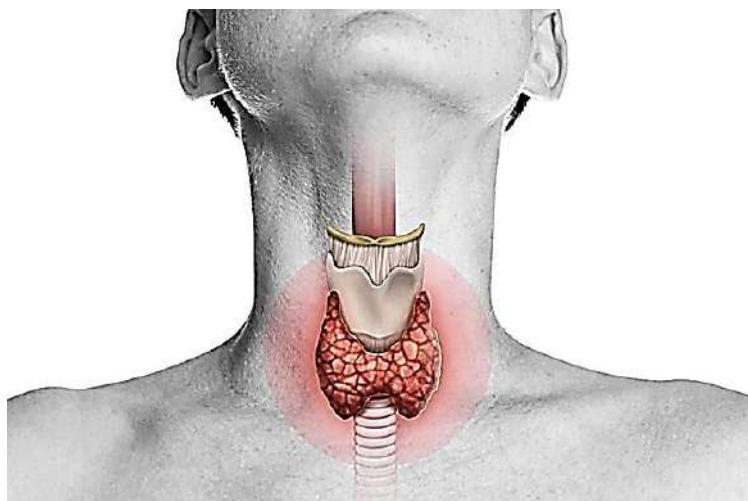
في أعمق الجسد، حيث لا تطرق الحواس باباً، تجري حوارات صامتة بين الغدد والدم، بين نداءات خفية لا تُسمع ولكنها تُوجّه مصائرنا في أدق تفاصيلها. هناك، في تلك المملكة المظلمة المضيئة بالمعنى، تسكن الغدد الصماء ككهنة خفية في معبد الجسد، تصبّ في العروق قطرات من المعاني الكيميائية، تشعل بها رغبة أو تُطفئ حزناً، توظّل القلب أو تُثقل الخطى، تزرع الجوع أو تنشر الطمأنينة ، دعاها البعض غدداً صماء لأنها تلقى بمفرزاتها من الهرمونات في الدم مباشرةً بدون قنوات إفرااغ. هي ليست مجرد غدد، بل هي الإرادة البيولوجية التي تصنع المزاج، وتوزن الزمان الداخلي، وتنسج خيوط الحياة الدقيقة بين الفكر والعاطفة والجسد.



وحين تختل تلك الخيوط، يبدأ الإنسان في سماع صوت جسده وهو يتكلم بلغة المرض، فيكتشف أن الصمت

الهرموني الذي كان يسيّر العالم الصغير في داخله قد تبّدّ، وأن التناغم القديم بين الغدد والدماغ لم يعد كما كان. عندها تنكشف مملكة الغدد الصماء، بكل أسرارها المدهشة، لنرى كيف يمكن ل قطرة زائدة من هرمون أو لنقصٍ ضئيلٍ أن يغيّر مصيرًا، أو يشوّه إحساسًا، أو يعيد تشكيل إنسان.

من بين تلك الغدد، تبرز **الغدة الدرقية** كakahنة الضوء الداخلي. تقع صغيرة عند قاعدة العنق، لكنّها تحكم في حرارة **الجسم واستقلابه**، كأنّها المدفأة السرية للحياة. حين تفرط في نشاطها، كما في حالة **فرط إفراز الغدة الدرقية** لهرموناتها **T4 و T3**، يتحول الجسم إلى نار لا تهدأ. يزداد خفقان القلب، وتتسارع دقات الحياة نفسها، يفقد الإنسان وزنه رغم شهيته المفتوحة، ويتصبّب عرقه حتى في البرد. عيونه تلمع بقلق غامض، وصدره يضجّ بنبض مضطرب، وجسده يرتجف كمن يسكنه تيار كهربائي دائم.



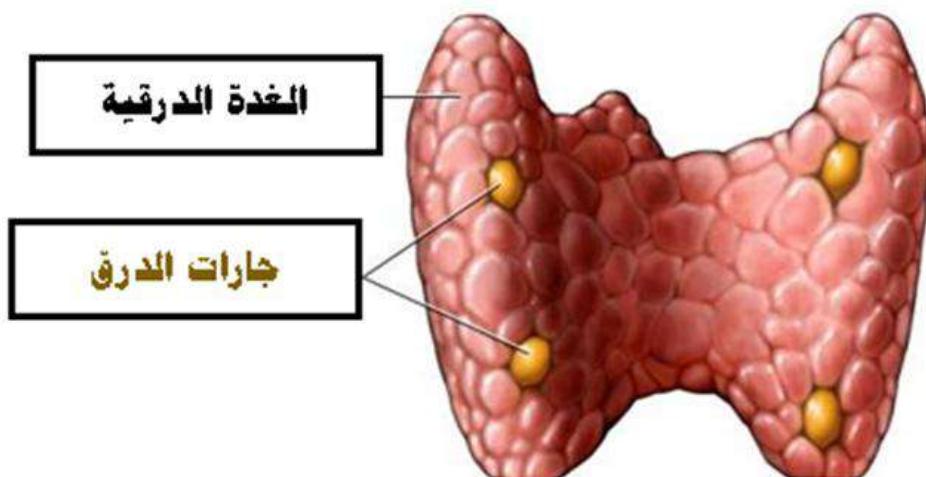
السبب في هذا الاضطراب قد يكون زيادة إنتاج الهرمون الدرقي بسبب خلل مناعي يجعل الجسم يهاجم غذّته، كما في داء غريفز ، أو بسبب عقدٍ صغيرة في الغدة تفرز الهرمون دون رقابة. ويكشف التخدير عن هذا الهيجان الداخلي بتحليل دم بسيط يظهر ارتفاع الهرمونات الدرقية، وتأكيداً بصورةٍ فوق صوتية أو مسح نوويٍ للغدة. أما العلاج، فهو محاولة لإخماد النار: **أدوية** تقلل إفراز الهرمونات، أو **اليود المشع** الذي يطفئ فرط النشاط، أو **جراحة** تزيل الجزء المتمرّد. ومع كل علاج، تبقى الحقيقة قائمة : من السهل تهدئة النار، لكن الأصعب هو استعادة اتزان اللهب.

وعلى الطرف المقابل، تقف حالة **قصور الغدة الدرقية**، النقيض البارد لذاك اللهيب. هنا يخفت الضوء الداخلي ويغدو الجسد بطبيعاً كشائعاً طويلاً. يشعر المريض بالوهن، وببرودة لا تفارقه، وبنوم ثقيل يشبه الغياب. وجهه ينتفخ بلطفة حزينة، وصوته يخفت، وفكره يثقل، كما لو أن الزمان تباطأ داخله. يحدث ذلك غالباً بسبب داء مناعي آخر يجعل الغدة تُدمر نفسها، أو بعد **علاج** مفرط لفرط النشاط السابق.

التخدير بسيط في مظاهره، عميق في معناه : انخفاض الهرمون الدرقي في الدم، وارتفاع هرمون الغدة النخامية **TSH** الذي يحاول عبثاً أن يوقظ الدرق. أما العلاج فهو استعادة النور المفقود عبر **تعويض** هرمونيٍّ

**يوميٌّ** يعيد للحياة حرارتها. إن قصور الغدة الدرقية ليس مرضًا في الجسد فحسب، بل درس في الفلسفة الحيوية : ( من يبرد داخله، يحمد خارجه ) .

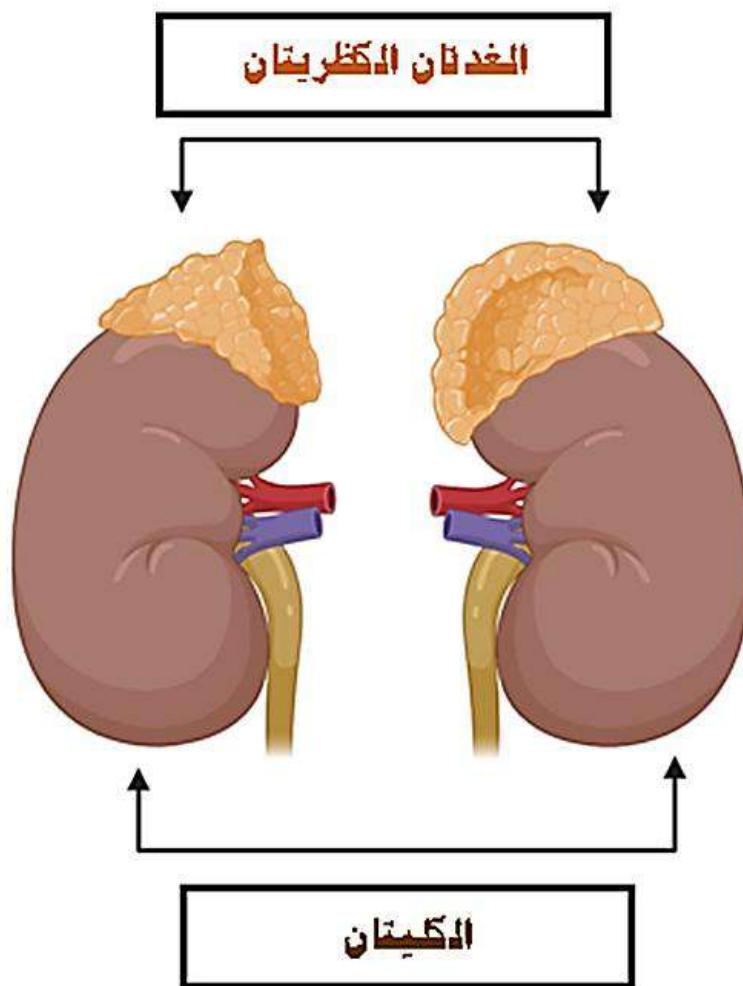
ولا يمكن نسيان **الغدة جارات الدرق**، تلك الغدد الصغيرة الأربع القابعة على الوجه الخلفي للغدة الدرقية، التي تتحكم في توازن الكالسيوم والفوسفور في الدم. حين **تفرط في نشاطها**، ترتفع نسبة الكالسيوم، فيشعر الإنسان بالعطش الشديد، وبضعف في العظام التي تبدأ بالتأكل، وبحصوات في الكلى، وبخمول ذهنيٍّ غريبٍ. ويحدث ذلك عادةً بسبب **ورم صغيرٍ حميٍّ** يجعل الغدة تعمل دون توقف.



أما حين **تفشل**، فينخفض الكالسيوم، تبدا العضلات بالاختلاج، والشفاه بالارتفاع، كأن الجسد كله يعزف لحناً مرتعشاً من الألم. التخدير والعلاج يعتمدان على **قياس مستوى الكالسيوم والهرمونات**، وعلى إعادة

الاتزان عبر **أدوية ومكمّلات دقيقة**، لأن زيادة الكالسيوم أو نقصانه يشبه خلل الضوء في العين : كلاهما يبدد وضوح الرؤية للحياة.

ثم تأتي **الغدة الكظرية**، تلك الجوهرة الصغيرة التي تجثم فوق الكليتين كحارسين أبديين، وتفرز هرموناتٍ تنظم الضغط والمناعة والطاقة ومواجهة الخطر.



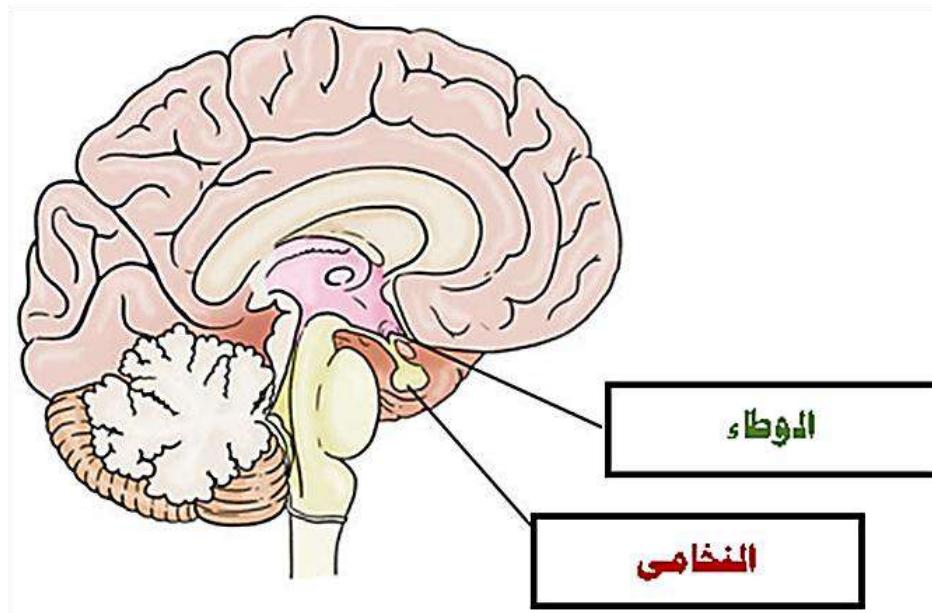
حين تصاب هذه الغدة **بفرط النشاط**، كما في **متلازمة كوشينغ**، يغدو الجسد ضحيةً لقوسّته الخاصة. هنا يتکاثر الكورتيزول في الدم، ذلك الهرمون الذي حُلق

ليحمي في الأزمات، فإذا ازداد، حول الحماية إلى هدم.

ينظر المريض بوجه مستدير كالبذر لكنه منفوخ  
بالتعب، وبطن يترهل، وأطرافٍ نحيلة كأغصان جفت.  
يرتفع الضغط والسكر، وتضعف العظام والجلد، ويغدو  
الجسد هشاً أمام كل جرح أو كدمة. السبب قد يكون  
ورماً في الغدة الكظرية، أو تحفيزاً مفرطاً من الغدة  
النخامية. والتشخيص أشبه بتحقيقٍ داخليٍّ دقيقٍ في  
مسرح الجسد، يعتمد على قياس الكورتيزول في الدم  
والبول، وصور مقطعيّة تكشف الجاني الحقيقي. أما  
العلاج، فيكون جراحياً حين يُستأصل الورم، أو دوائياً  
حين تُكبح العاصفة الهرمونية. وهكذا يتعلم الجسد درسه  
القاسي : حتى الحماية المفرطة تحول إلى خطر إن لم  
تعرف حدودها.

أما الوجه الآخر لهذا الخلل، صور الغدة الكظرية،  
فيحمل بروداً وارتعاشاً خفياً. هنا ينقص الكورتيزول،  
فيتلاشى النشاط، ويختفت ضغط الدم، ويفقد الإنسان  
شهيته حتى للحياة. يتسبب عرقاً بارداً، ويشعر بدوران  
عند الوقوف، وقد يغمى عليه حين يشتد النقص. يكتشف  
الأطباء الأمر عبر تحليل الدم ومراقبة مستوى  
الهرمونات، ويعالجوه بإعطاء الكورتيزول الصناعي  
الذي يعيد للجسم قدرته على الصمود أمام الصدمات.  
لكنه يبقى مرضياً مقلقاً، لأن غيابه المفاجئ قد يعني  
انهيار الجسد بالكامل.

لننتقل إلى أعمق الدماغ، حيث تمتزج الفكرة بالإشارة والنبض، يسكن **الوطاء**، ذلك الكيان العجيب الذي لا يمكن تسميته غدة تماماً، ولا عقلاً بالكامل، لأنه يقف على الحافة بين الجسد والفكر، بين المادة والإرادة. إنه الأب الرؤوف الذي يهمس في أذن الغدة النخامية، فيطلب منها أن تفتح أبوابها أو تغلقها، يرسل عبر الأعصاب والدم موجات من الأوامر لا تُرى ولكنها تُطاع، يحكم حرارة الجسم كما يحكم انفعالاته، يوزع النوم واليقظة، الجوع والشبع، الرغبة والسكينة، الشهوة والعفة.. في نظام يكاد يكون موسيقى من الدقة والتناسق.. حجمه كحبة اللوز ولا وزن ثابت له.



الوطاء هو المرأة التي تعكس حوار الداخل والخارج؛ فعندما يقترب الإنسان من الخطر، أو يشتّد عليه القلق، أو يفيض قلبه بالعاطفة، ينهض هذا السيد الصامت

ليحول المشاعر إلى أوامر هرمونية : يسرع القلب، يرفع الضغط، يحرّض الغدد الكظرية لتفرز الأدرينالين، ويمنح الكبد أمراً بإطلاق السكر إلى الدم، كأنّ الجسد بأكمله جيش يستعدّ لمعركةٍ تستعر في النفس.

وحيث يهدأ القلب، ينحسر صوته كما تنحسر أمواج البحر، ويعود الجسد إلى سكونه العاقل، كأن شيئاً لم يكن.

ولأن الوطاء يتصل بكل ما فينا من مشاعر وفكـر وغرائز، فإن أي اضطراب في توازنه ليس مرضـاً في الجسد وحده، بل هو خلل في الترجمة بين الروح والجسم. فعندما يختل إفراز الهرمونات التي يتحكم بها – كهرمونات إطلاق الهرمونات النخامية أو الهرمون المضاد لإدرار البول **ADH** – يضطرب الجسد بأشكال عجيبة : قد يختفي الإحساس بالعطش رغم الجفاف، وقد يفقد الإنسان قدرته على النوم أو السيطرة على حرارة جسده. التشخيص هنا يحتاج إلى بصيرة أكثر من فحص، لأن ما يُصاب في الوطاء ليس عضواً منفصلاً، بل محور الوجود الحيوي كله.

أما العلاج، فهو سعي لاستعادة تلك اللغة المفقودة بين الدماغ والغدد. قد تُستخدم الأدوية المنظمة للإفراز، أو الهرمونات البديلة، أو حتى الجراحات الدقيقة في قاع الدماغ، ولكن ما يُشفى أولاً هو الحوار ذاته : أن يعود

الجسد ليستمع إلى عقله، وأن تعود النغمة القديمة بين  
الفكر والدم إلى انسجامها الأول..

و في ختام أمراض الوطاء نذكر مقوله عميقة للدكتور مصطفى حجازي من كتابه الرائع ( الإنسان المهدور ) :

( الحَجْرُ عَلَى الْعُقُولِ وَمَنْعُ التَّفْكِيرِ الَّذِي تَمَارِسُهُ  
الْعَصَبَيَاتُ الْمُخْتَلِفَةُ تَدْفَعُ إِلَيْنَا إِلَى الرَّضْوَخِ ، وَ  
بِالْتَّالِي تَعْطِيلُ الْعُقْلِ ، وَ لَا يَبْقَى فَاعِلًا فِي الدَّمَاغِ إِلَّا  
الْوَطَاءُ – هَايْبُوَثَالَامُوسُ )

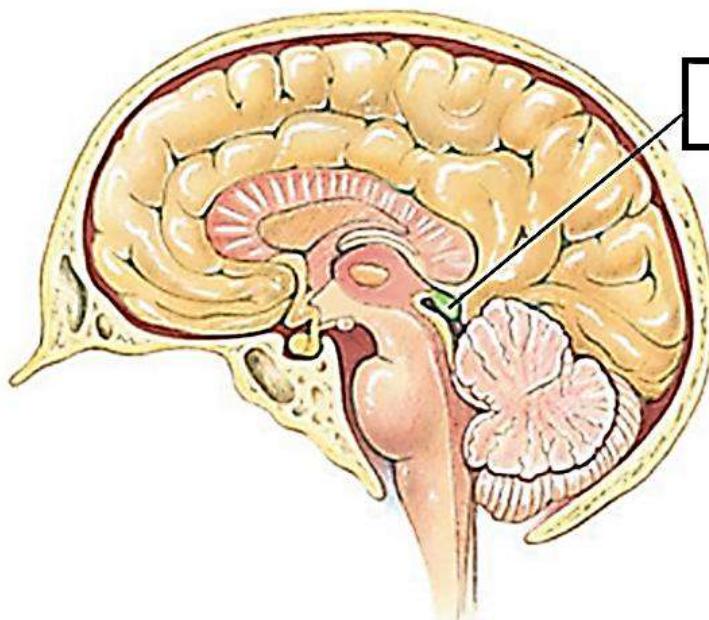
و هذا يعني تحويل الإنسان إلى مجرد حيوان يأكل و يشرب و يمارس الجنس و الضحك و البكاء .

لنزل قليلاً أسفل الوطاء حيث تختبئ **الغدة النخامية**، أشبه بملكةٍ خفيةٍ في قصرٍ مظلم، تدير ممالك الغدد الأخرى بأوامرها الهرمونية. إن مرضها يعني فوضى في المملكة كلها. حين تفرط في إفراز هرمون النمو، يظهر داء العملاقة أو ضخامة النهایات، فيطول الجسد أو تتضخم ملامحه، تكبر اليدان والقدمان والأنف والفالق، ويصبح الوجه مرآةً لاضطراب الزمن. السبب عادةً ورم حميد في الغدة، لكنه ورم يبدّل الملامح كما يبدّل القدر مجرّاً.

**التشخيص يتم عبر قياس هرمون النمو واستخدام الصور الطبية للدماغ، والعلاج جراحي في أغلب**

الأحيان لإزالة الورم، مع **أدوية** ترتبط الإفراز الزائد. أما حين تفشل الغدة في إنتاج هرموناتها، كما في **قصور الغدة النخامية**، يغدو الجسد كمدينة بلا حاكم : **ضغط منخفض**، فتور عام، ضعف في **الهرمونات الجنسية** والدرقية والكظرية معًا. العلاج هنا هو إعادة التوازن قطعةً قطعةً، عبر **إعطاء ما فقده** الجسد من هرموناتٍ منسقةٍ بدقةٍ تشبه إعادة هندسة السمفونية بعد صمت.

ثم هناك **الغدة الصنوبرية**، الأصغر والأكثر غموضاً، التي تُنتج **هرمون الميلاتونين** المسؤول عن إيقاع النوم **واليقظة**. حين يختل توازنها، **يفقد الإنسان إحساسه بالليل والنهار**، ويعيش في غربة زمنية داخل جسده. ليست أمراضها شائعة، لكنها فلسفية في معناها : إنها الغدة التي تنظم علاقة الإنسان بالكون، بالنوم والأحلام، بالنور والظلمة، وكأنها البوصلة الروحية للجسد.



الغدة الصنوبرية

و هكذا نصل إلى تخوم الفهم الفلسفـي : إن الغدد الصماء  
ليست أجهزة معزولة ، بل شبكة من الضوء الكيميائي  
تنسج و عينا نفسه . حين تختلّ ، يختلّ فينا الإيقاع ،  
غضب بلا سبب ، نبكي بلا مبرر ، نحبّ أو ننفر كما لو  
كانت مشاعرنا ليست لنا . هذه الأمراض ليست مجرد  
خلٍ في الهرمونات ، بل في المعنى ذاته الذي يجعلنا  
بشرًا

وفي النهاية، حين ننظر إلى الجسد بكل ما فيه من غددٍ صمّ، ندرك أن الحياة ليست إلا توازناً هشاً بين فيضٍ ونقص، بين حرارةٍ وبرودة، بين ضوءٍ وظلٍ. إن الإنسان ليس قوياً بقدر ما هو متوازن، وليس خالداً بقدر ما هو منسجم مع قوانين خفيةٍ تدير داخله مواسم الحياة.



حين تخلّ هذه الغدد بصمتها القديم، نشعر كأننا فقدنا

موسيقى داخلية لا تُسمع، بل تُعاش.

وفي تلك اللحظة فقط، نفهم أن الحكمة ليست في أن نحيا طويلاً، بل في أن نحيا بانتظامٍ يليق بعزف الكون فينا.

فمن يحافظ على تناغم غدده، يحافظ على اتصاله بالوجود، ومن يختل داخله تفسد نغمة العالم في أذنه... لأن الجسد، في نهاية المطاف، ليس آلة بيولوجية فحسب، بل قصيدة مكتوبة بلغة الهرمونات، تتلى بصمتٍ في أعماقنا منذ اللحظة الأولى للتكوين.



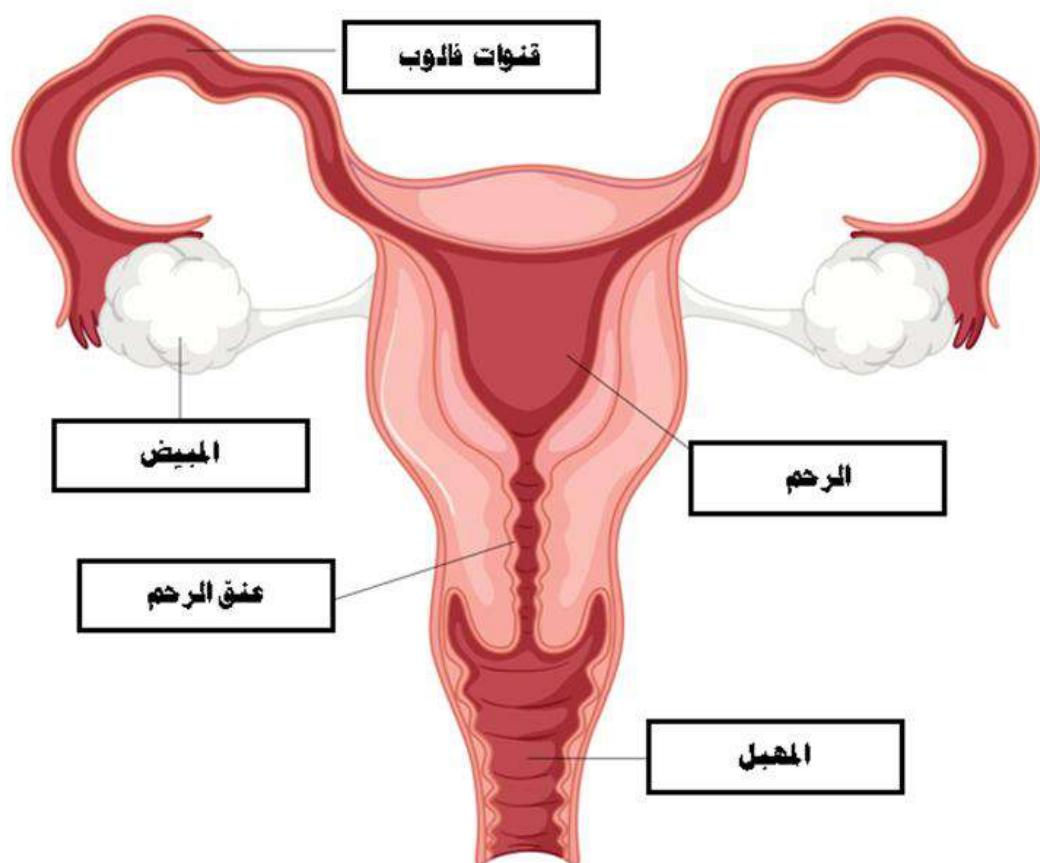
أُمِّيَّاضُ الْجَهَانَ

الْعَنْدِلِيُّ الْأَنْشَوُرِيُّ

( الْوَرْدَةُ وَ الْأَنْشَوُرُ )



في الجسد الأنثوي سر يشبه نشيد الخلق الأول، فهناك في أعماقه تنبض القدرة على استمرار الحياة، تتكون البذرة الأولى للإنسان في رحم يجمع الحنان والظلمة، في مكان يشبه الذاكرة الأولى للكون. ليس الجهاز التناسلي الأنثوي مجرد منظومة من الأعضاء، بل هو كيان روحي متجسد، يكتب قصة المرأة مع الزمن، يرويها بأوجاعها، ودوراتها، وصمتها، وانبعاثها من جديد كل شهر كما تنبعث الأرض بعد المطر. هو نظام كوني صغير، فيه من الفصول الأربع ما في الطبيعة من تبدل، ومن القمر ما في الليل من حنّ ونقصان.



لكن هذا العالم الدقيق، المتناسق بعمقية لا تُقاس، يمكن أن يختل بتغيير بسيط في توازن الهرمونات أو

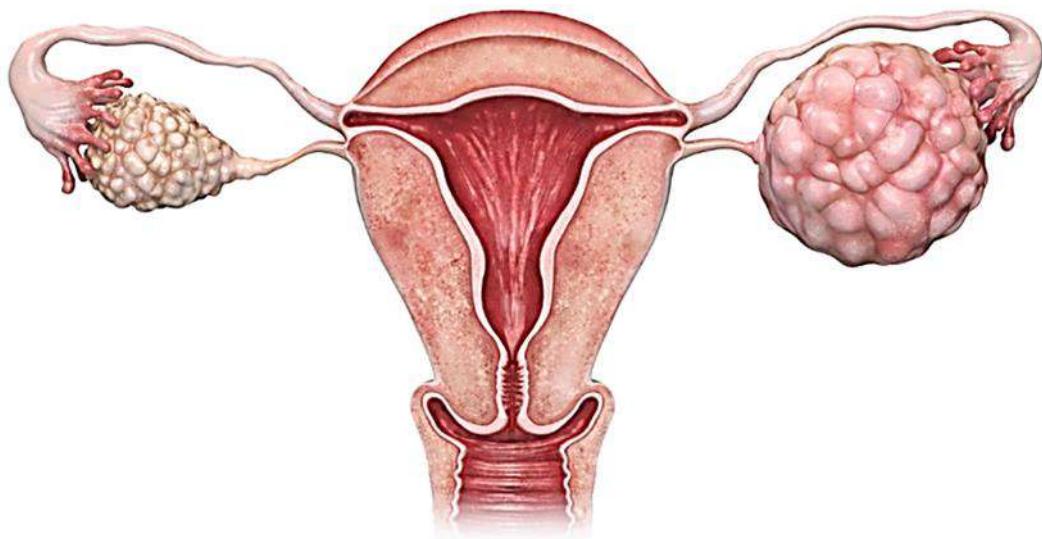
بميكروب صغير يتسلل خلسة، أو بورم لا يسمع أحد نبضه في بدايته. وعندها، تبدأ لغة الجسد بالتحول إلى حوارٍ غامض بين الألم والأمل، بين ما كان سرّاً للحياة وما صار نداءً للعلاج.

يبدأ كل شيء غالباً بالتهابٍ بسيط، كرسالة من الجسد إلى صاحبته. **التهابات المهبل وعنق الرحم** من أكثر ما تواجهه النساء في حياتهن، وقد تبدو عابرة لكنها في جوهرها تعبير عن اختلال البيئة الدقيقة التي تحرس النقاء الداخلي. فحين تضعف البكتيريا النافعة التي تعيش في المهبل، أو يزداد الحامض اختلالاً بسبب تغيير الهرمونات، أو بسبب استخدام مطهرات قاسية أو مضادات حيوية عشوائية، تنتهز الجراثيم الفرصة ل تستوطن المكان. تظهر الحكمة والإفرازات والرائحة، وأحياناً الألم عند العلاقة أو التبول، كأن الجسد ينطق بما لا تستطيع الكلمات قوله.

ويكشف **الفحص السريري والمخبري** عن طبيعة العدوى : **فطرية، بكتيرية أو فيروسية**. يُعالج السبب بدقة: مضاد للفطريات إن كان المذنب هو الكانديدا ، أو مضاد للبكتيريا إذا كانت العدوى ناتجة عن جراثيم لا هوائية أو منقوله جنسياً. لكن العلاج الحقيقي لا يمكن في **الدواء** وحده، بل في إعادة التوازن الطبيعي، في فهم الجسد كمنظومة تحتاج إلى انسجام، لا إلى حرب

مستمرة مع نفسها.

وفي عمق هذا العالم الغامض، تتربي المبايض كحارستين على سرّ الخصوبة، تتناوبان الإباضة في دورة دقيقة تحكم فيها إشارات من الدماغ والهرمونات القادمة من الغدة النخامية. لكن حين تصاب المبايض باضطرابٍ يُسمى **تكيس المبايض** ، يتغير كل شيء. لا تعود البوياضة تخرج كما يجب، ويتجمّع على سطح المبيض عدد كبير من الجريبات الصغيرة التي لم تنضج. **ترتفع هرمونات الذكورة قليلاً** ، فتنبّدل الملامح: يظهر الشعر في غير موضعه، يزداد الوزن، وتغيّب الدورة الشهرية أو تضطرب، كأنّ الزمان الأنثوي نفسه اختل في إيقاعه.



الأسباب متشابكة بين الوراثة ونمط الحياة واضطراب حساسية الأنسولين، لكن العبرة في التشخيص **بالفحص الهرموني والتصوير بالأمواج فوق الصوتية**. أما

العلاج، فيسعى لإعادة التوازن : **تنظيم الهرمونات بالأدوية، تحفيز الإباضة لمن ترغب بالحمل، وتعديل النظام الغذائي لتخفيف مقاومة الأنسولين**. غير أن العلاج الأعمق هو في إعادة الإيقاع إلى طبيعته، أن يستعيد الجسم لحنه الأصلي الذي فقده بين الإجهاد والقلق.

ثم هناك المرض الذي يختلط فيه الألم بالدهشة : **الانتباذ البطاني الرحمي**، حين يقرر نسيج بطانة الرحم أن يهاجر إلى أماكن لم تُخلق له - إلى المبيضين أو جدار الحوض أو الأمعاء - فينمو هناك ويستجيب كل شهر لتقلبات الهرمونات كما لو كان في مكانه الأصلي، فينZF في غير موضعه ويسBب التهابات والتصاقات وألمًا عميقًا.



لا يُرى هذا المرض بسهولة، وقد يُخطئه الأطباء

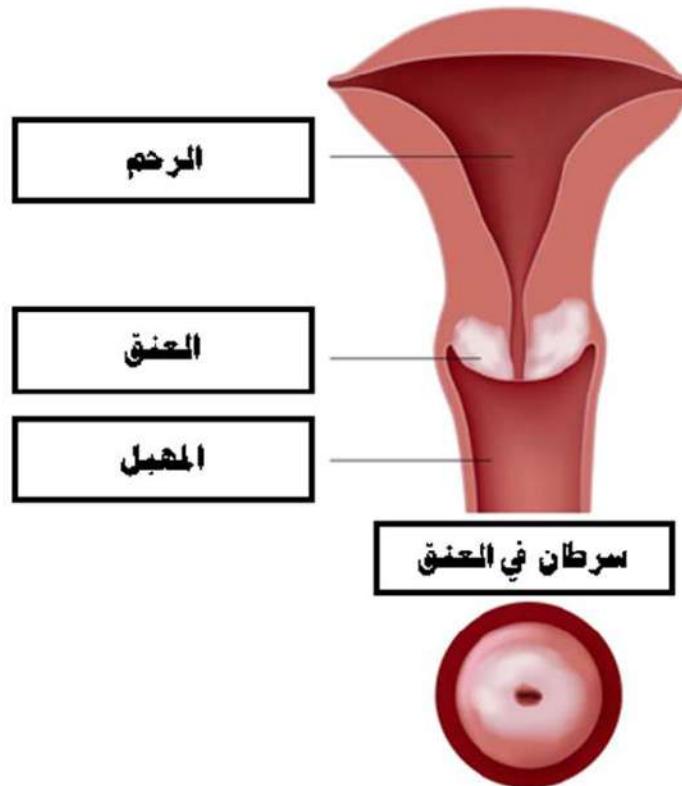
لسنوات، إذ يبدو الألم الطبيعي طبيعياً، إلى أن يصبح أشدّ من أن يُحتمل. يُكشف **بالمظار غالباً**، ويُعالج **بتثبيط الهرمونات أو باستئصال البؤر المنتشرة جراحياً**.

لكنه في بعده الإنساني، يشبه رحلة امرأة تقاوم شيئاً في داخلها لا يريد أن يهداً. مرض الانتباذ البطاني ليس مجرد خلل في مكان النسيج، بل رمز لصراع بين الحياة والمكان، بين انتماء الخلية وقدرها، وبين الرحم الأصلي وموطن المنفى التي تنتهي فيها.

أما **سرطان عنق الرحم**، فهو قصة أكثر تعقيداً، لأنها تبدأ بصمتٍ طويل. فيروس صغير ينتقل عبر العلاقة الجنسية ( **فيروس الورم الحليمي البشري** ) يتسلل إلى خلايا العنق، يغرس في شفترتها الوراثية بصبرٍ عجيب، ثم يبدأ التحول من خلايا سليمة إلى خلايا شاذة، فسرطانية. ولا تشعر المرأة بشيء إلا بعد سنوات، حين يظهر نزف غير معتمد بعد العلاقة، أو إفرازات غريبة، أو ألم متاخر.

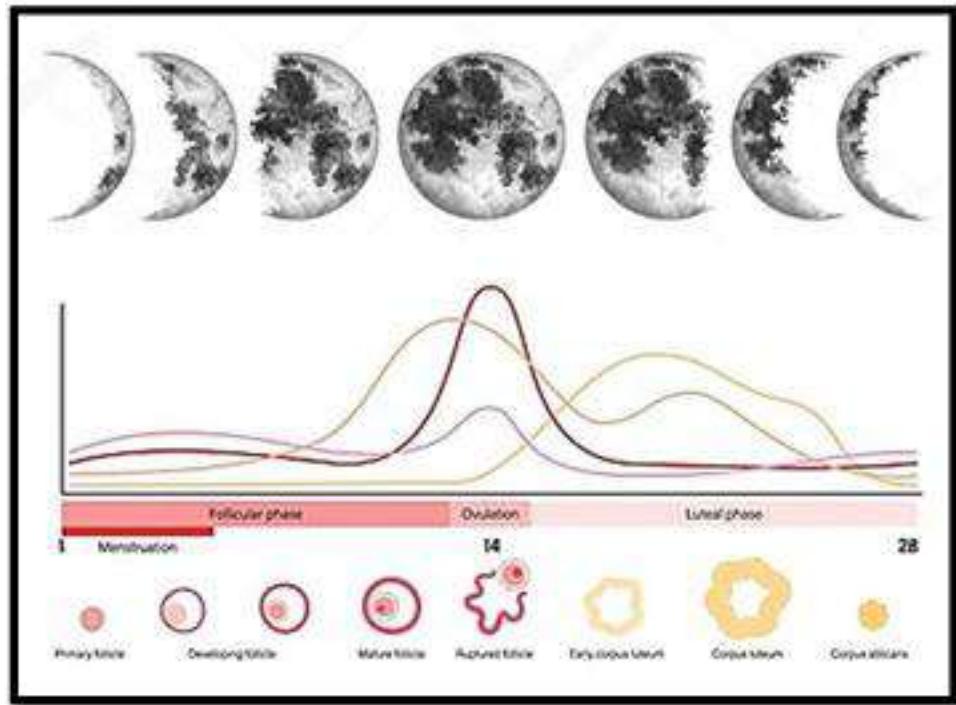
تكمّن أهمية هذا السرطان في أنه من أكثر السرطانات التي يمكن الوقاية منها، لأن الطب اكتشف طريقاً للكشف المبكر عبر المسحة الخلوية المنتظمة ( مسحة عنق الرحم ) والتطعيم ضد الفيروس المسبب. العلاج يتراوح بين **الجراحة والاستئصال الموضعي والعلاج**

**الإشعاعي أو الكيميائي بحسب المرحلة**، لكن الأمل هنا حقيقي : فالكشف المبكر ينقد حياة، لأن الجسد يمنح إشاراته في الوقت المناسب لمن يحسن الإصغاء.



وفي ركنٍ آخر من هذه المملكة، تنبض الرحم بقصص أخرى، **كالأورام الليمفية الحميدة** التي تنموا كجزر في جدارها، تغتذى بالهرمونات الأنثوية وتكبر ببطء، مسببة ثقلاً ونزفاً واضطراباً في الدورة. هي أورام لا تريد فناً للجسد بل تذكره بخصوصيته الزائدة عن الحاجة، و تعالج بحسب حجمها وتأثيرها بالأدوية **المثبتة أو الجراحية أو تقنيات إغلاق الشرايين المغذية**. ومع كل استئصالٍ منها، تشعر المرأة كأنها تودّع قطعة من تاريخها الداخلي، لأن الرحم ليس عضواً وحسب، بل ذاكرة متجسدة.

وهناك أيضاً **اضطرابات الطمث**، تلك اللغة التي يتحدث بها الجسد كل شهر عن توازنه أو اختلاله. فحين تغيب الدورة أو تتأخر أو تأتي بغزاره، فإنها لا تشكو من رحمٍ فحسب، بل من منظومة كاملة تتنفس الهرمونات. يُبحث عن السبب في المبيض والغدة الدرقية و هرمون البرولاكتين المفرز من الغدة النخامية وحتى النفس التي قد تغلق الأبواب الهرمونية بصمتها. العلاج هنا أشبه بإعادة الحوار بين الزمان الأنثوي والعقل، بين القمر الداخلي ودورته التي انكسرت.



ولا يمكن الحديث عن الجهاز التناسلي الأنثوي دون التوقف عند **العقم**، ذلك الامتحان الوجودي الذي لا يقاس فقط بالتحاليل، بل بما يزرعه في النفس من صبر وأمل. أسبابه كثيرة : **اضطرابات الإباضة، انسداد الأنابيب، ضعف المبيضين، أو أسباب غير مفسرة رغم**

كل الدقة. لكن الطبّ الحديث فتح نوافذ للأمل في **أطفال الأنابيب وتقنيات الإخصاب المساعد**. غير أن أعمق علاج يظلّ في التصالح مع المعنى، لأن القدرة على الإنجاب لا تُنْخَص المرأة، كما أن الأمومة ليست دائمًا بـ**بيولوجية**، بل قد تكون في الحنان الذي يُمنح للحياة **أينما كانت**.



في المقابل، لا يُهمل الطبّ **اضطرابات سنّ الحكمة (الضهي)**، حين تخفت الهرمونات تجفّ الدورة الشهرية، ويبدأ الجسد صفحة جديدة من نضج مختلف. **تظهر الهبات الحرارية وتقلبات المزاج وجفاف الأنسجة وتغيرات العظام**، لكن هذه ليست علامات انحدار، بل تحول من خصوبة إلى حكمة، من دورة الدم إلى دورة البصيرة. يُساعد **العلاج الهرموني التعويضي** أحياناً في

التخفيف من الأعراض، لكن الأهم هو فهم هذه المرحلة  
كتحول لا ك فقد.

إن أمراض الجهاز التناسلي الأنثوي ليست أمراضًا  
بالمعنى الجاف للكلمة، بل حكايات عن علاقة المرأة  
بجسدها، عن حوارٍ أبدي بين الخلق والخلل، بين  
الخصوصية والآلم، بين الغياب والعودة. كل آلمٍ فيها  
يحمل معنى، وكل خللٍ يفتح باب تأملٍ في سرّ التوازن  
الذي يحكم الكائن الحي.

فالأنوثة، في أعمق معانيها، ليست جسدًا يولد أو يمرض  
أو يُشفى، بل هي موسيقى الحياة في أدقّ صورها :  
تضعف ثم تعود، تذبل لتجدد، تنزف لتثبت، كما تفعل  
الأرض مع كل ربيع.

وحين تفهم المرأة جسدها، لا كعدوٍ يجب السيطرة عليه  
بل كرفيقٍ يجب الإصغاء إليه، يتحوال المرض إلى لغة  
من لغات الوعي، ويصبح الألم رسالة من الداخل لا  
لعقاب، بل لإيقاظ ذلك التوازن الخفيّ الذي به يكتمل  
معنى الوجود.





# أعراض الجهاز

الجهاز

( بدقة أعضائك )



في أعمق الرأس، بين تلافيفٍ من لحمٍ كهربائيٍ لا يُرى فيه النور، تسكن أعظم معجزةٍ عرفتها الخليقة : الدماغ، تلك الغابة المتوهجة حيث تسري شرارات الفكر والإحساس، حيث يكتب الوعي على صفحةٍ من النبض والكهرباء. إن الجهاز العصبي ليس مجرد أسلامٍ من الخلايا، بل هو ذاكرة الكون وقد انكمشت في إنسان. فيه تخبي الذكريات كما تخبي الكواكب في ظلمةٍ بعيدة، ومنه تتبثق الأوامر التي يجعل اليد ترتجف فرحاً أو ترفع سلاحاً. هو العالم الذي لا يُرى، ومع ذلك يدير كلّ ما نراه.



غير أنَّ هذا العالم، الذي يزن أقل من بضعة كيلوغرامات، يمكن أن يسقط فجأةً في صمتٍ أو اضطراب، أن يفقد توازنه كعازفٍ نسي لحنِه، فيصير

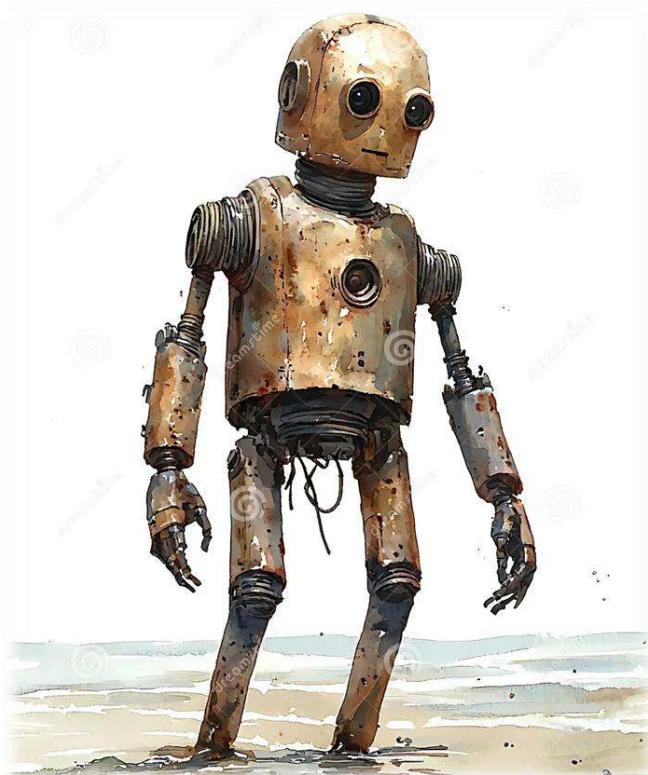
الكلام متلعثماً، والذاكرة ضباباً، والجسد مسرحاً لارتجافٍ لا إرادة له فيه. حين يمرض الجهاز العصبي، لا يمرض عضوٌ واحد، بل تترنّح الإنسانية نفسها، لأن الوعي - تلك الشعلة المقدّسة - تهتز في مهب العطب.

أكثر ما يرهق هذا الجهاز هو **السكتة الدماغية**، تلك اللحظة الفاصلة التي يتوقف فيها الزمن في رأس الإنسان. حين تنسد شرايين الدماغ بجلطةٍ صغيرة أو ينفجر شريانٌ هشٌّ، تقطع التغذية عن منطقةٍ منه، فتغيب القدرة على النطق أو الحركة أو الوعي في ومضةٍ خاطفة. الأسباب كثيرة : ارتفاع الضغط، داء السكري، التدخين، اضطرابات الدهون، والشيخوخة التي تضعف الشرايين كما تضعف جذور الأشجار. وتظهر الأعراض كعلاماتٍ للخلل المفاجئ : شللٌ في نصف الجسد، اعوجاج الفم، اضطراب النطق، غشاوة الوعي.

لكن التشخيص الدقيق يكتبه الطب بلغة الصورة، في أشعةٍ مقطعيّة أو رنينٍ مغناطيسي يكشف مكان النزف أو الانسداد، لتبدأ بعدها معركة الزمن : فكل دقيقةٍ تساوي ملايين الخلايا العصبية. العلاج أشبه بسباقٍ مع الفناء؛ إذ تتم إذابة الجلطات بالأدوية أو جراحة النزف أو إعادة تأهيل تعيد للجسد ذاكرته الحركية شيئاً فشيئاً. إلا أن ما لا يُشفى بسهولة هو أثر الرعب الذي يتركه

المرض في الوعي ، فكرة أن لحظةً واحدة تكفي ليمحي نصف الإنسان من نفسه.

وفي طريقٍ آخر من طرق الدماغ، يسير داء باركنسون كظلٍ ثقيلٍ على الزمن. يبدأ برعشة خفيفة، ببطء في الخطى، بتجمدٍ في الملامح كأن الوجه نسي أن يعبر عن ذاته. إن سببه فقدان خلايا في منطقة عميقه تدعى المادة السوداء ، تلك التي تفرز مادة تحكم الحركة والمرونة. حين تتناقص، يتصلب الجسد كآلة صدئة، ويصبح المشي فعلاً من الذاكرة لا من الغريزة كروبوبت قديم يتحرك بصعوبة .



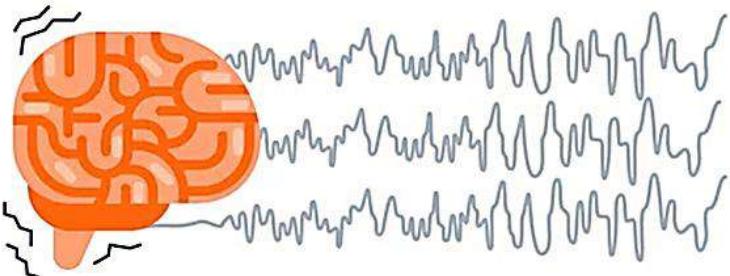
العلاج يقوم على تعويض المادة الناقصة بالأدوية المنبهة لتلك الخلايا أو بجراحات دقيقة تزرع فيها

أقطاب كهربائية تعيد الإيقاع العصبي إلى مساره. لكنه مرضٌ لا يُقاس بدرجة العجز فحسب، بل بدرجة الحنين : الحنين إلى بساطة الحركة، إلى تلقائية الابتسامة، إلى الحرية في أن تمتدّ اليـد دون تفكير. باركـنـسـون ليس في الجـسـد وحـدهـ، بل في الوعي الذي يرى بـطـءـ ذاتـهـ وهو يتقدّم كـزـمـنـ ثـقـيلـ.

أما **الصرع**، فهو العاصفة التي تنفجر داخل الدماغ دون إذن. نوباتٌ من التفجّر الكهربائي الفجائي يجعل **الجسد** يرتجف **والوعي يغيب**، كما لو أن العاصفة نزلت إلى لحم الإنسان. أسبابها متعددة : قد تكون **وراثةً أو تشوّهاتٍ في خلايا الدماغ أو إصاباتٍ أو أوراماً صغيرةً**. لكن في كل الحالات، تبقى النوبة حدثاً غامضاً، يجتمع فيه الرعب والدهشة، حيث يصبح الإنسان غريباً عن جسده.

التـشـخـيـصـ يـعـتمـدـ عـلـىـ **تخطيط الدماغ** الذي يرسم كهربـيةـ العاصـفـةـ، وـعـلـىـ **الصور** التي تـبـحـثـ عـنـ مـوـضـعـ الـخـلـ.ـ وـالـعـلـاجـ طـوـيـلـ، بـأـدـوـيـةـ تـهـدـيـ الدـمـاـغـ وـتـعـيـدـ إـلـيـهـ تـواـزـنـهـ،ـ وـأـحـيـاـنـاـ **بـجـراـحـاتـ دـقـيقـةـ** تـزـيلـ الـبـؤـرـةـ الـمـسـبـبـةـ لـلنـوـبـاتـ.ـ وـمـعـ الزـمـنـ، يـتـعـلـمـ المـرـيـضـ أـنـ يـعـيـشـ مـعـ عـاـصـفـتـهـ،ـ أـنـ يـعـرـفـ مـتـىـ تـقـرـبـ،ـ وـأـنـ يـتـعـاـمـلـ مـعـ دـمـاـغـهـ كـكـائـنـ آـخـرـ يـشـارـكـهـ السـكـنـىـ.ـ فـيـ الـصـرـعـ،ـ يـتـجـلـىـ الـصـرـاعـ الـأـزـلـىـ بـيـنـ النـظـامـ وـالـفـوـضـىـ،ـ بـيـنـ اـنـضـبـاطـ الـخـلـاـيـاـ وـإـمـكـانـ

تمرّدها في لحظةٍ من الشرارة.



وفي زاويةٍ أخرى من هذا العالم المعقد، ينسج داء **الزهايم** حكايته البطيئة المؤلمة. يبدأ بنسيانٍ بسيط : اسمٌ يضيع، موعدٌ ينسى، ثم يتسع الصمت في الذاكرة حتى يغمر الوعي. تراكم في الدماغ لويحاتٌ من بروتينٍ سامٍ يخنق الخلايا العصبية ويعزلها عن بعضها حتى تموت، فيتحول الإنسان إلى ظلٍ لنفسه ، كما يضم الدماغ وينكمش حجمه. لا يُعرف للمرض سببٌ واحدٌ واضح، بل خليطٌ من الوراثة والعمر والتهاباتٍ مجهريةٍ لا ثُرى.

لا دواء يشفى الزهايم تماماً، لكن هناك ما يُبطئ

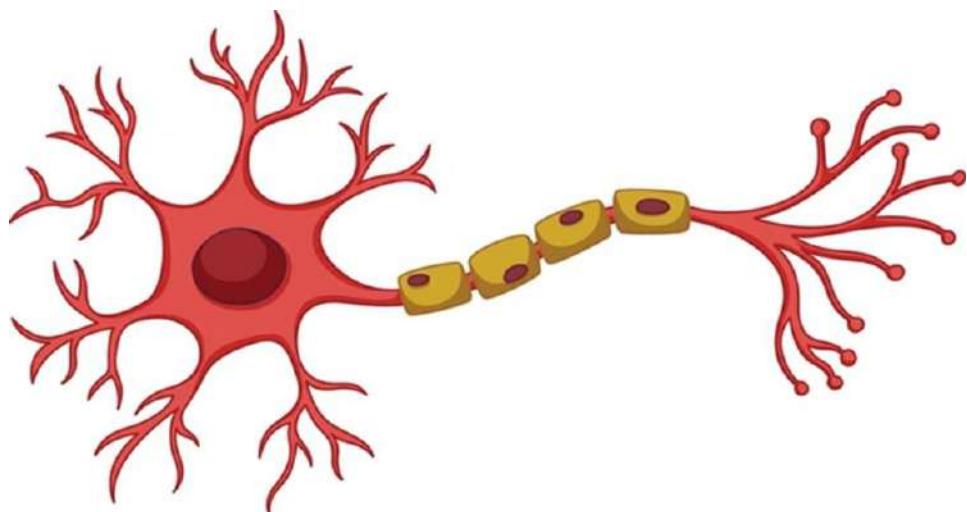
تقده : **أدوية تُحفّز النواقل العصبية، و رعاية نفسية**  
 تحاول أن تمسك بخيوط الذاكرة قبل أن تتلاشى. غير  
 أن ما يبقى أكبر من الطب نفسه : سؤال عن معنى  
 الهوية، عن حقيقة الإنسان حين يفقد ذاكرته. أليس  
 الوعي هو ما يجعلنا نحن ؟ فكيف نعرف من ينسى  
 اسمه ولا يزال قلبه يخفق ؟ في الزهايمر، لا يموت  
 الدماغ فقط، بل تنحل علاقـة الإنسان بماضـيه، كتابٍ  
 ثـمـي صفحـاته بـبطـء موجـع.



ثم يأتي **التصلب المتعدد**، ذاك المرض الذي لا يعلن  
 حرباً شاملة بل يهاجم على جبهات متفرقة. يهاجم  
 غشاء الأعصاب - المايلين - في الدماغ والنخاع  
 الشوكي، فيتعرّى السلك الكهربائي الداخلي وي فقد نقله  
 السليم للإشارات. تظهر الأعراض على نحوِ مبهم :  
ضعف في الأطراف، اضطراب في الرؤية، خدر،  
دوار، تعب يفيض من غير سبب. ثم تخفي فجأة لتعود  
 بعد شهور، كأمواجٍ تتراجمع للتضرب من جديد.

الأسباب معقدة بين **استعدادٍ مناعيٍّ وبيئيٍّ وجينيٍّ**. والتشخيص يحتاج إلى صور الرنين المغناطيسي وتحليل السائل الدماغي الشوكي. العلاج يعتمد على الأدوية المثبتة للمناعة والمعدلة لسير المرض، وعلى إعادة التأهيل المستمر. لكنه أيضًا رحلة في فهم هشاشتنا : كيف يمكن لخطاً في جهاز المناعة أن يحول الجسد ضد نفسه؟ وكيف يمكن للإرادة أن تعيش وسط انهيار بطيء؟

وفي أطراف الجسد، على الحدود بين الدماغ والعالم، تبرز **الاعتلالات العصبية المحيطية**، حين تتأذى الأعصاب التي تحمل الرسائل إلى العضلات والجلد. هنا، تبدأ الحكاية بوخذ خفيف أو بحرارة تلسع القدمين، ثم بخدر يمتد كليل بارد. الأسباب كثيرة : **السكري** المزمن، **الكحول**، نقص الفيتامينات، بعض الأدوية والسموم. والتشخيص بالفحص السريري واختبارات التوصيل العصبي.



العلاج يبدأ بإزالة السبب إن أمكن، وبأدويةٍ لتخفييف الألم العصبي وتنشيط الأعصاب المتضررة. لكن ما لا يُعالج بالدواء هو الإحساس بالفقد، لأن مريض الاعتلال العصبي يعيش في مفارقةٍ غريبةٍ: جسده موجود، لكنه لا يشعر به. إن الألم في الأعصاب ليس مجرد وجع، بل تذكير دائم بحدودنا الحسية وبأن التواصل مع العالم يمرّ دائمًا بخيوطٍ هشةٍ يمكن أن تنقطع في أي لحظة.

ولا يمكن أن يُذكر الجهاز العصبي دون الحديث عن **الصداع النصفي**، تلك اللعنة النبيلة التي تجمع الألم بالخيال. إنه ليس مجرد صداع عابر، بل عاصفةٌ في الأوعية الدموية والأعصاب تتفاعل مع الضوء والصوت والرائحة.



يبدأ يوميضاً في العين، يليه ألم نابض يملأ نصف الرأس كطبل يعلن الحرب، ثم غثيان وانغلاق على

العالم. السبب مزيجٌ من الوراثة واحتلالٍ في نواقل  
الدماغ واستجابةً مبالغٍ فيها للمنبهات.

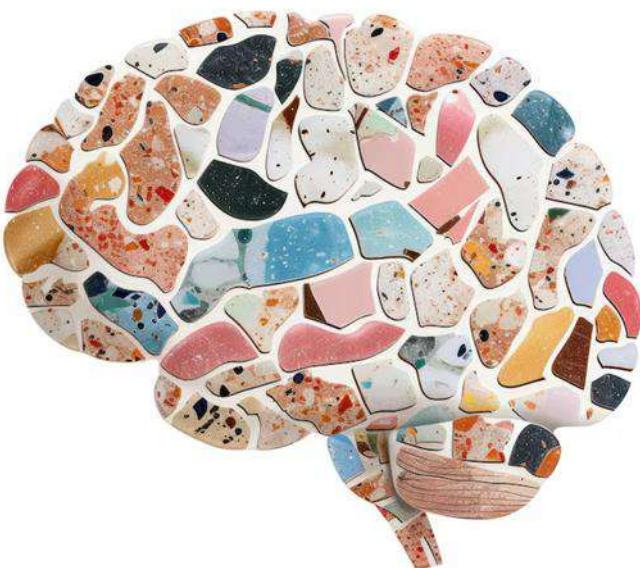
العلاج مزيجٌ من الوقاية والدواء، من التنظيم والنوم والسكينة، وأحياناً أدويةً تمنع التشنج الوعائي أو تخفّف النوبات. لكنه أيضاً دعوة إلى فهم الجسد حين يحتاج بطريقته الخاصة : فالصداع النصفي ليس ضعفاً، بل صرخة من الدماغ يطالب بها بالهدوء، بالانسجام، بالعودة إلى الإيقاع الذي فقد وسط ضجيج العالم.

في نهاية الرحلة داخل الجهاز العصبي، ندرك أننا كائناتٌ من كهرباءٍ وذاكرة، وأن عيناً ليس سوى ومضةٍ متقدةٍ بين ظلامين. إن كل مرضٍ عصبيٍّ، من السكتة إلى الزهايمر، يذكرنا بأن التفكير ذاته يمكن أن يتداوى، وأن الإرادة يمكن أن تتلاشى في لحظةٍ من خللٍ مجهريٍّ. ومع ذلك، فإن في هشاشةتنا سرّاً من الجمال؛ لأن الدماغ، رغم ضعفه، يظلّ أكثر أعضاء الكون إصراراً على الإدھاش.

ربما المرض العصبي ليس عطباً فقط، بل نافذةٌ يرى منها الإنسان حقيقته : أنه ليس سيد جسده تماماً، بل ضيفٌ في شبكةٍ من الإشارات التي تصنع ذاته. فحين نرتجف أو ننسى أو نفقد السيطرة، لا نفقد إنسانيتنا بل نراها عارية، بلا أقنعةٍ.

وحين يعود المريض من ظلمة الصرع أو من غيبوبةٍ

أو من فقدان ذاكرة، يعود ومعه يقينٌ لم يعد يحتمل  
الغرور : أن الحياة في جوهرها ومضة عصبية، وأن  
الوعي نفسه - تلك الشعلة التي نُسمّيها ( أنا ) - هو  
المعجزة الكبرى التي لا يكتمل فهمها إلا حين نكاد  
نفقدها.





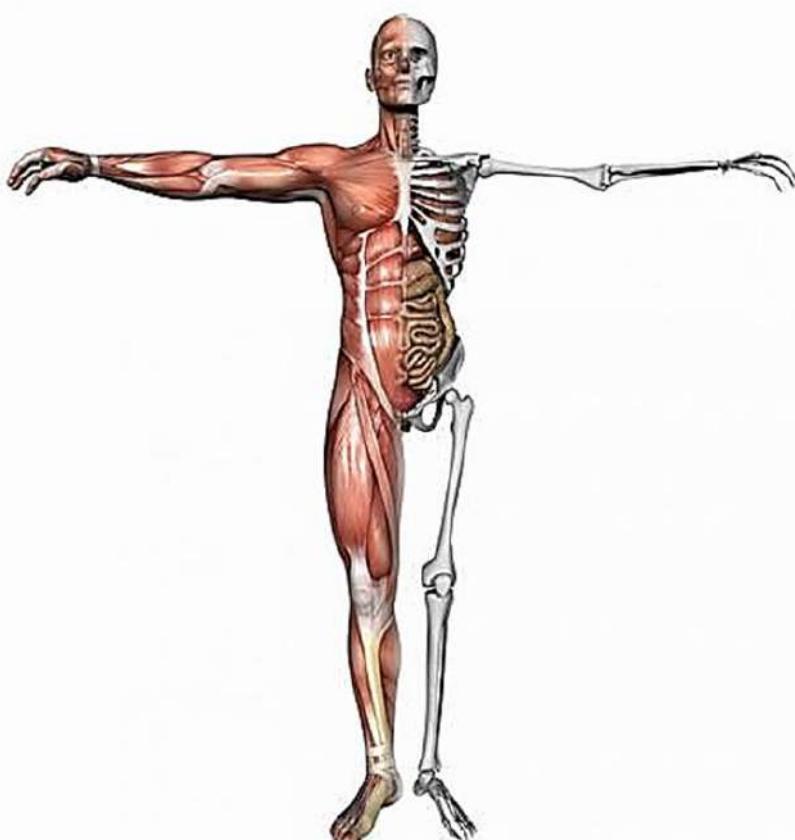
# أَمْرَاخُ الْجَهَانَ

المركي

بِكَلْمَةِ مُنْصَلِّي ( )



في البدء كانت الحركة، نبضة الوجود الأولى، حين انبعثت الخلية من سكونها لتحرّك، كان ذلك إعلاناً عن الحياة ذاتها. فكل ما يحيا يتحرّك، وكل ما يتوقف عن الحركة يذبل ويزول. ومن هنا، كان الجهاز الحركي في الإنسان ليس مجرد إطارٍ ماديٍّ من العظام والعضلات والمفاصل، بل هو المعبد الذي ثُقِّام فيه طقوس الإرادة، والسلم الموسيقي الذي تعزف عليه الروح لحن وجودها. لكن هذا العود العظيم - العظام والعضلات التي تسانده - يتعب أحياناً، يتصدّع، أو يختلّ في تناغمه، فيتحول الجسد من نهرٍ من الانسياب إلى صخرة من الألم.



في أعماق هذا الجهاز العجيب، تمتزج الصلابة بالمرونة، فالعظم التي تبدو كالحجر ليست إلا نسيجاً

حيًا، يتنفس ويتجدد، بينما العضلات تنقبض وتتفرج في إيقاع صامت، كأنها تتذكرة نبض الخلق الأول. أما المفاصل فهي مفاتيح الحرية التي تجعل الجسد يرقص، وبدونها يصبح الإنسان سجينًا في جلده. ولكن، كما لكل نجم لحظة أ Fowler، لكل مفصل لحظة تعب، ولكل عضلة زمن انطفاء.

من أشهر ما يصيب هذا العالم الصامت من الأنسجة هو **التهاب المفاصل الروماتيزمي**، ذلك العدو الذي يزحف بهدوء نحو مفاصل الإنسان في الشيخوخة، وأحياناً في الشباب، فيحول المرونة إلى تيّبس، والنعومة إلى احتكاك مؤلم. ينشأ هذا الالتهاب حين يثور الجهاز المناعي على نفسه، فيلتهم الغضاريف التي تحمي أطراف العظام كما لو كانت عدواً غريباً فتشوه العظام و المفاصل بشدة. أسبابه تمتد بين **الوراثة والتقىم في العمر والعدوى وضعف المناعة**، وتظهر أعراضه في صباح بارد حين يعجز المرء عن قبض يده أو ثني ركبته، فيدرك أن مفاصله قد أعلنت العصيان.

يُشخص الطبيب هذا الداء **بعين الخبرير**، من تورّم المفصل وصلابته وصور الأشعة التي تكشف عن المسافات الضائعة بين العظام، ويُعالج **بالمسكنات ومضادات الالتهاب و العلاجات الحديثة و العلاج الطبيعي**، وأحياناً باستبدال المفصل نفسه. ومع ذلك،

يبقى الالتهاب درسًا في فلسفة الجسد : أن كل حركة هي ثمرة توازن هشّ بين النار والماء، بين المناعة والاعتدال، وأن الإفراط في الدفاع قد يكون شكلاً من أشكال التدمير..



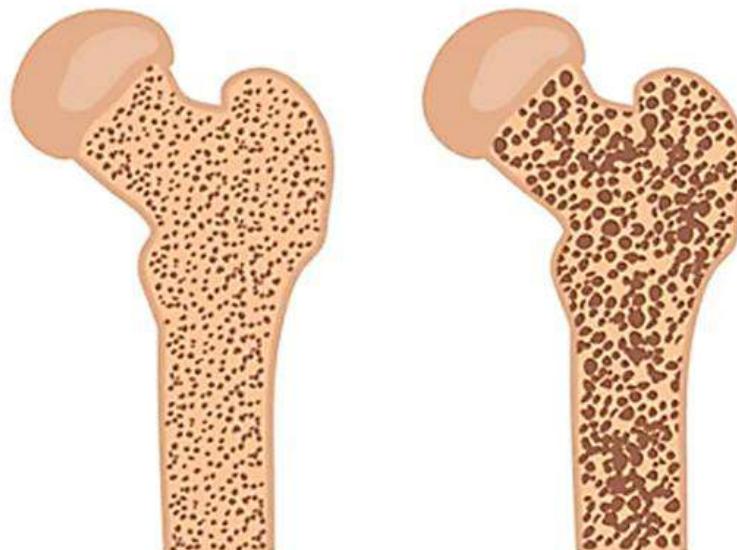
أما التهاب المفاصل التنكسي فهو الحكاية البطيئة لاهتراء الزمن في الجسم، حين تبدأ الغضاريف التي تفصل العظام عن بعضها بالانحلال رويداً، فت فقد المفاصل نعومتها ويعملو صوت الاحتكاك كأن الجسم يئن تحت عباء عمره. أسبابه تتشابك بين التقدّم في السن، والإجهاد المزمن، والوراثة، والسمنة التي تثقل المفاصل. يبدأ الألم خفيفاً، يظهر عند المشي أو الصعود، ثم يتحول إلى رفيق دائم يمنع حتى أبسط الحركات. التشخيص يعتمد على الفحص السريري.

وصور الأشعة التي تكشف عن تضيق المسافة بين العظام وتبدل ملامح المفصل. أما العلاج فليس استعادةً لما مضى، بل إبطاء لرحلة فقد، عبر التمارين المنتظمة، وتحفيض الوزن، والعقاقير المضادة للالتهاب، وأحياناً باستبدال المفصل إذا أصرّ الألم على البقاء. إنه المرض الذي يعلم الجسد كيف يشيخ بكرامة.

وإذا كان التهاب المفاصل هو ثورة داخلية، فإن **هشاشة العظام** هي انكسار صامت، أشبه بتعب طويل الأمد لا يُرى إلا حين يسقط الجسد في لحظة هشة. فالعظام، رغم صلابتها، تحتاج إلى الكالسيوم وفيتامين D وأشعة الشمس، تحتاج إلى حركة مستمرة لتبقى قوية. وعندما تُحرم من ذلك، تبدأ خلاياها بالانحلال ببطء، حتى يصبح الهيكل الذي يحملنا مثل جدارٍ فقد إسمنته. وغالباً ما تصيب هذه الهشاشة النساء بعد انقطاع الطمث، حين تخبو الحماية الهرمونية التي كانت تمنح العظام صلابتها، كما أن بعض الأدوية والأمراض تسببه.

تظهر الأعراض متخفية : ألم خفيف في الظهر، انحناءة غير مبررة، ثم فجأة... كسر في عظمة الفخذ أو العمود الفقري بعد سقوط بسيط. يُشخص المرض **بقياس كثافة العظام**، ويُعالج بتعويض الكالسيوم والفيتامينات والأدوية التي تبطئ فقدان العظام، مع الدعوة إلى المشي تحت الشمس كعبادة للسماء. إن هشاشة العظام ليست

مجرد داء، بل رمز للزمن حين يبدأ في محو آثاره  
داخلنا ببطء.



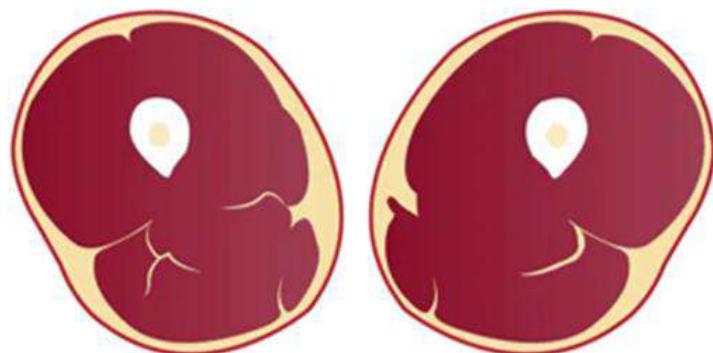
ظام طبيعي

هشاشة عظام

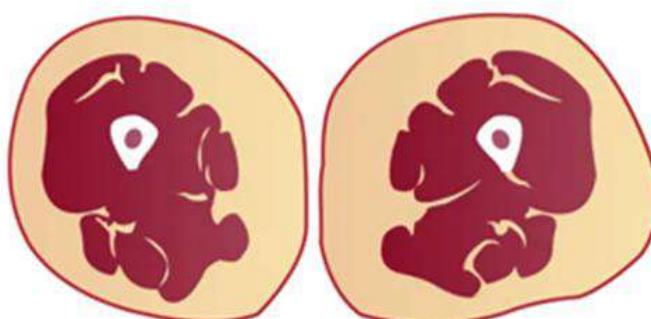
أما العضلات، فتخضع لقوانين الإرادة ذاتها. فهناك **الضمور العضلي**، وهو موت بطيء للقوة، حين تفقد الألياف قدرتها على التجدد. قد يكون الضمور وراثياً، يحمل في الجينات وعداً مؤلماً بالعجز، أو مكتسباً نتيجة إهمال الحركة أو الأمراض العصبية أو سوء التغذية. في بدايته، يكون مجرد تعب سريع، ثم تتحول العضلات إلى ظلّها القديم، يفقد الجسم توازنه، ويتحول الصعود من سلم بسيط إلى معركة.

العلاج هنا ليس دواءً فحسب، بل مقاومة، تدريب يومي على تحدي الفناء. فالعلاج الطبيعي، والفيتامينات، والعقاقير التي تحفز بناء البروتينات،

كلّها أسلحة في معركةٍ ضد الانطفاء، ولكن الروح تبقى  
السلاح الأهم، إذ من دون الإرادة لا تنقبض عضلة ولا  
يُرفع طرف.



عضلات طبيعية



ضمور عضلي

وهناك مرض آخر يهمنـ في العضلات بلغة غامضة:  
**الوهن العضلي الوبيـل**، حين تتعب العضلة لا لأنـها  
ضعـيفـة، بل لأنـ الإشارة التي تصلـها من العصب  
تـتلاشـى قبل أنـ تـكتمـلـ. في هذا الداء، يـخطـئـ الجهاز  
المناعـيـ مرةـ أخرىـ، فـيـصـنـعـ أجـسـامـاـ تعـيقـ استـقبـالـ  
الـعـضـلـةـ لـلـأـوـامـرـ الـعـصـبـيـةـ. النـتـيـجـةـ أنـ العـيـنـ لاـ تـفـتحـ  
جيـداـ، وـالـوـجـهـ يـتـرـهـلـ، وـالـكـلـامـ يـتـقـطـعـ، كـأـنـ التـعبـ قدـ  
استـقرـ فـيـ كـلـ حـرـكـةـ.

يعتمد التشخيص على **الملاحظة الدقيقة**، واختبارات التحفيز الكهربائي والدم، أما العلاج **فبالأدوية التي تزيد التواصل بين العصب والعضلة، وبمثبات المناعة التي تعيد النظام إلى صمته الأول**. لكن هذا المرض، كغيره من أمراض العضلات، يذكرنا أن الجسد ليس آلة بل شبكة من الإشارات الدقيقة التي يمكن أن تتتعطل بأدنى اضطراب في لغة الكيمياء.

أما **تمزقات العضلات**، فهي حكاية أخرى، حكاية العجلة البشرية والرغبة في تجاوز حدود الطبيعة. حين يُرهق الإنسان عضلاته فوق طاقتها، تتمزق أليافها كما يتمزق وتر مشدود في آلة موسيقية. الألم حاد، فجائي، يعلن سقوط الحركة من عليائها. والعلاج هنا بسيط في جوهره : **راحة، تبريد، ضغط خفيف، ثم تأهيل بطيء**. لكنها أيضًا دروس في التواضع، تذكرنا أن القوة لا تكتمل إلا حين تعرف حدودها.

وإذا عدنا إلى العظام من جديد، فسنجد لها تشكو من داء آخر لا يقل خطورة : **التهاب العظم والنقي**، ذلك الالتهاب العميق الذي يتسلل عبر الدم أو الجروح إلى داخل العظم ذاته، فيحوله إلى ميدان حربٍ بين البكتيريا والمناعة. الألم هنا لاذع، نابض، والحمى تشتعل كتحذير داخلي. يشخص الطبيب الحالة **بحفوص الدم وصور الرنين المغناطيسي**، ويعالجها **بالمضادات**

**الحيوية أو الجراحة إن لزم الأمر.** إنه تذكير بأن الصلابة قد تكون هشّة في أعماقها، وأن أكثر الأعضاء صمتاً قد يصرخ حين يشتعل فيه الخطر.

وللجهاز الحركي أمراضٌ خفية تمس العظام من الداخل، مثل **الأورام العظمية الحميدة أو الخبيثة**، التي تغيّر شكل العظم وملمسه. قد تكون أسبابها **جينية أو عشوائية**، وتُكتشف غالباً صدفة. **تُعالج بالجراحة** والعلاج الكيميائي أو الإشعاعي، لكنها تفتح باباً فلسفياً عميقاً حول هشاشة ما نظنه دائمًا صلباً. فحتى الحجر، في النهاية، يمرض.



إن أمراض العضلات والعظام والمفاصل ليست أمراضًا للجسد فقط، بل هي مرآة الزمان فينا. فحين تتعب المفاصل، لا يتعب العظم وحده، بل تتعب الإرادة التي تحركه. وحين تضعف العضلات، يختبر الإنسان

معنى الاعتماد والانتظار، ويذكر أن القوة ليست في العضلة، بل في ما يجعلها تنهض كل صباح رغم الألم.

في النهاية، ليس في العظام ما هو ميت، بل فيها حياة أخرى، صامتة وثابتة كجذور الأشجار. والعضلات، وإن وهنت، ما زالت تحفظ ذاكرة الحركة، والمفاصل - رغم صريرها - ما زالت تروي حكاية الصبر. إن الجهاز الحركي ليس مجرد آلية تسير، بل هو تجسيد للعلاقة بين الثبات والتغيير، بين المادة والنية، بين الجسد والروح.



فكل ألم في مفصل هو تذكير بأننا نسكن أجساداً فانية، وكل ضعف في عضلة هو نداء من الداخل بأن **الحياة** لا تُقاس بالقوة وحدها، بل بالقدرة على النهوض بعد الانكسار. وحين نرى هيكلاً عظيماً، لا نرى الموت بل نرى بقاء الشكل بعد ذهاب الحركة، لأن الطبيعة تقول:

( إن السكون ليس نهاية، بل شكل آخر من أشكال الرقص )



وهكذا، تظلّ أمراض الجهاز الحركي درساً فلسفياً عميقاً في معنى الإنسان : مخلوق من العظم والنبض، يسقط ويقوم، ينهك ويستعيد نفسه، لأن الحركة - مهما تعطلت - لا تموت، بل تنام قليلاً في انتظار نداء الإرادة.



أعراض المجنون

الآن في الجنة

(نوعي الحواس )



في البدء لم يكن الإنسان سوى وعيٍ يبحث عن منفذٍ إلى العالم. ثم خُلقت له النوافذ الخمس، فصار يرى ويسمع ويلمس ويشمّ ويتنوّق، ليتحول الجسد إلى آلةٍ تعزف الواقع على أوتار الإدراك. والعين كانت أول العجائب، والأذن أول السُّبُل إلى المعرفة، والجلد أول الحصون التي فصلت الداخل عن الخارج. هذه الحواس ليست مجرد أدوات بيولوجية، بل هي مرااثٍ للدهشة، وأبوابٌ للعالم تنفتح بالضوء والصوت واللمس، لكنها أيضًا الأبواب التي تتآلم، وتشيخ، وتتعطل حين يثقلها الزمن أو يعبث بها المرض. فحين يختل النور أو يضطرب السمع أو يتشقق الجلد، لا يتآلم الجسم وحده، بل تهتز علاقته بالإنسان بالعالم، ويصير الوجود نفسه باهتاً، ناقص الإيقاع.



## العين – المرأة التي تنطفئ ببطء

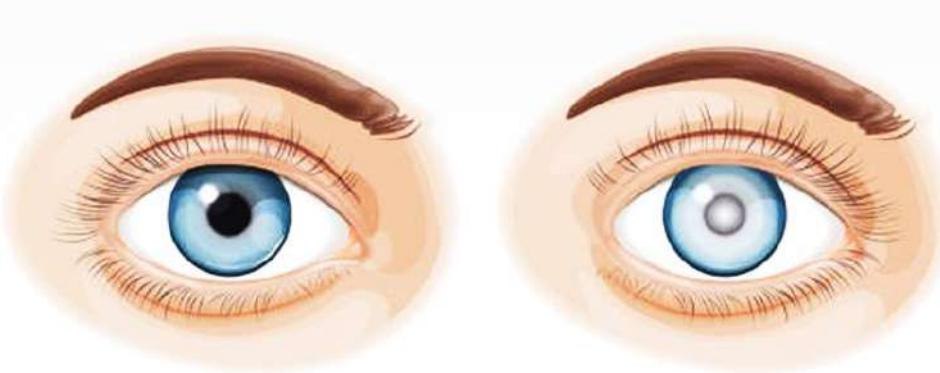
العين ليست مجرد عضوٍ للرؤية، بل هي الذاكرة التي

تحفظ شكل الوجود، والمرأة التي تتعكس فيها النفس قبل أن ترى الأشياء. إنها الكاميرا الأقدم والأدق، التي تصنع في كل لحظة لوحةً جديدة من الضوء والظل. لكن هذه العجائب الدقيقة يمكن أن تصاب بارتباك، فتنكسر الصورة أو تنطفئ الألوان أو يغرق العالم في ضبابٍ أبيضٍ لا يُحتمل.



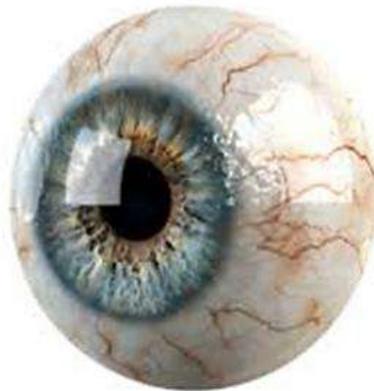
من أكثر أمراضها شيئاً **التهاب الملتحمة**، ذلك الغشاء الرقيق الذي يغلف العين كستارةٍ شفافة. حين تهاجمه الجراثيم أو الفيروسات أو الحساسية، يحرّم البياض، وتدمّع العين كمن يبكي سراً، ويشتّد الإحساس بالحرقة والحكّة. إنها معركةٌ صامتة بين المناعة والميكروبات، تنتهي عادةً ب قطراتٍ من المضادات الحيوية أو مضادات التحسس، وبراحهٍ قصيرةٍ في الظل بعيداً عن الضوء. غير أن هذا الالتهاب، رغم بساطته، يذكّرنا بأن العين لا تتحمل العداون، وأن أقلّ اضطرابٍ فيها يربك العلاقة بين الداخل والخارج.

ثم هناك **الماء الأبيض، أو الساد**، حين تتعكّر عدسة العين شيئاً فشيئاً، فيبدأ الضوء نفسه يفقد نقاءه. الأسباب كثيرة : **الشيخوخة، والتعرّض الطويل للشمس، والسكري، والأدوية، وحتى الوراثة.** الرؤبة تصبح ضبابية كمن ينظر من خلف ستار من البخار، والألوان تفقد توهجها، والوجوه تتلاشى في العتمة. لا دواء يعيد الصفاء إلا **الجراحة** التي تبدل العدسة بواحدة صناعية، فيستعيد الإنسان الضوء وكأنه ولد من جديد. لكن الساد ليس مرضًا فحسب، بل استعارة عن الحواس حين تتعب من الزمن وتحتاج إلى إعادة خلق.



أما **الزرق، أو ارتفاع ضغط العين**، فهو سارقٌ صامتٌ للرؤبة، يتسلل ببطءٍ من الأطراف نحو المركز دون أن يثير ضجيجاً. ينشأ عندما يختل تصريف السائل داخل العين، فيضغط على العصب البصري، **فيموت النور على مهل**. لا يشعر به صاحبه في بدايته، لأن الرؤبة المركزية تبقى سليمة، لكن حين يدركه، يكون جزءاً من **البصر قد رحل بلا عودة.** يُشخص بقياس الضغط الداخلي للعين، ويُعالج بقطراتٍ تقلل إفراز السائل أو

**بالجراحة الدقيقة**. لكنه، فلسفياً، مرض الوعي البطيء؛ يذكّرنا أن بعض الخسارات تبدأ في الصمت وتنتهي بالعتمة.



وفي نهاية رحلة البصر يقف **التنكس البقعي**، حين تتلف البقعة المسؤولة عن الرؤية الدقيقة في شبكيّة العين. إنه مرض **الشيخوخة البصرية**، يحول الحروف إلى غبار **واللامح إلى ضباب**. أسبابه متعددة : الوراثة، والتدخين، وضعف التغذية، وأحياناً لا سبب إلا مرور العمر. العلاج صعب، لكنه ليس مستحيلاً؛ **بالحقن** التي تبطئ تدهور الشبكيّة وبالليزر الذي يحاول ترميم الضوء. ومع ذلك، يبقى المرض تذكيراً بأن الجمال أيضاً يفنى، وأن النور، مهما كان خالصاً، يحتاج إلى صيانةٍ مستمرة كي لا يخبو.

## الأذن - حيث تتجلى الموسيقى أو يبتلع الصمت الوجود

إذا كانت العين تدخلنا إلى العالم عبر الضوء، فالأذن

تُدخل العالم إلينا عبر الصوت. بها نسمع نبض قلوبنا وهمس الطبيعة وكلمات الحب وصدى الأفكار. إنها البوابة الثانية إلى الإدراك، والحارس الخفي للتوازن. غير أن هذا الباب الرقيق قد يمرض هو الآخر، فيختل الإيقاع وتغدو الحياة ناقصة النغمة.



من أكثر ما يصيب الأذن شيوعاً **التهاب الأذن الوسطى**، ذلك التجويف الصغير خلف طبلة الأذن الذي يربطها بالبلعوم عبر قناعة دقيقة هي نفير أوستاش .. عندما تسدّها العدوى أو الزكام، يتجمع السائل في الداخل، ويتحول الألم إلى طرق داخلي يشبه دق الأجراس في الرأس. قد ترتفع الحرارة، وقد يُصاب السمع بضعف مؤقت. يُشخص الطبيب الحالة **بالفحص والمنظار**،

ويعالجها **بالمضادات الحيوية أو بفتح بسيط لتصريف السائل**. إنها معركة صغيرة، لكن ألمها يجعل الإنسان يدرك كم هو هش توازنه، وكم يعتمد الجسد على انسجام خفي بين الضغط والهواء والصوت.

ثم يأتي **طنين الأذن**، ذاك الصوت الذي لا وجود له في العالم لكنه يسكن الرأس كضيف ثقيل لا يغادر. أسبابه كثيرة : ضعف السمع، التوتر العصبي، الأدوية كالإسبرين ، ارتفاع الضغط الشرياني ، وحتى الصمت الطويل. ليس له علاج قاطع، بل مزيج من التكيف والعلاج السمعي والهدوء الداخلي. إنه مرض الوعي الزائد، حين يسمع الإنسان ضجيج ذاته بدل ضجيج الحياة.



أما **فقدان السمع** فله وجوه كثيرة؛ قد يكون **خلقياً** أو **مكتسباً**، ناتجاً عن التعرض للضوضاء، أو **الشيخوخة**،

**أو إصابة في العصب السمعي.** حين يتراجع السمع، تتراجع اللغة، ويتحول الحوار إلى صمتٍ غير مقصود. يُشخص المرض بفحوص السمع الدقيقة، ويعالج **بالأجهزة المساعدة أو بزراعة القوقعة الإلكترونية** التي تعيد للأذن قدرتها على ترجمة الذبذبات إلى **أصوات**. إنها انتصارات التكنولوجيا على الصمت، لكنها أيضًا اعتراف بأن الإنسان لا يتحمل العزلة السمعية، وأن الصوت ضرورة وجودية.

وللأذن أيضًا نصيبها من **اضطرابات التوازن**، حين يختل جهازها الدقيق المسمى **الدهليز** المسؤول عن التوازن الحركي، فيشعر الإنسان بأن الأرض تميد به أو أن العالم يدور. هذه الدوخة ليست وهمًا بل رسائل من **أذن مضطربة إلى دماغ مرتبك**. العلاج هنا هو **الوقت والصبر والعلاج الفيزيائي**، وكأن الجسد يحتاج أن يتذكر من جديد أين يبدأ الثبات وأين تنتهي الدوامة.



الأذن، في حقيقتها، ليست عضواً للسمع فقط، بل ميزان الكون داخل الإنسان. حين تختلّ، يدرك المرء أنه لم يكن يستمع إلى العالم فحسب، بل كان يستند إليه.

## الجلد – السور الأخير للجسد وساحة المعارك

### الخفية

الجلد هو الكتاب الذي يُكتب عليه تاريخ الإنسان منذ ولادته، هو الذاكرة المرئية لكل ما يعبر الجسد من فرحٍ أو مرضٍ أو خوف. إنه الحارس الأول والأخير، الحاجز الذي يفصلنا عن العالم ويحمل بصمتنا، ودفع أجسادنا، وملامحنا التي نُعرف بها. لكن هذا السور العظيم يتصدّع أحياناً، ويثير أحياناً أخرى، ليذكرنا أنه ليس درعاً صامتاً بل كائنٌ حيٌّ يتنفس الألم.



من أكثر أمراضه شيوغاً **الأكزيما**، ذلك الالتهاب المزمن الذي يحول الجلد إلى لوحةٍ من الحكة والجفاف والاحمرار. أسبابه متعددة : وراثة، تحسس، توتر نفسي، أو جفاف في المناخ. يبدأ الطفح في اليدين أو الوجه أو خلف الركبتين، ويزداد مع القلق كما لو كان الجلد مرآةً للعاطفة. يُعالج بالمرطبات والكريمات المهدئه ومضادات الالتهاب، لكن الشفاء الحقيقي يبدأ حين يتصالح الإنسان مع جلده، لأن الأكزيما في جوهرها رسالةٌ من الداخل تقول : ( اهدا، إن جسدك يسمع أفكارك ) .



ثم هناك **الصدفية**، مرضٌ يجمع بين الطبّ والشعر في قسوته وجمال رموزه. فيه تتسارع دورة حياة خلايا الجلد، فتتراكم الطبقات البيضاء على هيئة قشورٍ تشبه الثلج على أرضٍ حمراء. لا سبب محدد سوى اضطراب

**المناعة** الذي يبدل صبر الجلد بتسريع جنوني. لا الم فيها بقدر ما فيها من حرج نفسي، إذ تتحول البشرة إلى خريطةٍ من البقع التي تفضح هشاشة الجسد أمام عيون الآخرين. العلاج طويل : مراهم موضعية، أشعة فوق بنفسجية، وأدوية تنظم المناعة. لكنها في النهاية دعوة للتقبيل، لأن الصدفية لا تقتل، بل تعلم الصبر على الاختلاف.



أما **حب الشباب**، فحكاية المراهقة القديمة التي تتكرر مع كل جيل، حين تنتفض الغدد الدهنية في الوجه لتعلن أولى حروب الهرمونات. المسام تسد، والبكتيريا تستغل الفوضى، فتولد البثور الحمراء والندبات. يُعالج بالمضادات الحيوية أو الأدوية المنظمة للزيوت أو العلاج **باليizer**، لكن الحقيقة أن هذا المرض، رغم بساطته، هو طقس عبور من الطفولة إلى النضج، تذكير

بأن الجمال ليس دائماً بلا شوائب، وأن الندبة قد تكون توقيعاً على تجربة النمو.



وفي أقصى السكون، يختبئ خطرٌ آخر : **سرطانات الجلد**، حين تفقد الخلايا نظامها، وتبدأ في الانقسام بلا ضابط. أسبابه في الغالب هي **أشعة الشمس التي نحيا بها وتقتلنا ببطء**. تظهر البقع، وتتبدل الشامات، وتتفقد الحدود معناها. يُشخص المرض **بالخزعة**، ويُعالج بالجراحة أو الإشعاع أو الأدوية التي تعيد للنظام توازنه. لكنه، في فلسفة الوجود، تذكيرٌ آخر بأن الضوء نفسه يمكن أن يكون سيفاً ذا حدين، وأن الجمال قد يضم في طياته بذور الفناء.

في النهاية، ليست أمراض العين أو الأذن أو الجلد مجرد علٍ جسدية، بل هي صدوعٌ في جدار التواصل بين الإنسان والعالم. فعندما تغشى العين غشاوةً، يبهت الوجود، وحين يصاب **السمع** بالعجز، يصمت الكون، وحين يثور **الجلد**، يصرخ الداخل في الخارج بلغةٍ من الحكة والاحمرار. هذه الأمراض لا تصيب الأعضاء وحدها، بل تصيب العلاقة بين الروح والبيئة، بين الذات والحياة.

إن الحواس ليست نوافذ فحسب، بل مسؤوليات، تُذكر الإنسان بمدى هشاشته أمام الضوء والصوت واللمس. **فالعين** التي ترى قد تصاب بالعمى، لكن البصيرة تبقى؛ و **الأذن** التي تسمع قد تصمت، لكن القلب يبقى مرهفاً للحنّ الوجود؛ و **الجلد** الذي يشيخ ويتشقق يبقى الدفتر الذي كتب فيه الله تفاصيل الإنسان.

وفي تلك النهاية العجيبة، يبدو الجسد كقصيدة طويلةٍ مكتوبةٍ على ورقٍ من لحمٍ وضوء. تبهت بعض أبياتها بالمرض، وتُمحى أخرى بالزمن، لكن المعنى يبقى واضحاً : أننا كائناتٌ تمرّ عبر الألم إلى الفهم، وأن المرض ليس نقىض الحياة، بل وجهها الآخر، الذي يجعلنا ندرك كم هي ثمينة كل ومضىٍ من نور، وكل نفحةٍ من صوت، وكل لمسةٍ من بشرةٍ حيةٍ.



# أَمْرَاضُ الْأَطْفَالِ

( رَسْوَمٌ مُّبَشِّرٌ )



في البدء، حين يُطلّ الطفل على العالم، يكون كصفحةٍ بيضاء من الضوء، لا تحمل من الماضي سوى نبضٍ صغيرٍ في رحم الزمن. جسده الناعم الذي بالكاد يتسع لأنفاسه الأولى، يحمل في دمه وأعصابه ومورثاته ذاكرةً طويلة تمتد إلى أجيالٍ لم يعرفها. ومن هذه الذاكرة الملتبسة بين الوراثة والقدر، تبدأ بعض الحكايات التي تسمّيها الحياة (أمراض الطفولة) ، تلك التي لا تختر إلا الأجساد الصغيرة لتعلن من خلالها هشاشة الوجود، وجمال التحدّي.



في عالم الأطفال، المرض ليس عارضاً بل هو جزء من رحلة التكوين، كأنّ الجسد نفسه يجرّب احتمالاته الأولى في الفشل والنجاح. وهكذا تبدأ القصص الصامتة، من قلبٍ يولد بعيّبٍ خفيفٍ، إلى خليةٍ ترفض أن تقوم بواجبها في نقل الأوكسجين، إلى غدةٍ صغيرةٍ لا تعرف كيف تضبط حرارتها الداخلية. إنّ أمراض الطفولة النوعية ليست فقط تحدياً طبيعياً، بل مرآةً للخلق نفسه،

كيف يختبر التوازن بين الدقة والخلل، بين المعجزة والاحتمال.

## القلب الوليد الذي يتعثر في خفقانه

القلب، ذلك المحرك الصغير الذي يبدأ عمله قبل أن يولد الإنسان، قد يخطئ في هندسته أحياناً. يولد بعض الأطفال وأقلوبهم تحمل فتحات غير مغلقة بين حراتها، أو صمماتٍ ضيقَة لا تسمح للدم بالعبور كما ينبغي، أو شرايين متبادلة في أماكنها. هذه ليست أمراضًا مكتسبة، بل رسائل من الوراثة أو من لحظة تكوين دقيقة اختلت فيها خيوط الخلق لسبب لا يعرفه أحد. الأعراض تظهر على شكل ازرقاق في الشفتين، تعب عند الرضاعة، أو تأخر في النمو.

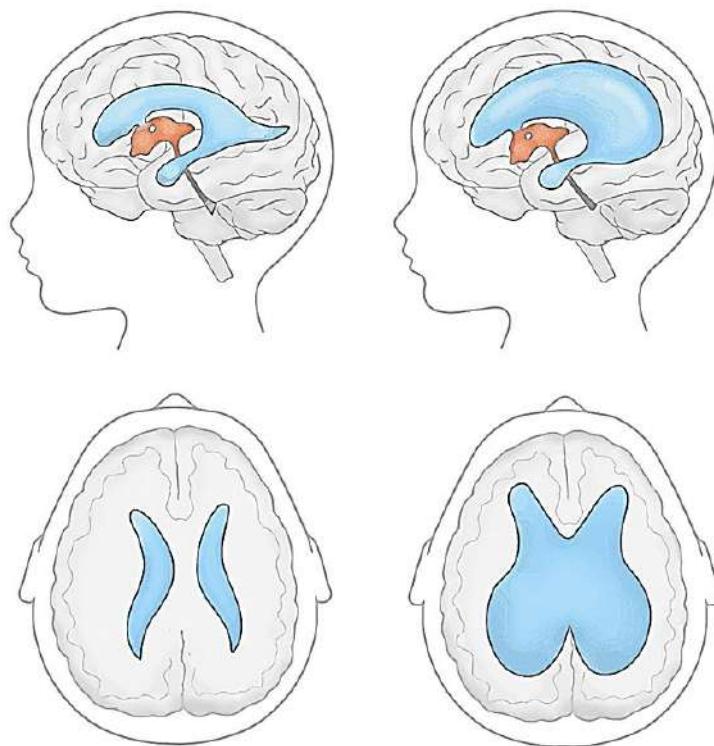


التخليص يأتي من صوتٍ يسمعه الطبيب بسماعةٍ، ثم من صور القلب بالموجات فوق الصوتية، وكأنّ التقنية الحديثة تحاول أن ترى ما لم يُكتب بعد في مصير

الطفل. العلاج يتراوح بين **المراقبة والتدخل الجراحي**، لكنه في كل الحالات يحمل معنىًّا أعمق: أن القلب، وإن كان ناقصاً في خلقه، يظل قادرًا على أن يحب الحياة أكثر من أي قلبٍ آخر.

## حين يتجمّع الماء في الرأس ويُثقل الحلم

**استسقاء الدماغ** أحد تلك الابتلاءات التي تولد مع الطفل، حين تفشل المسارات الدقيقة التي تصرف السائل الدماغي في عملها، فيتجمّع السائل الدماغي الشوكي في تجاويف المخ، ويبدا الرأس بالاتساع كأنه يريد أن يفسح للسماء مكاناً داخله.



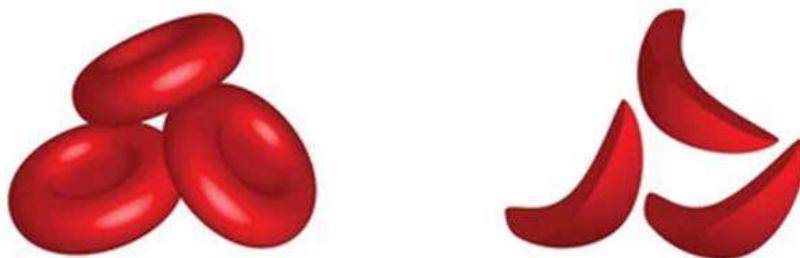
الأسباب قد تكون **تشوهًا خلقيًا أو التهابًا أصاب الأئم أثناء الحمل أو انسدادًا بعد الولادة**. الأعراض لا

تختئها العين : كبر حجم الرأس، توثر اليافوخ، وتغير في حركة العينين أو البكاء. الطبيب يشخصه بصورةٍ مقطعيةٍ للرأس أو بالرنين المغناطيسي، أما العلاج فهو تدخلٌ جراحيٌ يزرع أنبوباً لتصريف السائل الزائد.

لكن وراء هذه التفاصيل الطبية، تظلّ صورة الطفل ذاتها درساً فلسفياً مهيباً : كيف يمكن للعقل الذي لم يبدأ التفكير بعد أن يحمل عبء الضغط الزائد في داخله، وكيف يمكن للتوازن أن يكون مسألةً مليمتراتٍ تحدّد بين الوعي والغياب.

## الدم حين يتعب من حمل الحياة

في دماء بعض الأطفال يولد خللٌ وراثيٌ يجعل خلاياهم تتكسر قبل أوانها، كما في **فقر الدم المنجل**، حيث تتحول كريات الدم من شكلها الدائريِّ الجميل إلى شكل المنجل، فتعجز عن المرور في الشعيرات الدقيقة، فيحدث الألم، ويتوقف تدفق الأوكسجين.



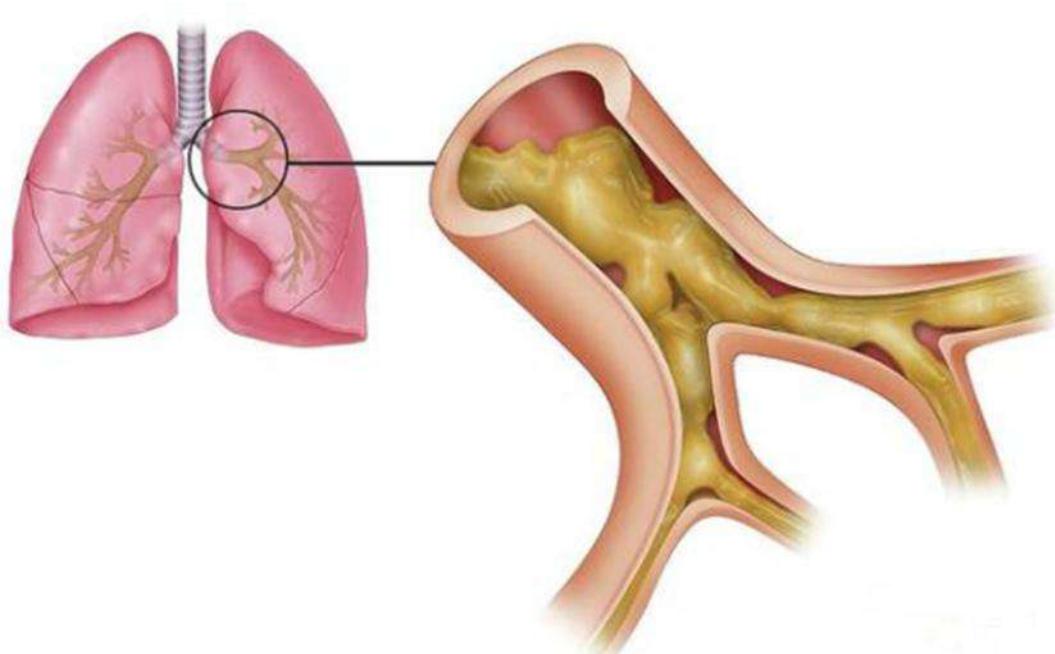
وفي **الثلاسيميا**، يختل بناء الهيموغلوبين ذاته، فيحتاج الطفل إلى نقل دمٍ متكرّر، وإلى حديٍ يُراقب بدقةٍ حتى لا يختنق الجسم من كثرته. الأعراض واحدة في

جوهرها : شحوب، تعب، تضخم في الكبد والطحال،  
وتتأخر في النمو. العلاج طويل، يشبه الصبر، بين نقل  
الدم والعقاقير، وأحياناً زرع النخاع.

هذه الأمراض ليست عقاباً بل اختباراً للإنسانية فينا؛ إذ تجعلنا ندرك أن الدم الذي نحمله ليس ملكاً لنا، بل وديعة من الحياة يجب أن نحسن التعامل معها و نمنحها لمن يحتاجها .

## حين يختنق الجسد بالماء والملح

في بعض الأطفال، تتآمر الوراثة على الرئة و البنكرياس معاً، فتجعل الإفرازات المخاطية أكثر لزوجة، فتسدّ المرّات وتحوّل التنفس إلى معركة يومية.



هذا هو التليف الكيسي، أحد أعتى أمراض الطفولة

الوراثية. الطفل يسعل بلا انقطاع، يخرج مخاطاً غليظاً، لا يكتسب وزناً رغم شهيته، لأن الإنزيمات الهضمية لا تصل إلى الأمعاء. الطبيب يكتشفه بفحص العرق الذي يحمل نسبة عالية من الملح، ويؤكده بالتحليل الجيني.

العلاج لا يشفي، لكنه يطيل الأمل : جلسات تنفس يومية، أدوية تذيب المخاط، تغذية غنية، ورعاية لا تعرف الملل.

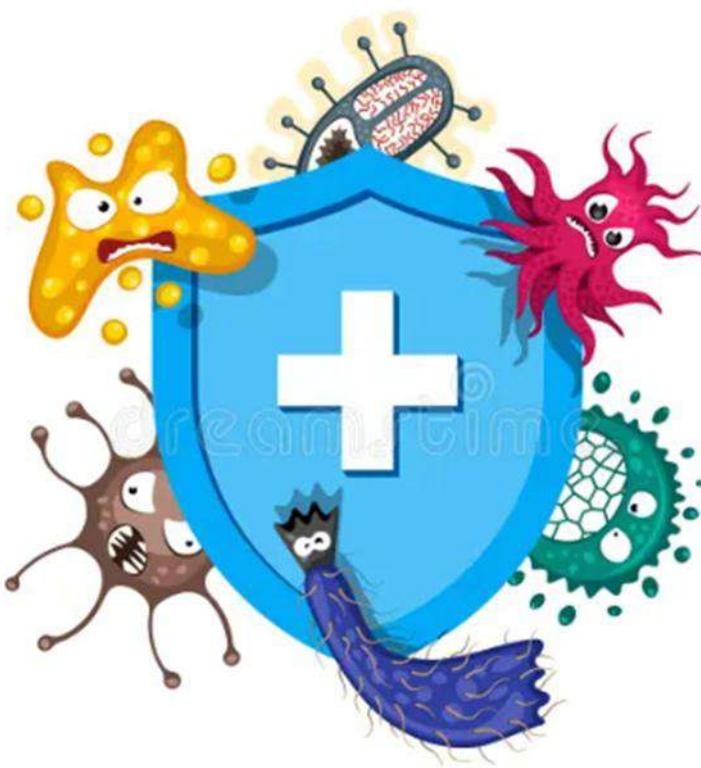
التليف الكيسي يشبه الغيوم التي ترفض أن تمطر، يحمل الرطوبة في داخله، لكنه لا يقدر على الإفراج عنها. ومع ذلك، يعيش الأطفال به وهم يضحكون، كأنهم يعلموننا أن القدرة على الفرح لا تحتاج إلى رئة كاملة، بل إلى روح واسعة.

## حين يخطئ الجسد في قراءة ذاته - أمراض المناعة الأولية

أحياناً يولد الطفل بجهاز مناعي ناقص أو مرتك، كأنّ الحارس الذي وكل بحمايته لا يعرف شكل العدو. هؤلاء الأطفال يلتقطون العدوى بسهولة، تصيبهم الالتهابات المتكررة في الرئة والجلد والأذن، وتطول نزلاتهم أكثر من المعتاد. الطبيب يشكّ حين يرى التكرار، فيفحص الأجسام المضادة ويفقس الخلايا المناعية. العلاج يعتمد على النوع : بعضهم يُعالج

بحقن الأجسام المضادة بانتظام، وبعضهم يحتاج إلى زرع نخاعٍ جديٍّ ليعيد برمجة دفاعاته.

لكن في العمق، هؤلاء الأطفال يذكروننا بأنَّ الجسد ليس حصنًا منيعًا، بل مفاوضٌ دائم مع العالم، وأنّا نحيا لأننا ننتصر على الجراثيم، بل لأننا نتعايش معها.



## الاستقلاب حين يختل في العمق

في جسِّ طبيعي، تتحول البروتينات إلى طاقةٍ بفضل توازنٍ بديع من الإنزيمات، لكن في بعض الأطفال يولد الخلل في واحِدٍ من تلك التروس الدقيقة، فيتراكم مركبٌ سامٌ في الدماغ. هذا ما يحدث في بيلة الفينيل كيتون، أحد أمراض الاستقلاب الوراثية. الطفل يبدو سليماً عند الولادة، ثم يتآخر نموه العقلي إن لم يُكتشف

**مبكراً.** لذلك تُجرى الفحوص لكل مولودٍ بعد أيام من ولادته. العلاج بسيط في ظاهره عظيم في أثره : **حمية غذائية خالية من الفينيل ألانين، مدى الحياة.**

هذه الأمراض الاستقلابية تذكرنا أنَّ الذكاء ليس فقط مسألة تربيةٍ وتعليم، بل توازنٌ كيميائيٌّ في عمق الخلية، وأنَّ القدر أحياناً يختبئ في تفصيلةٍ من الحمض النووي.

## **حين يرقص الدماغ على إيقاع غير منتظم**

في بعض الأطفال، تشتعل كهرباء الدماغ فجأة، كبرق بلا عاصفة. نوبة صرع، احتلالات عضلية، غياب لحظي عن الواقع.



قد يكون السبب **وراثةً أو تشوّهاً أو حرارةً مرتفعةً في الطفولة الأولى.** الطبيب يقرأ النشاط الكهربائي في رسم الدماغ، ويحدّد النوع والعلاج بالأدوية المثبتة

للنشاط. الصرع لا ينقص من الطفل شيئاً، لكنه يجعله يعيش على حافة وعيٍ مختلفة، كأنه يعرف عن الزمن ما لا نعرفه نحن. في لحظة النوبة، يغيب عن الحاضر، ثم يعود مبتسمًا كمن سافر إلى مكانٍ لا اسم له.

العلاج هنا هو **مزيج من الدواء والحب**، لأنَّ الخوف يقتل هؤلاء أكثر من المرض ذاته.

## حين يعجز الجسد عن ترجمة أوامر الروح

أحياناً لا تكون المشكلة في العضلات نفسها، بل في الرسالة التي تصلها من الدماغ. **الشلل الدماغي** ليس مرضًا يتتطور، بل حالة ناتجة عن أذيةٍ حدثت قبل الولادة أو أثناءها أو بعدها بقليل، حين ينقطع الأوكسجين أو تصيب الدماغ عدوى أو نزيف. الطفل يعيش عقل صافٍ وجسدٍ لا يستجيب كما يريد، كأنَّ الفكرة تسقط قبل أن تصير حركة.

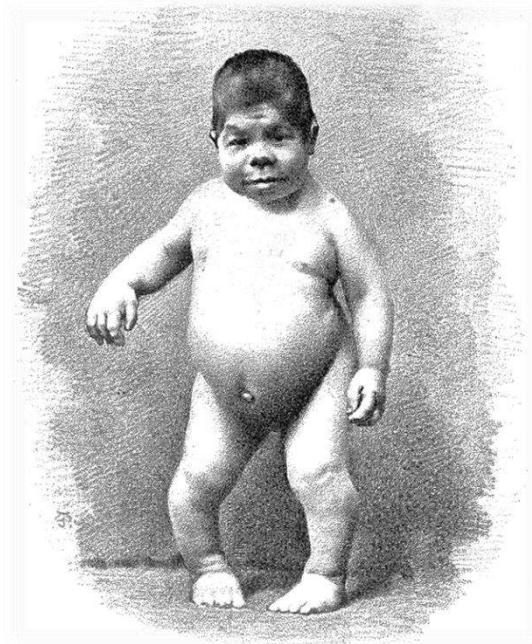


العلاج هنا ليس شفاءً بل رحلة : علاج فизيائيّ، جلسات نطقٍ وتأهيلٍ نفسيّ، أدواتٌ تساعدك على الحركة.

وهؤلاء الأطفال، بعيونهم التي تتقد ذكاءً، يذكروننا أن الإرادة أقوى من الجسد، وأن الروح لا تحتاج عضلاتٍ لتنحرّك.

## الغدة الدرقية حين تنام مبكراً

قصور **الغدة الدرقية الخلقية** من أكثر أمراض الغدد شيوعاً في الطفولة المبكرة. طفلٌ هادئ أكثر من اللازم، نومٌ طويلاً، برودة في الأطراف، بطء في النمو، وانتفاخ في الوجه.



السبب عادة نقص في تكوين الغدة منذ الحياة الجنينية. الطبيب يكتشفه بفحص هرمونيّ بسيطٍ بعد الولادة،

والعلاج هرمون تعويضي يعيد التوازن. لكن إن تأخر التشخيص، يتاخر التطور العقلي والجسدي، لأن الهرمون هو لحن النمو الداخلي. إنها قصة عن التوقيت؛ أن دقائق التأخير في العلاج قد تغير حياة إنسانٍ كاملة.

## ذاكرة الأوبئة الأولى

جري الماء، الحصبة الألمانية، والنكاف، أمراض لا تُفارق ذاكرة الطفولة. طفح جلدية، حرارة، تورّم في الغدد، أحياناً التهاب في الدماغ أو العقم إن أهملت.



لكنها اليوم نادرة بفضل اللقاحات التي تحول الخوف إلى مناعة. هذه الأمراض التي كانت تحصد الأرواح أصبحت رموزاً لعصر انتصر فيه الطب على الصدفة. ومع ذلك، تظل حكايات الجدّات عنها جزءاً من التراث،

تذكّر الأمهات بأنّ كلّ وخزة إبرةٍ في ذراع الطفل هي  
في الحقيقة درعٌ ضدّ الغياب.

في النهاية، أمراض الطفولة النوعية ليست ظواهر مرضية فحسب، بل سردٌ للإنسانية في أنقى صورها. كلّ طفلٍ يولد بعيبٍ في قلبه أو في دمه أو في خلاياه، هو شاهدٌ على أن الكمال ليس شرطاً للحياة، وأنّ النقص أحياناً هو ما يجعل التجربة أكثر امتلاءً بالمعنى.



الأطباء الذين يعالجون هؤلاء لا يرون فيهم مرضى، بل كائناتٍ تختبر حدود الممكن. والممرضة التي تمسك بيد طفلٍ مصابٍ بالتليف الكيسي، لا تقدم علاجاً فقط، بل تمنح معنىً للرحمة. والعائلة التي تسهر على طفلٍ

مصابٍ بالصرع تعرف أنَّ اليقظة لا تكون فقط من أجل الخطر، بل من أجل الحبِّ.

وهكذا، حين نرى طفلاً يعاني ولا يستسلم، ندرك أنَّ الحياة رغم قسوتها لا تزال تمنحنا سبباً للإيمان بها. فالجسد الصغير الذي يقاوم المرض إنما يعلن عن قانونٍ كونيٍّ عظيم : أنَّ الحياة مصممة لتستمرُّ، مهما تعثّرت.

في صمت غرف المستشفيات، حيث تختلط أنفاس الأطفال بأجهزة المراقبة، يمكن سماع موسيقى خفية لا يسمعها إلا من أرهف قلبه: لحنٌ يقول إنَّ الجسد وإنْ ولد ناقصاً، فإنَّ الروح فيه تظلَّ كاملة، وأنَّ الطفولة - حتى في مرضها - تظلَّ أقدس مراحل الإنسان، لأنَّها وحدها تعرف كيف تبكي دون أن تفقد الأمل.



الْأَنْتَهِيَّةُ

(بِصُورَكُمْ نَهِيَ الْأَرْضَامُ  
كَيْفَ يَبْشِّرُونَ)



في أروقة الطب، لا يوجد مشهد يشبه الولادة في عريّه وجلاله. إنّها اللحظة التي ينحني فيها العلم أمام الحياة، لا لينقذها فحسب، بل ليشهد خلقها من جديد. هناك، في غرفةٍ يغمرها الضوء الأبيض ورائحة المطهرات، يحدث أعظم سرٍ في الوجود : تتحوّل الكائنات من فكرةٍ خفيةٍ في رحمٍ دافئ إلى حضورٍ صاخبٍ في العالم. الولادة ليست مجرّد حدثٍ بيولوجي، بل طقسٌ كونيٌّ يعيد تمثيل فعل الخلق الأول، حين خرج النور من رحم العدم.



الطيب في تلك اللحظة لا يملك رفاهية الشعر ، لكنه غارق فيه دون أن يدرى. ففي كلّ تقلّصٍ من تقلّصات الرحم يسمع إيقاع الزمن وهو يلد نفسه من جديد ، وفي كلّ صرخةٍ أمّ يقرأ معنى الخلاص الذي يمرّ عبر الألم ، لا حوله. إن التوليد ، بهذا المعنى ، ليس فرعاً من الطبّ

فقط، بل هو فلسفة الوجود وهي تمارس فعلها الأكثر واقعية وجنوًّا في آن واحد.

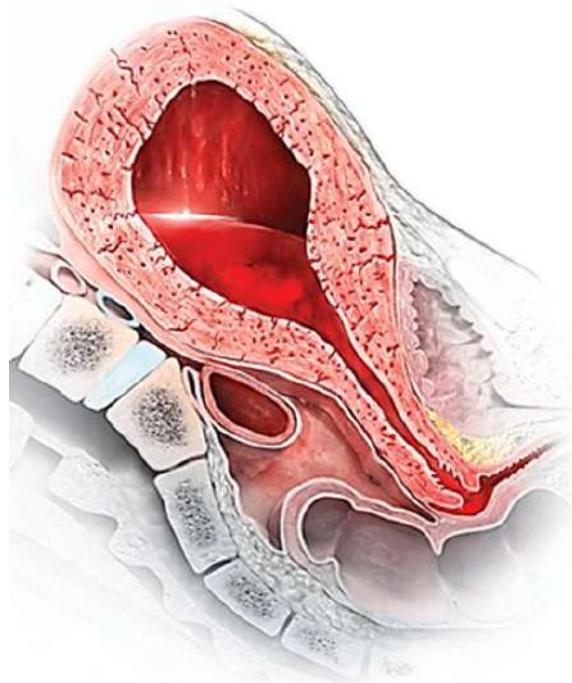
غير أنَّ هذا الطقس المقدس لا يخلو من فوضاه وخطره. في بين الفرح والدم، بين الأمل والموت، يقف الطبيب على الحدّ الفاصل بين النور والظلمة. هناك، في تلك اللحظات التي تتقلب فيها أنفاس الأمّ بين النجاة والهلاك، يُختبر الطبّ في أ Nigel معانيه : كفنٌ لإنقاذ الزمن من التوقف.

## نزيف ما بعد الولادة – عندما يصبح الفرج امتحاناً أخيراً

من أكثر اللحظات التي تختبر صبر الطبيب وإيمانه، لحظة النزيف الذي يعقب الولادة. يحدث حين يُنهك الرحم فلا يعود قادرًا على الانقباض لإغلاق الأوعية التي غذّت المشيمة طوال الحمل. أسبابٌ كثيرة تتداخل: إرهاق، تمدد مفرط، أو بقايا مشيمية تتشبث بالحياة قبل أن تغادر. العلامات لا تخطئها العين : شحوبٌ سريع، نبض متسارع، ضغطٌ ينهار كرمز لأنهيار التوازن بين العطاء والفقد.

التدخل يكون كاستغاثة عاجلة : **تدليلٌ للرحم، وأدوية منبهة، ونقل دمٍ، وجراحة إذا فشل كل شيء**. لكن في

جوهر هذا النزيف رمزية تتجاوز الطب : كأنّ الرحم يدفع آخر قسطٍ من ضرورة الخلق، معلنًا أن الحياة لا تُولد إلا على حافة الموت.



## الإرجاج - الغضب الهدائ في رحمٍ مضطرب

في شهور الحمل الأخيرة، قد يطلّ وجه آخر للحياة، وجهٌ مزيج من الجمال والجنون : الإرجاج أو تسمم الحمل. **يعلو الضغط فجأة، يتورّم الجسد، وتبدأ الكلى والكبد في الانهيار الصامت.** السبب غير واضح تماماً، لكن العلم يهمس أن المشيمة - ذلك العضو العجيب الذي يجمع دمین لا يمتزجان - تطلق مواد تفسد توازن الأوعية، فتفدو الشرايين ضيقّةً كأنها تختنق.

تشكو الأمّ من صداع لا يشبه الصداع، ومن غشاوة على البصر، ومن إحساسٍ أن قلبها لم يعد يعرف

الإيقاع. يُشخص الطبيب الحالة **بالفحص السريري و المخبري**، ويبدأ السباق بين استمرار الحمل وإنهائه، بين زمنٍ يريد أن يكتمل وزمنٍ يخاف أن ينكسر.

و حين يُقرر إنهاء الحمل، تكون **الولادة نفسها هي الدواء**. وهنا تتجلى المفارقة الكبرى : أن الحياة تنقذ أحياناً بأن تُختتم، وأن الولادة قد تكون سبيلاً للنجاة من الحمل ذاته.

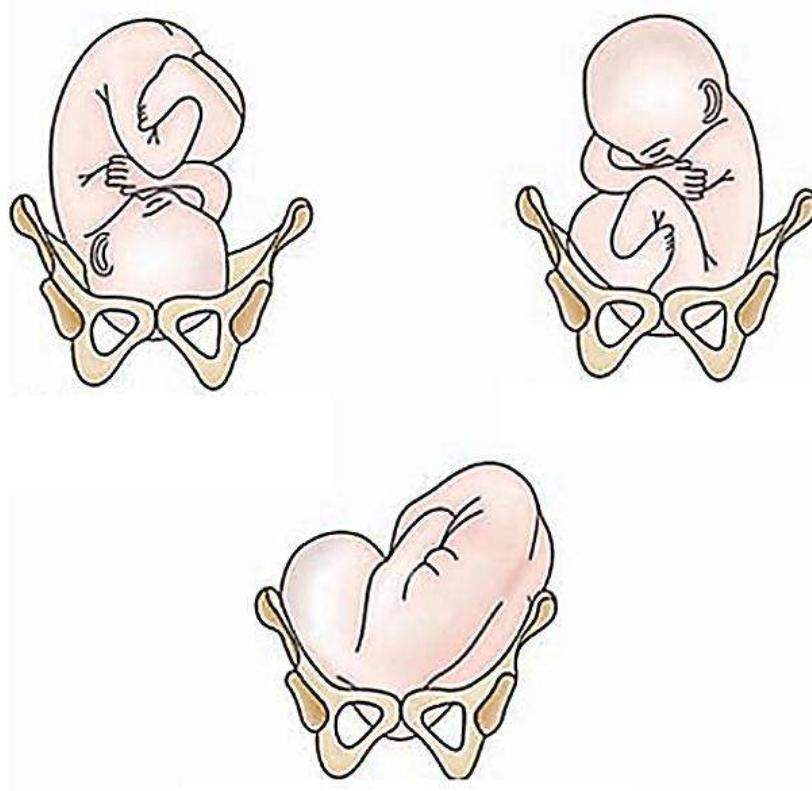
## **الولادة المتعرّضة** – حين يعجز الجسد عن إتمام

### **طقوسه**

ليست كل الولادات طيعةً كالماء. أحياناً يعاند الطريق الجسد، فينقلب المخاض إلى معركةٍ صامتةٍ بين رحمٍ يئنّ و طفلٍ يرفض الخروج. الأسباب تتّنّوّع : ضيقٌ في **الحوض**، ضعفٌ في **تقلّصات الرحم**، أو وضعٌ خاطئٌ **للجنين**. في تلك اللحظات يصبح الطبيب شاعراً فيزيائياً، يقرأ خرائط الألم كما يقرأ العراف خطوط الكف.. يُراقب التقلّصات، يتّبع نبض الجنين، يحاول تسريع الولادة أو اللجوء إلى الملقط والشفاط، وحين يستنفد الطب أدواته، تفتح البوابة القيصرية، كنافةٍ حديديةٍ على المعجزة. ومع كل طفلٍ يُنتزع من رحمٍ متعب، يتذكّر الطبيب أن الحياة ليست دائمًا طريقةً مستقيمةً، بل قد تكون حتّا قاسياً في صخر الألم.

## المجئات – اتجاهات الولادة كاختيارات الوجود

في أواخر الحمل، يبدأ الجنين في تحديد وجهه إلى النور. أغلبهم يتّخذ **الوضع الرأسي الأمامي**، لأنّ الرأس - موضع الفكر - يصرّ أن يكون أول ما يواجه العالم. لكن بعضهم يختار غير ذلك : يأتي **مقدّياً**، أو **عرضياً**، أو **بوجهٍ مقلوبٍ نحو السماء**.



الطب يسمّي هذه الحالات (المجئات غير الطبيعية) ، ويقرأها كاحتمالاتٍ لمخاضٍ صعب. الأسباب قد تكون ضيق الرحم أو زيادة السائل الأمنيوسي أو حركة طائشة للجنين. يُشخص الطبيب الوضع بلمسٍ خبيثٍ وصورةٍ بالموجات فوق الصوتية، ويحدد طريق الولادة الآمن.

لكن خلف هذا العلم تكمن استعارةً مدهشة : كأنّ الجنين يعلن منذ قبل ولادته أنّه كائنٌ حرّ، يختار طريقه، ولو كان طريقاً أعوج. بعضهم يولد كما يولد الحكماء، رأساً على الأرض، وبعضهم كما يولد الشعراء، مقلوبين على الحلم.

## العملية القيصرية – شقّ الجسد لفتح المعنى

حين تتعدّر الولادة الطبيعية، وحين تصمت الطبيعة عاجزةً عن إنجاز نفسها، يتدخل الطبيب بيده الحادة. الجراحة القيصرية ليست مجرد حلٍّ ميكانيكي، بل طقسٌ رمزيٌّ : فتحُّ للجسد الذي رفض أن يولد بل أن يقتحم الدنيا بلا دنس كما تفتح البوابات السماوية في الأساطير. تُخدر الأمّ بين الخوف والرجاء، ويُشقّ الجلد، وتُرفع طبقاتٌ بعد طبقات، حتى تصل اليد إلى الكائن الغارق في دمه ومائه.



ثم، فجأة، يُنْتَزِعُ الطفُلُ إِلَى الضُّوءِ، فَيُبَشِّمُ لِلْحَيَاةِ إِذْ لَدِيهِ رسالَةٌ لِيُنْجِزُهَا فِيهَا. وَتَبْتَسِمُ الْأُمُّ رَغْمَ الدُّمُوعِ، لَأَنَّهَا تَعْرِفُ أَنَّ كُلَّ جَرَحٍ فِي جَسَدِهَا هُوَ تَوْقِيقٌ مِنَ الْحَيَاةِ نَفْسَهَا.

العلاج هنا ليس جراحةً فحسب، بل اعترافٌ بأنَّ الإنسان أحياناً يحتاج إلى أدواته ليكمل ما عجزت عنه الطبيعة. القيصرية، في معناها الأعمق، هي التحالف الأخير بين التقنية والرحم.

## الولادات المبكرة – حين يختصر الزمن نفسه

هناك من يولدون قبل أو انهم، كأنَّهم على عجلٍ من أمرهم، أو كأنَّ الزمان لم يحتمل بطء تكوينهم. هؤلاء هم أطفال الولادة المبكرة، الذين جاؤوا قبل اكتمال رئاتهم وأجسادهم الصغيرة. الأسباب قد تكون التهاباتٍ خفيةً، أو أمراضًا مزمنةً، أو ضغوطًا لا ثُرى.

حين تبدأ التقلصات المبكرة، يهرع الطبيب **لإيقاف الزمان بالأدوية والمحاليل**، لكن الزمان لا يطيع أحدًا. يولد الطفل، هشاً كالورق، يوضع في الحاضنة كجنين في رحمٍ اصطناعي. وتصبح أنابيب الأوكسجين حبلاً سريّةً جديدةً، تربطه بالحياة من جديد.

وكل من رأى طفلاً كهذا وقد نجا، يعلم أنَّ الضعف قد يكون أقوى أشكال الإرادة.

# اضطرابات المشيمة - حين يختل الجسر بين عالمين

المشيمة، تلك الأرض الوسطى بين الألم وجذنها، ليست مجرد عضوٍ عابر، بل كوكبٌ صغير يدور في مدار الحياة. فيها تختلط الدماء دون أن تمتزج، ويُصنع الغذاء كما يُصنع الشعر من النور. لكن حين يختل ارتكازها، تبدأ فوضى خفية لا يراها سوى الطب.

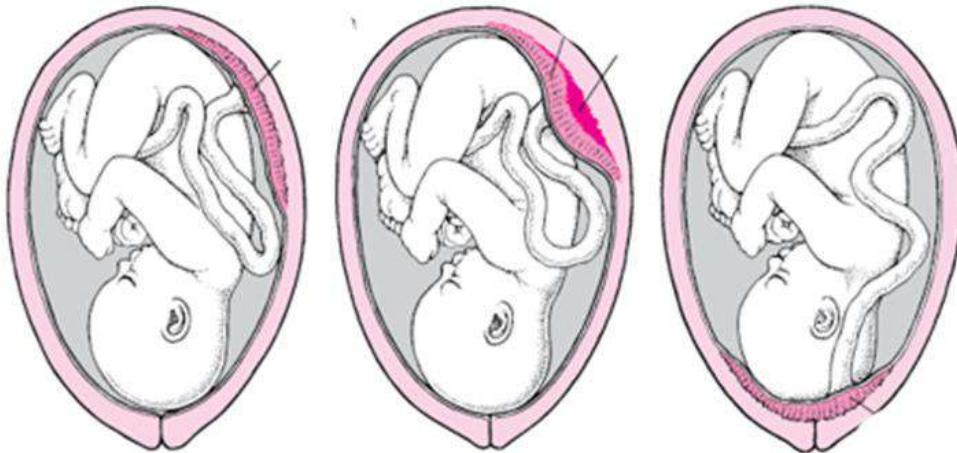
قد تلتصلق المشيمة في موضع منخفضٍ قرب عنق الرحم، فيما يُسمى **ارتكاز المشيمة المعيب**، فتغدو طريق الولادة مفروشةً بالدم والخطر، لأن **نزيفاً مفاجئاً** قد يعلن تمزّدها قبل الأوان.

وأحياناً، تتوجّل جذورها أكثر من اللازم، فتنغرس في جدار الرحم بعمقٍ غير مألف، فيحدث ما يُعرف **بالمشيمة المندخلة** ، تلك التي ترفض الانفصال بعد الولادة، كحبـيـةٍ عـنـيدة لا تطيق الفراق. العلاج هنا مزيجٌ من الحكمة والجرأة، بين الحفاظ على حياة الألم واستئصال ما التصلق بجدارها.

وفي بعض الحالات، تنفصل المشيمة فجأة عن مكانها قبل اكتمال الرحلة، في ما يُعرف **بالانفكاك الباكر**، فتختنق الأرواح في لحظةٍ واحدة. الألم يشتعل في البطن، الدم يفيض، والعالم يتجمد بين إنقاذ الألم

ومحاولة إنعاش الجنين.

هكذا تذكّرنا المشيمة أن كلّ علاقةٍ، مهما بدت كاملة، قد تتكسر بخطأً بسيط في الارتكاز، وأنّ الجسر بين عالمين لا يضمن عبوراً آمناً دائماً.



مشيمة متعددة

انفصال باكر

ارتكاز معيب

## الحمل المتعدد - عندما تكرر الحياة دهشتها

ليس الحمل دائماً قصةً واحدة، فقد يقرر الرحم أن يحتضن أكثر من قلبٍ في الوقت نفسه. التوائم، الثلاثاء، وربما أكثر ، معجزاتٌ صغيرةٌ تذكّرنا بأنّ الخصب أحياناً يفيض عن حدوده.

لكن هذا الفيض لا يخلو من خطره : الإجهاد، فقر الدم، الولادة المبكرة، واحتباس أحد الأجنة في الظلل. الطبيب هنا لا يعالج جسداً واحداً، بل توازنًا بين أرواحٍ تشتراك في مكانٍ واحدٍ وزمنٍ واحدٍ.

يُراقب نموّهم بالموجات الصوتية، يتتبع أنفاسهم كمن

يُحصي نجوماً في سماءٍ واحدةٍ. وحين يأتي يوم الولادة، تكون القيصرية غالباً هي الخلاص، لا خشية من الجراح، بل اتقاءً للفوضى.

وفي تلك اللحظة، حين تخرج الأرواح تباعاً إلى النور، يبتسم العالم كأنه شهد مضاعفة معناه.



في نهاية كل شيء، لا يبقى من التوليد إلا رمزه الأكبر: أن الوجود نفسه رحم لا يتوقف عن الولادة. من ذرات النجوم إلى دموع الأمهات، من الانفجارات الكونية إلى نبض الجنين، تسري حركة الخلق في كل ما هو حي. الطبيب، حين يقف أمام جسدٍ ينZF أو جنينٍ يصرخ، إنما يشارك في فعلٍ أزلٍ يربط الطب بالميافيزيقا، والعلم بالحب. إن كل ولادة هي لحظة عبورٍ من اللاشيء إلى المعنى، وكل جرحٍ هو نافذةٌ مفتوحةٌ على الضوء.

وهكذا، حين تنتهي الولادة ويغادر الطبيب الغرفة، يظلّ  
في الجوّ صدى صرخة أولى لا تهدأ ، صرخة الحياة  
وهي تتذكّر أصلها، وتعلن في كلّ مرّة أنها لن تكفّ أبداً  
عن الحدوث.





**أنماط الجماعة**

**(المُبْخَج مُنْتَاج الأَسْرَار)**



ليست الجراحة مجرّد فنٍ في شقّ الأجساد، بل هي الفعل الأكثر اقتراباً من جوهر الوجود. وفيها يتجاوز الإنسان حدوده، يفتح لحم ذاته ليعيد صياغة ما أفسده الزمن أو المرض أو القدر. الجراح لا يكتب بالمداد، بل بالشرط؛ لا يرسم على الورق، بل على الكائن الحي نفسه. وبين يديه، يتحول الجسم من كيانٍ مغلقٍ إلى كتابٍ مفتوحٍ على أسرار الخلق.



في بدايات التاريخ، كان الجراح كاهناً أكثر منه طبيباً. كان يُجري القطع وهو يرتجف من سخط الآلهة، ثم يضمد الجرح بأعشابٍ ومناجاة. لكنَّ الزمان، وهو أكثر

الكائنات تمرّداً، قرّر أن يمنح الإنسان الجرأة. وحين ولد التخدير، وبدأ الضوء يغمر غرف العمليات، أصبح المشرط مرآةً لذكاء الإنسان، لا لخوفه. ومنذ تلك اللحظة، صار الجراح هو الذي يقف بين الألم والأمل، بين الموت الذي يهمس من الداخل والحياة التي تتشبث بخيطٍ من المهارة.

## جراحة القلب - حين يصلح مركز الوجود

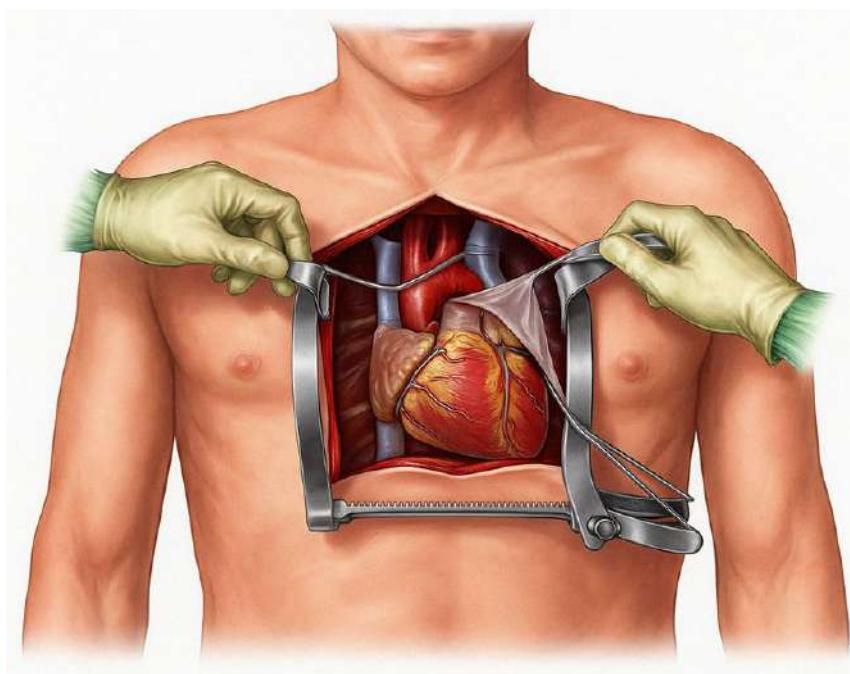
القلب، هذا العضو الصغير الذي يضخّ الزمن في العروق، لم يسلم من يد الجراح. فهناك لحظاتٌ يتعب فيها من الخفقات، تخنق شرائينه بالدهون، تضيق بالصمت، فينادي : ( افتحوا شرائي لأتنفس ) . فيأتي الجراح، كمن يفتح نافذة في جدارٍ من الدم.

أمراض القلب التاجية هي الأشيع في العالم، حصيلة حياةٍ مملوءةٍ بالتدخين، والضغط، والسمنة، والقلق المزمن. تبدأ القصة بألمٍ ضاغطٍ في الصدر يمتدّ إلى الذراع، يذكر المريض بأن الحياة ليست مضمونة حتى في نبضها. التشخيص يأتي عبر تخطيط القلب والتصوير بالأشعة الملونة، والعلاج يبدأ بالأدوية لكنه كثيراً ما ينتهي على طاولة الجراحة، حيث تُزرع الشرايين أو تُبدل الصمامات.

ومن أشهر الجراحات هنا : **جراحة مجذدة الشريان**

**التاجي (تطعيم الشرايين المسدودة)، و استبدال  
الصمامات القلبية، وإصلاح العيوب الخلقية عند  
الأطفال، وزرع أجهزة تنظيم ضربات القلب.**

في غرفة العمليات، حين يُوقف القلب عن النبض  
ويُوصل بجهاز خارجيٍّ يعيد له الحياة مؤقتاً، يشعر  
الجراح أنه أمام أعمق لحظةٍ في الطبِّ كله : أن توقف  
مركز الحياة بإرادتك ثم تعينه كما كان. الجراحة هنا  
ليست تقنية، بل نوعٌ من الشعر السريري، يُكتب  
بالسكين وينهيه الخيط.



## **جراحة الدماغ – عندما يفتح الإنسان نافذة على وعيه**

ثمة شيءٌ يبعث الرهبة حين تُفتح الجمجمة كما تُفتح  
صفحةٌ من كتابٍ مقدس. الدماغ، هذا النسيج الرمادي

الذي تخفي فيه الذكريات والأحلام واللغة، يصبح تحت عين الجراح، مكسوفاً كما لم يكن يوماً. لا مجال للخطأ هنا؛ فكلّ مليمتر قد يعني ذاكراً ضاعت، أو كلمة سقطت من الوعي.

وتعود من أشهر عملياته الجراحية : استئصال أورام الدماغ، وإصلاح تمدد الأوعية الدموية، وجراحة الصرع المقاوم للأدوية، وإزالة النزيف الدماغي و جراحة الديسك ، و جراحة الشنت البطيني ، و جراحة الأعصاب الطرفية .

والجراحة العصبية، مهما بلغت دقتها، تظلّ فعلاً فلسفياً: لأنك تدخل أداةً معدنيةً إلى موضع الفكر نفسه. وحين ينجو المريض، وحين تفتح عينيه بعد الغيبوبة، يدرك الطبيب أنه لم يعالج نسيجاً، بل أعاد ترتيب حدود الوعي ذاته.



## الجراحة العامة - أم الجراحات

تحت الجلد، حيث تتشابك الأمعاء والكبد والمعدة والبنكرياس، يعيش عالمٌ لا يُرى إلا بالسكين. هناك، تدور المعارك ضدّ الزائدة الدودية الملتهبة، والمرارة المثقلة بالأحجار، والأورام التي تقتات على اللحم الحي. كلّ عضوٍ من هذه الأعضاء يحكي حكايةً مختلفة عن التوازن والاختلال.

ومن أشهر الجراحات العامة : استئصال الزائدة الدودية، واستئصال المرارة، وإصلاح الفتق بأنواعها، واستئصال القولون الجزئي أو الكلي، واستئصال أورام الكبد أو المعدة ، و جراحة البواسير ، و جراحة الدرق.



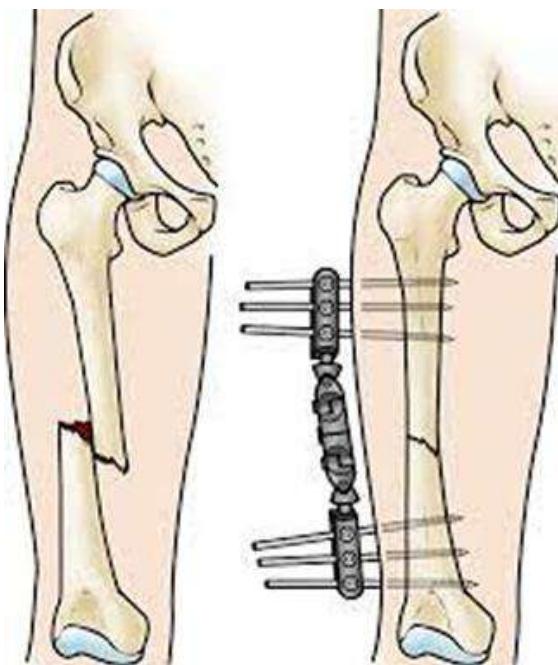
هذه العمليات، وإن بدت روتينية، تحمل رمزاً أعمق: أن

الجسد لا يشفى إلا حين يواجهه ما اختبأ في أعماقه، وأن  
الألم في الداخل لا يعالج إلا بالفتح، لا بالإنكار.

## جراحة العظام – إعادة هندسة الحركة

العظام هي أعمدة الكيان. حين تنكسر، لا ينهار الجسد فقط، بل يختل توازنه الرمزي. الجراح هنا مهندس الزمن، يعيد ترتيب الشظايا، يربطها بمسامير ومسامير، كمن يعيد كتابة نوته موسيقية بيد من حديد.

تشمل جراحات العظام الشهيرة : **ثبيت الكسور بالصفائح والمسامير، واستبدال مفصل الورك أو الركبة، وإصلاح تمزقات الأربطة والغضاريف، وتصحيح التشوهات الخلقية.**



كل عملية من هذه الجراحات ليست مجرد ترميم للعظام، بل هي استعادة لقدرة الإنسان على النهوض.

فالحركة، في جوهرها، ليست خاصيةً جسديةً فحسب، بل إعلانٌ دائم عن الإرادة.

## جراحة الأورام – الحرب الصامتة مع العدم

لا شيء يثير الرعب والدهشة مثل الورم. كتلةٌ صغيرة، خليةٌ واحدة قررت أن تنسى النظام. ومن هنا يبدأ التمرّد. الجراح يقترب من الورم كما يقترب شاعرٌ من بيتٍ ناقصٍ في قصيدةٍ مقدّسة، يعلم أنّ عليه أن يزيله بدقةٍ دون أن يدمّر ما حوله.

ومن أشهر الجراحات في هذا المجال : استئصال أورام الثدي، واستئصال القولون أو المعدة السرطاني، و استئصال أورام الكبد والرئة، والعمليات الترميمية بعد إزالة الأورام.



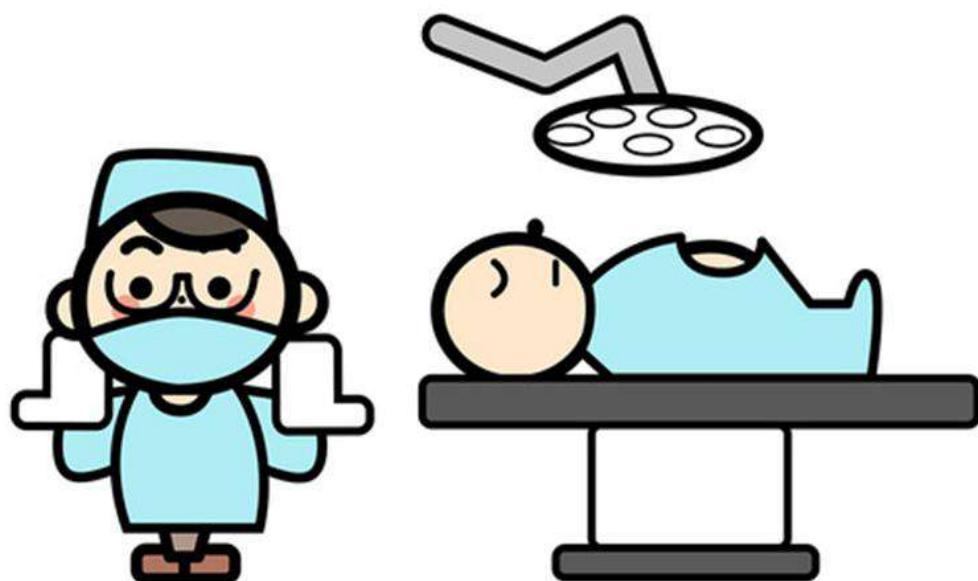
غير أنَّ الجراحة هنا ليست حرباً فقط، بل فعلٌ تطهيرٌ

رمزي، كأن الجسد يخلع عن نفسه جزءاً فاسداً  
ليواصل البقاء.

## جراحة الأطفال – الطفولة حين تولد مرتين

حين يجري الجراح سكينه على جسد طفلٍ صغير،  
يُشعر أنه لا يتعامل مع لحم فقط، بل مع وعد بالحياة.  
هناك عيوبٌ خلقيّة : تشوه القلب، انسداد الأمعاء، فتق  
الحجاب الحاجز. يولد الطفل ناقصاً في شيءٍ ما،  
ويُطلب من الطبيب أن يتمم ما عجزت عنه الطبيعة.

ومن أكثر الجراحات شيوعاً : إصلاح فتق الحجاب  
الحاجز الخلقي، واستئصال التشوهات المعوية،  
وتصحيح تشوهات المسالك البولية، وعمليات القلب  
الخلقي عند الرضيع.



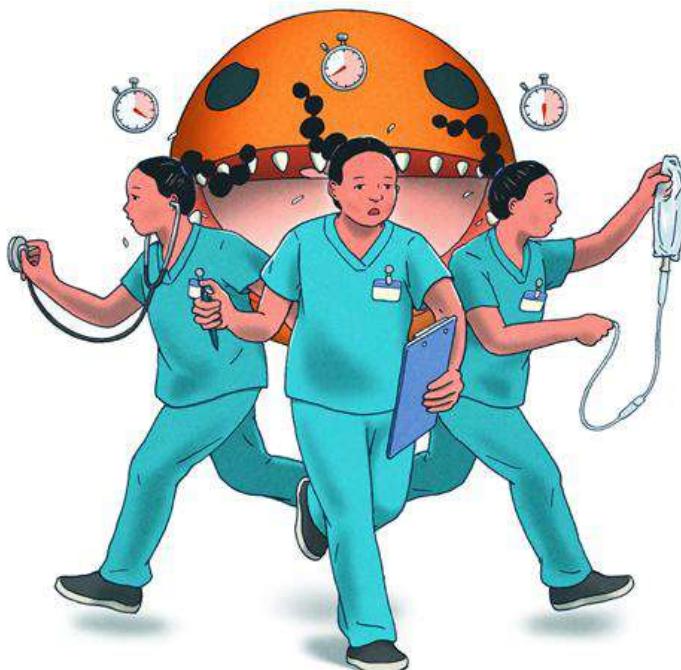
تُجرى العمليات الدقيقة، وتُعاد الأعضاء إلى مواضعها،

كم يعيد كتابة صفحٍ لم تُكتمل. وفي كلّ ولادةٍ ثانيةٍ كهذه، يثبت الطبّ أنه ليس ضدّ الطبيعة، بل امتدادٌ لرحمتها.

## جراحة الطوارئ - سباق الإنسان مع الزمن

في غرف الطوارئ، يتلاشى الفرق بين العلم والغريزة. الجراح هناك لا يفكر، بل يتحرك. نزيف داخلي، طعنة نافذة، حادث سير، انفجار. الدم يصرخ بلغةٍ لا تحتاج إلى ترجمة.

القرارات تُتّخذ في ثوانٍ: فتح البطن، إيقاف النزف، إنعاش القلب. ومن أشهر عملياتها: استكشاف البطن للنزيف الداخلي، وإصلاح الأوعية الممزقة، وبتر الأطراف المصابة، وإصلاح إصابات الصدر والدماغ الطارئة.



لا وقت للتأمل، لكن كل لحظة فيها تخزن فلسفه كاملة: أن الحياة لا تُقاس بطولها، بل بكم المرات التي أنقذناها فيها من السقوط.

## النَّدْبَةُ – ذاكرة الجسد المفتوحة

بعد أن تُخاطِطُ الجروح وتُضمِّدُ الأعضاء، تبقى النَّدْبَةُ صغيرةً أو كبيرةً، لا فرق. إنَّها الشاهد الأخير على المعركة. في ظاهرها أثرٌ ماديٌّ، لكن في عمقها شهادة على البقاء. كل نَّدْبَةٍ هي توقيعُ الجراح، وهي أيضًا توقيعُ الزمان على الجسد.

بعض النَّدوب تُشفى مع الأيام، وبعضها يبقى، كأنَّها تصرّ على أن تُذكرنا بأنَّ الشفاء لا يعني النسيان.

في النهاية، لا يمكن النظر إلى الجراحة بوصفها مجرد حرفَة. إنَّها تأمُّلٌ في معنى الفناء والإصلاح. حين يفتح الجراحَ الجسد، فإنه لا يدمِّره، بل يبحث فيه عن الطريق إلى الحياة. الجسد بعد الجراحة لا يعود كما كان، لكنه يخرج من التجربة أكثر وعيًا بضعفه، وأكثر استعدادًا لمواصلة الوجود.

الجراحة ليست انتصار الإنسان على الطبيعة، بل تحالفه معها. فهي تذكّره بأنه، رغم كل علمه، لا يزال كائناً هشًا يحيا بالشرط كما يحيا بالصلة.

وَحِينْ يُغْلِقُ الْجَرَاحُ آخِرَ غَرْزَةً، وَيَنْزَعُ قَفَازَاتِهِ، وَيَغْادِرُ  
الْغُرْفَةَ، يَبْقَى خَلْفَهُ جَسْدٌ نَائِمٌ يَتَهَيَا لِلنَّهَارِ ، وَجَسْدٌ آخِرٌ  
فِي دَاخِلِهِ، الْجَسْدُ الرَّمْزِيُّ لِلإِنْسَانِ الَّذِي لَمْ يَكُفَّ يَوْمًا  
عَنْ مَحَاوِلَةِ تَرْمِيمِ نَفْسِهِ.





أ. مراخصة  
نفعية

( صفة ٢٠ )



في البدء لم يكن الجسد هو الذي يمرض، بل الوعي. منذ أن أدرك الإنسان أنه يفكّر، أصبح مهياً لأن يتآلم. كانت أول صرخة في التاريخ صرخة خوفٍ من الداخل، لا من الخارج. ومنذ ذلك الحين، لم يكن المرض النفسي ضعفاً، بل انعكاساً لمفارقة وجودية عميقـة: أن الوعي ذاته - الذي يرفعنا عن الحيوان - هو الذي يجرّنا إلى الهاوية.

النفس ليست عضواً في الجسد، بل كيانٌ يعيش بين الضوء والظلال، بين المنطق والحلم، بين الماضي الذي لا ينسى والمستقبل الذي لا يمسك. وحين تختل تلك المسافة، حين يضيع التوازن بين الداخل والخارج، تولد الأمراض النفسية، لا كعدوٍ من الخارج، بل كرسالةٍ من أعماقِ تئن تحت ثقل الفكر.



## الاكتئاب - السقوط البطيء في الفراغ

الاكتئاب ليس حزناً، كما يظن العابرون، بل هو انطفاء الضوء الداخلي. هو أن يستيقظ الإنسان فيجد أن العالم نفسه فقد لونه. لا رغبة في الأكل، ولا شغف في الحياة، ولا معنى للنهر.

في الطب، يُعرَّف الاكتئاب بأنه **اضطراب في المزاج يتميز بفقدان المتعة والطاقة والاهتمام**، يمتد لأسابيع أو شهور. أسبابه متشابكة: **اضطراب في كيمياء الدماغ، عوامل وراثية، صدمات الطفولة، خساراتٍ غير معنة، وضغوطاً لا تُحتمل.**

أما أعراضه فهي ذلك الخواء الذي يلتهم كل شيء، الأرق أو النوم المفرط، فقدان الشهية أو نهمها، شعور بالذنب واللاجدى.



التخسيص يعتمد على الحوار، على الإصغاء لما لا

**يُقال**. أما العلاج، فهو مزيج من **الدواء** كمضادات الاكتئاب التي ترفع السيروتونين **والعلاج النفسي** الذي يعيد ترتيب أفكار المريض كما يُعاد ترتيب بيتٍ بعد إعصار.

والعجب أن كثيرين من العظماء عبر التاريخ عانوا الاكتئاب كحال رئيس الوزراء البريطاني وينستون تشرشل الذي أطلق عليه اسم الكلب الأسود لما بث في عقله من أفكار سوداوية سلبية ، وكأنّ العبرية لا تولد إلا في ظلّ الظلمة.

## **القلق - حين يتآكل الإنسان من الداخل قبل أن**

### **يحدث شيء**

القلق هو شكل آخر من العبادة، عبادة الخوف. يعيش صاحبه في حالة استنفار دائم، لأنّ الخطر يسكن في كلّ صوتٍ، في كلّ فكرة، في كلّ احتمال.

طبعاً، القلق اضطرابٌ يفيض فيه الجهاز العصبي بالأدرينالين، حتى يغدو الإنسان محاصراً بين أفكاره وخفقان قلبه. أسبابه خليط من **الوراثة والتربيّة والبيئة**، وتجاربه السابقة التي حفرت في الذاكرة خطوطاً لا تمحى.

تظهر الأعراض في الجسد كما في الروح : ضيق **النفس**، رعشة اليدين، تسارع القلب، إحساس دائم بأنّ

شيئاً رهيباً وشيك. يُشخص القلق **بالحديث**، لا **بالتحليل**، ويُعالج **بالمهدئات والعلاج السلوكي** الذي يعلم المريض كيف يتحدث مع خوفه بدل أن يهرب منه.

القلق، في جوهره، ليس مرضًا بقدر ما هو وعيٌ زائد بالحياة. ومن يعيش أكثر من اللازم في المستقبل، يعاقب بـ**عدم القدرة على العيش في الحاضر**.



## **الفصام - انشقاق الوعي على ذاته**

الفصام ليس جنونًا كما توهّم الناس، بل هو تصدّعٌ في طريقة رؤية الواقع. المريض لا يفقد عقله، بل يعيش في عقولٍ متوازية. يسمع ما لا يسمعه الآخرون، يرى ما لا يُرى.

في الطب، يُعرّف الفصام بأنه اضطرابٌ ذهانيٌ يفصل المريض عن الواقع بفعل خللٍ في الدوبامين

**والمستقبلات العصبية.** أسبابه مزيجٌ من الوراثة، والبيئة، والتجارب القاسية في الطفولة.

أعراضه تشمل الهلاوس السمعية والبصرية، والأوهام، واضطراب التفكير والكلام، وفقدان العاطفة. يُشخص بالفحص السريري والملاحظة الطويلة، ويُعالج بمضادات الذهان والعلاج النفسي المساند.

لكنّ الفضام أيضًا تجربة فلسفية : كأنّ الإنسان يجرّب أن يعيش في أكثر من عالمٍ في الوقت نفسه. أحدهم في الواقع، والأخر في الداخل. وكأنّ الذات، وقد أثقلت بالمعنى، انفجرت لتولد ذاتين متناحرتين في الجسد نفسه.



## **الاضطراب ثنائي القطب - رقصة بين النور**

### **والظلم**

هو المرض الذي يتقلب فيه المزاج بين القمة والقاع،

بين جنون النشاط وجمود الحزن. في لحظة، يشعر المريض أنه قادر على كل شيء، وفي اللحظة التالية ينهار تحت ثقل الفراغ.

السبب في جوهره خللٌ في تنظيم النواقل العصبية بين **السيروتونين والدوبامين**. وراثة جزئية، وتجارب مؤلمة، ونظام نوم مختلٌ.

في نوبات الهوس، يتحدث المريض بسرعة، يخطط بلا حدود، ينام قليلاً ويحبّ كثيراً. ثم تأتي النوبة المعاكسة، فيغرق في الكتاب عميقاً يلغيه.



العلاج يعتمد على **البيثيوم كمثبٍ للمزاج** و أدوى أخرى تخفض الدوبامين في الهوس و تحسن المزاج في الكتاب، مع العلاج النفسي الذي يعيد المريض إلى توازنه بين القطبين.

إنه المرض الذي يجعل صاحبه يعيش تناقض الوجود كله : أن تكون سعيداً حد الجنون، ثم حزيناً حد الصمت.

## الوسواس القهري - سجناء الأفكار المتكررة

في الوسواس القهري، لا يهاجم العدو من الخارج، بل من الداخل. أفكارٌ تتسلل إلى الوعي، تفرض نفسها عليه، ثم تتبعه طقوسٌ قهريّة : غسل اليدين بلا نهاية، عد الأشياء، إعادة إغلاق الباب.



الأسباب عصبية - خلل في دوائر التحكم الدماغية -  
لكن جذورها تمتد إلى الخوف من الخطأ، وإلى البحث  
المحموم عن الكمال.

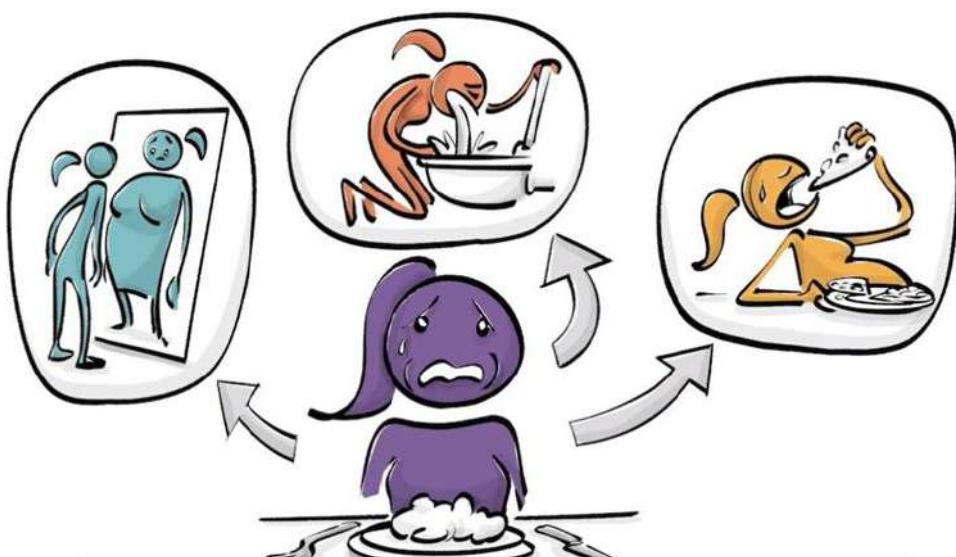
التشخيص يعتمد على **ملاحظة التكرار وشدة القلق الناتج عنه**. والعلاج يشمل الأدوية التي تضبط السيروتونين، والعلاج السلوكي الذي يعيد للمريض حرية أن يخطئ.

الوسواس القهري هو مأساة الوعي المفرط، فكلما حاول الإنسان أن يكون كاملاً، ازداد عبوديته لفكرة لا يرحم.

## اضطرابات الأكل - الجوع بوصفه احتجاجاً على العالم

حين يرفض الجسم الطعام، أو حين يلتهمه بجنون، فال المشكلة ليست في المعدة، بل في المعنى.

في **فقدان الشهية العصبي**، ترى الفتاة نفسها سمينة رغم عظامها البارزة. في **الشهوة العصبية**، يأكل الإنسان بشهراهةٍ ثم يندم حدّ القيء.



تلك الأمراض ليست غريبة، بل شائعة بين المجتمعات

التي ربطت الجمال بالهزال، والقيمة بالشكل. الأسباب نفسية، بيئية، وجينية. الأعراض تتراوح بين فقدان الوزن، واضطراب الدورة، والعزلة الاجتماعية.

العلاج يحتاج إلى فريقٍ من الطب النفسي والتغذية، وإلى إعادة تعريف الذات بعيداً عن الجسد.

فاضطرابات الأكل ليست عن الطعام، بل عن الحب الذي لم يُمنح.

## اضطراب ما بعد الصدمة - حين لا تنتهي

### الحرب داخل الجسد

الناجون من الحروب والحوادث والاغتصاب لا ينجون حقاً. يعيشون المشهد مراراً في الأحلام والكوابيس واليقظة.



في الطب، هو اضطرابٌ يُصيب من شهد حدثاً يفوق

قدرته على الاحتمال. السبب ليس الحدث ذاته، بل العجز عن إغلاقه.

الأعراض : كوابيس، تجذب، يقظة مفرطة، وانفصال عن الواقع. يُشخص بالحوار النفسي، ويُعالج بالعلاج السلوكي والعلاج بالتلعّرُض، وأحياناً بالأدوية التي تُسكن الذكرة لا الألم.

إنه المرض الذي يثبت أنّ الماضي لا يموت، بل يتحول إلى مخلوقٍ يعيش في الداخل.

## الإدمان - عندما يهرب الإنسان من نفسه إلى

### نفسه

الإدمان ليس حباً للمادة، بل كراهية للفراغ. سواء كان كحولاً أو مخدرًا أو شاشة، الفكرة واحدة : البحث عن خلاصٍ سريعٍ من الألم.

في الطب، هو اضطراب دماغي مزمن يتميز بفقدان السيطرة رغم الأذى. أسبابه نفسية وبيولوجية واجتماعية. الأعراض معروفة : التوق، التحمل، الانسحاب، الانهيار.

العلاج يبدأ بالاعتراف، يمرّ بإزالة السموم، ثم بالعلاج النفسي الجماعي الذي يرمم الذات من الداخل.

الإدمان ليس نهاية الأخلاق، بل بداية الخوف من

الوعي.



## اضطرابات النوم - حين تتمرد العتمة على النظام

الليل في عيون الأصحاب راحة، وفي عيون المرهقين  
جحيمٌ بطيء. الأرق، الكوابيس، النوم القهري، السير  
أثناء النوم ، كلها رسائل من اللاوعي.



الأسباب قد تكون **ضغوطاً، أو قلقاً، أو اضطراباً بيولوجياً**. الأعراض تتراوح بين الإرهاق والهلوسة وتشتت التركيز.

التخليص يتم عبر دراسة النوم، والعلاج بمزيج من **تعديل السلوك والأدوية المهدئة**.

النوم مرآة العقل، فإذا اضطربت، اضطربت الحلم.

في النهاية، لا تُشفى النفس كما يُشفي الجسد. إنّها لا تلتئم بالضماد، بل بالفهم. **المرض النفسي ليس ضعفاً، بل شكلٌ من أشكال الوعي الزائد**. فحين يرى الإنسان أكثر مما يحتمل، يفقد القدرة عن التعبير فيختلط تواؤه.



ربما الجنون هو الحقيقة حين تسقط الأقنعة، والمرض هو اللغة التي تتحدث بها الروح حين يعجز اللسان.

إن العقل البشري، في لحظات اضطرابه، لا يفقد إنسانيته، بل يكشفها. وربما في كلّ منا، في أعمق لا نصلها، ظلّ صغير من الجنون، يحرس توازننا الهشّ بين العقل والحلم، بين الواقع والهاوية.

فالنفس، مهما تعافت، تظلّ كائناً يسير على حافة الضوء، يرى، ويُخاف، ويحبّ، ويهدى، لكنه لا يتوقف عن البحث عن نفسه بين أنقاض ذاته.



فَقْ

( مُهَاجِرَاتُ الْمُهَاجِرَاتِ )

مکان

(تایپ میکرائز)



= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟

= منشور على موقع التواصل الاجتماعي يتناول قصة  
أغرب من الخيال ..

= أنت تعرف كيف تستفز حمasti .. هات ما عندك ..

= استمع .. يتناول المنشور قصة السيدة غلوريَا  
راميريز، التي عُرِفت لاحقاً في الصحفة الأمريكية باسم  
**المرأة السامة** ..

= و لماذا ؟

= كانت غلوريَا سيسيليا راميريز، امرأة أمريكية في  
عمر الثانية والثلاثين، مصابة بسرطان عنق الرحم في  
مراحله المتقدمة. في يوم من أيام عام **1994** نُقلت  
إلى قسم الطوارئ في مستشفى بمدينة ريفرسايد في  
ولاية كاليفورنيا.

= و بعد ؟

= خلال محاولات الأطباء والممرضين علاجها، حدث  
شيء غير مألوف، فبعض أفراد الطاقم الطبي شعروا  
بصداع شديد ، ضيق تنفس، وتشنجات عضلية بمجرد  
اقترابهم من جسدها أو من عينات دمها. حتى أن عدداً  
منهم أغمي عليه في غرفة الطوارئ نفسها ..

= غريب بالفعل !! و ما تفسير ذلك ؟

= التحقيقات لاحقاً أشارت إلى أن غلوريَا راميريز

كانت تستخدم مادة تُسمى ثائي ميثيل سلفوكسيد (DMSO) كمسكن للألم السرطان .. وعندما تلقت الأوكسجين في المستشفى، تحولت تلك المادة كيميائياً داخل جسدها إلى مركب خطير هو ثائي ميثيل سلفات، الذي يمكنه أن يطلق أبخرة سامة. هذه الأبخرة هي التي سببت الأعراض الغامضة للعاملين بالمستشفى و سقطهم تباعاً مغماً عليهم.



= إنها مرأة سامة بالفعل .. و هل شفيت من السرطان لاحقاً ؟

= للأسف لا ، في النهاية، تُوفيت غلوريا راميريز بسبب مضاعفات السرطان كعادة أغلب المرضى، لكن قصتها بقيت لغزاً طبياً وعلمياً غريباً، وجعلت جسدها رمزاً أشبه بحصان طروادة ، دخل إلى المستشفى بشكل

بريء ، لكنه كان يحمل في داخله سرّاً خفياً ألم الأذى  
بالآخرين ..

= ليرحمها الله .. ألن يحيى وقت ننتهي فيه من هذا  
المرض اللعين ؟

= محق .. لقد تم اكتشاف علاجات جذرية لأغلب  
الأمراض ، لكن السرطان بقي عصياً على العلاج ..  
لكنني بحسب خبرتي كطبيب ، فقد قرأت مقالاً واعداً و  
مفائلاً بأن العلاج الجذري له قد يصبح ممكناً على  
المدى المنظور عبر التلاعب الأنزيمي في الخلايا  
السرطانية ..



= و كيف ذلك ؟

= تعال لاقص عليك قصة السرطان الغريبة و خلالها  
أشرح لك أكثر طبيعة هذا العلاج الواعد ..

\*\*\*\*\*

السرطان كائن غامض يولد من أعماقنا، لا يأتي من الخارج بل ينهض كظلٍّ خائن يسكن الجسد .. هو الفلسفة المظلمة للحياة حين تقلب طاقتها الخلّاقة إلى بذرة خراب .. يعلّمنا أن الشر ليس دائماً غريباً عنا، بل قد يتجسد فيما كصوتٍ يرفض الانصياع .. إنه اختبارٌ للروح : هل تذوي تحت وطأة الفناء أم تكتشف في الألم معنى أعمق للوجود ؟

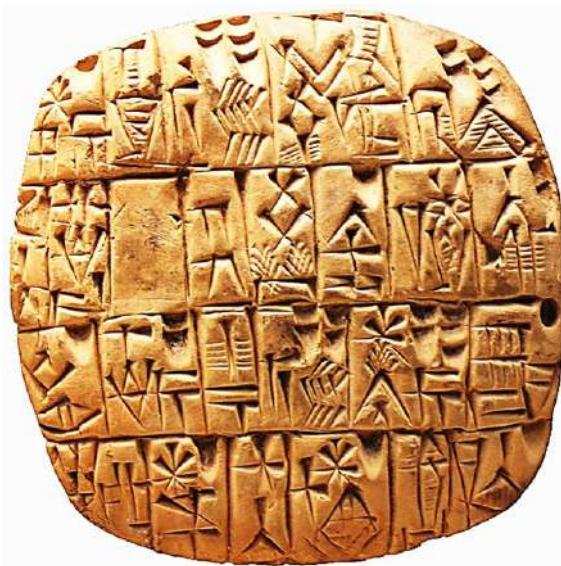
إنه ببساطة رمزٌ للثنائية الأبدية : حياة و موتٌ يتنازعان في قلب الإنسان حتى ينتصر أحدهما على الآخر .. و للأسف حتى يومنا هذا فإن الغلبة في أغلب الأحيان تكون لذاك الموت الخبيث المكرود ، و لهذا السبب ، لانتشار السرطان الواسع و تأثيره المدمر ، يستحق أن يأخذ مكاناً له في هذا الكتاب ، فانتصار الشر في هذه الحياة مغالطة كبرى لا بد من تصويبها ، و هذا ما سنحاول القيام به خلال الصفحات التالية عبر مقاربة موضوع السرطان من عدة نقاط هامة و شيقة :

- ① نشأة السرطان عبر التاريخ ..
- ② كيف يحدث السرطان ؟ ..
- ③ ما هي العوامل التي يمكنها إحداثه ؟ ..
- ④ كيف يمكن قهره ؟ ..
- ⑤ السرطان من وجهة نظر فلسفية ..
- ⑥ حقائق غريبة عن مرض السرطان ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نقارب سوياً هذا العدو الغاشم ..

## أولاً ، نشأة السرطان عبر التاريخ :

منذ الأزل، كان السرطان موجوداً كظل خفي في حياة الإنسان، يترصد خلاياه بصمت، يختبئ بين أنسجة الجسد، كما يختبئ الليل خلف ستار النهار. لم يكن معروفاً باسمه، لكنه كان حاضراً في قصص الألم والغموض، في البرديات القديمة و النقوش المسمارية التي تتحدث عن أمراض مجهولة، عن كتل غير مفهومة، وعن المعاناة الصامتة التي أصابت الأجساد. إنه مرض لم يولد مع العلم و الحداثة، بل كان موجوداً منذ أن ولد الإنسان، ومع ذلك، بقي لغزاً حتى جاءت لحظة إدراك البشر له، كفجر يشرق على عالم غامض يا ليته ما كان



**أول إشارة إلى السرطان تعود إلى الحضارة الفرعونية القديمة**، قبل أكثر من أربعة آلاف سنة. في بردياتهم الطبية، **بردية إدوين سميث** ، وصفت أورام الثدي

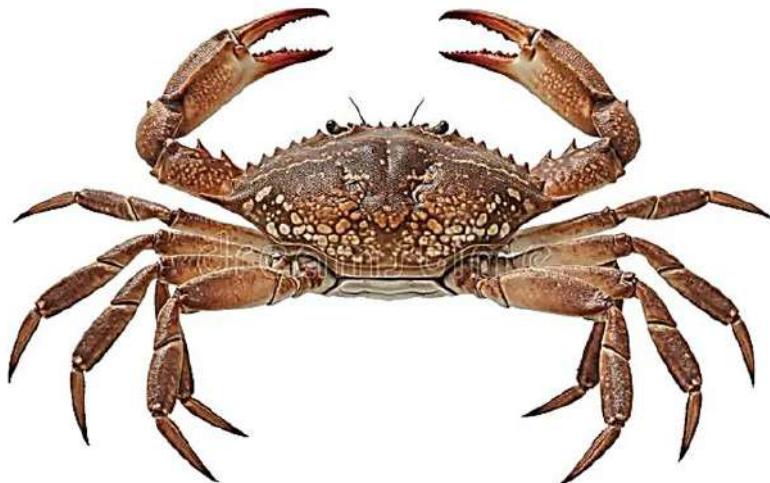
وبعض الأورام الأخرى بوضوح ملحوظ، واعتبر  
العلاج غالباً مستحيلاً، و الموت قدر محتم على  
المصاب به ..



كانت هذه البرديات تحمل وصفاً علمياً غريباً عن الحياة والموت : أورام صلبة في الجسد، تشبه العقبات الصامدة التي تقف في طريق نهر العافية، تمنع تدفق الطاقة والحياة. ورغم بساطة أدواتهم الطبية، فإن المصريين القدماء أدركوا أن هناك شيئاً خفيّاً ينهي الجسد، وأن هذه القوة ليست طبيعية بالكامل، بل هي تمرد داخلي على النظام الدقيق للحياة.

بعدهم، وفي الحضارة اليونانية، حاول الأطباء الأوائل مثل جالينوس أن يفهم هذا الظل الغامض. أطلقوا على هذا المرض اسم كاركينوما ، مشتق من الكلمة اليونانية كاركينوس ، أي السلطعون، نظراً لشكل الأورام التي

تشبه أطراف السلطعون المتفرعة حول مركزها. هذه التسمية نفسها تحمل فلسفة رمزية : تماماً كما يمتد السلطعون بأذرعه إلى كل الاتجاهات، يمتد السرطان في الجسم، يلتهم الحيوة، ويخلق شبكة من التمرد الخفي .. و من هنا أتت التسمية الغريبة المعروفة للمرض بالسرطان إن سبق لك و تسأله ..



كان الأطباء اليونانيون يرون السرطان عقوبة طبيعية أحياناً، أو نتيجة لسلوك الجسم المتمرد، ولم يكن هناك فهم كامل للآلية الداخلية، لكن كان هناك إدراك أولي بأن هذا الظل، رغم صمته، يحمل قوة مدمرة.

في العصور الوسطى، استمر السرطان كغموض، لكنه بدأ يُوثق بشكل أكثر انتظاماً. الأطباء العرب والمسلمون، مثل ابن سينا، وصفوا بعض الأورام وأكدوا أن بعض الأجسام البشرية يمكن أن تتحول بفعل أمراض داخلية، وأن العلاج يعتمد على الرعاية والصبر ومراقبة الأعراض. هنا، بدأت الإنسانية تدرك

أن السلطان ليس مجرد عقوبة، بل ظاهرة داخلية تتعلق بنسيج الحياة نفسه، وأن فهمه يحتاج إلى مزيج من الملاحظة والصبر والمعرفة المتراكمة.

أما أول حالة سريرية موثقة بشكل أكثر وضوحاً في التاريخ الغربي، فكانت في القرن **15** تقريباً، حين بدأت سجلات التشريح والفحص الطبي تظهر الأورام بأدوات أكثر دقة. الطبيب السويسري كونراد فون هوهن هايم المعروف باسم بارا سيلسوس ، وهو واحد من رواد الطب الحديث، وصف حالات أورام صلبة، وأكَد أنها تمتد داخلياً وتستحيل السيطرة عليها بسهولة، لكنه بدأ يشير إلى أن تدخل الإنسان، سواء جراحياً أو دوائياً، يمكن أن يغيّر مسار المرض.



و في القرن ١٩، ومع اكتشاف الميكروسكوب وتطور علوم التشريح والخلايا، بدأ السرطان يكشف عن سره تدريجياً. كانت لحظة عبرية حين لاحظ العلماء أن السرطان ليس مجرد كتلة جامدة، بل مجموعة من الخلايا التي تتکاثر بلا حدود، تتجاوز القوانين الطبيعية، وكأنها جيش صغير من المتمردين في مملكة دقيقة، يختبر الصبر والمقاومة، يهدد النظام ويعلم الإنسان عن هشاشة الجسد وعجائب الحياة. هذه الاكتشافات جعلت السرطان موضوعاً للفلسفه العلمية والطب، وأدخلت البشرية في صراع طويل مع هذا الظل الذي يختبئ في العمق.

ومنذ القرن العشرين، ومع تقدم العلم الحديث، أصبح السرطان قابلاً للتشخيص بدقة أكبر، وبدأت رحلات العلاج تتتنوع بين الجراحة والكيمياء والإشعاع، وصولاً إلى العلاجات المستهدفة والجينية، وكلها خطوات لفهم هذا العدو الذي كان حاضراً منذ فجر التاريخ، يعلم الإنسان الصبر، ويدركه بضعف الجسد، وبقدرة الروح على المقاومة، وبأن الحياة، مهما كانت مهددة، تحتوي على بذور الأمل والمعجزات ..

السرطان إذن ليس مجرد مرض؛ إنه شاهد على التاريخ البشري، مرآة تعكس تطور الطب والفكر، وحكاية عن قوة الإنسان في مواجهة الخطر الخفي، قصة عن كيف

يمكن للمعرفة أن تكتشف ببطء عبر العصور، وعن كيف يمكن للصبر أن يكون سلاحًا أمام المجهول. من برديات مصر القديمة إلى مختبرات القرن الحادى والعشرين، ظل السرطان حاضرًا كظل تاريخي وفلسفي، يعلم الإنسان أن الحياة ليست مجرد بقاء جسدي، بل رحلة فهم، صبر، أمل، وإيمان بأن كل معركة، مهما كانت قاتمة، تحمل في طياتها نورًا خفيًا يعلن أن الحياة تستمر، الأمل يأتي و المحنّة تزول .

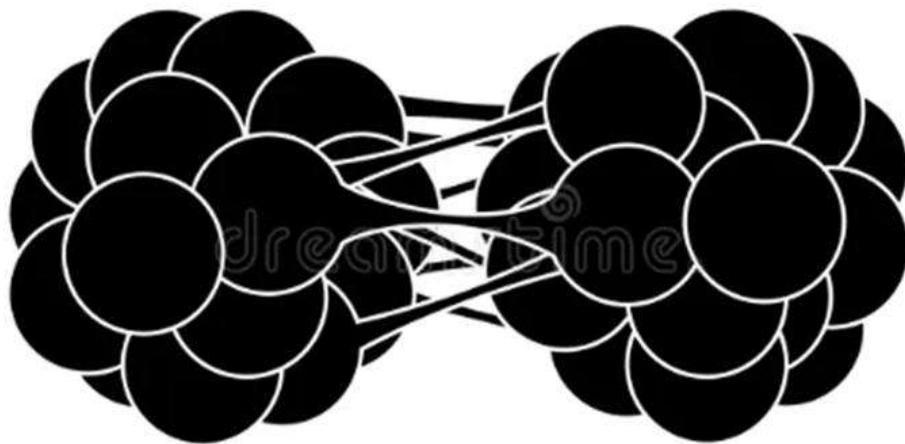
## ثانياً، كيف يحدث السرطان؟

في جوف الجسد، حيث تترابط الخلايا كنجوم في مجرات صغيرة، ويتحقق القلب بإيقاع صارم كمعزوفة خفية، يبدأ السرطان رحلته بهدوء، كظل يتسلل عبر الزوايا المظلمة لنظام معقد دقيق. إنه ليس وحشًا مرئياً، بل هو خلل في نسق الحياة نفسها، تمرد داخلي على قوانين الطبيعة التي ظلت تحكم الجسد منذ ولادته.

كل خلية في جسم الإنسان تحمل خريطة دقيقة، كتاب مفتوح يحتوي على تعليمات دقيقة لبناء الحياة والحفاظ عليها. هذه التعليمات مكتوبة بلغة جزيئية عتيبة، بروتينات و **DNA**، تضمن أن كل خلية تؤدي وظيفتها دون أن تخرج عن النص. لكن أحياناً، وفي لحظة غير متوقعة، تتعرض هذه الشيفرة لضغطٍ خارجي أو داخلي يتلاعب بها : إشعاع خفي، سموم متسللة، أو مجرد

## خطأ عابر في النسخ الخلوي. هنا تتسرب أولى شرارات الفوضى.

الخلية المتمردة، التي فقدت إحساسها بالحدود، تبدأ في تجاوز الإشارات التي تنظم دورة الحياة والموت. فب بينما يفترض أن تموت الخلايا التالفة في صمت، تستمر هذه الخلية في التكاثر بلا توقف، كما لو أن الزمن قد نسيها، وكأنها تعلن تحدياً صامتاً للحياة نفسها وفلسفة الموت المحتم فيها. تدريجياً، يشكل هذا التمرد تجمعاً، نسيجاً غريباً في الجسد، غريب في جوهره لكنه مألوف في شكله، لأنه لا يزال يعتمد على أنسجة الجسم كوقود لبقاءه.



وفي اللحظة التي يبدأ فيها السرطان في الانتشار، يصبح الجسد مسرحاً لصراع خفي، صراع لا تسمع صرخاته إلا في همسات الألم وارتجاف الخلايا السليمة. الخلايا السرطانية، في شراستها الصامتة، تكشف عن قوة الحياة وقابليتها للتتحول و التكاثر بلا توقف ، لكنها

أيضاً تذكّرنا بأنّ النّظام هشّ نعم ، لكنّ الانسجام الدقيق بين الخلايا هو ما يجعل الحياة ممكّنة.

ومع كلّ خلية تمردت، مع كلّ نسق تشوّه ، يبدأ الجسد رحلة المقاومة ومحاولات إعادة التوازن، كما لو أنّ الطبيعة نفسها تتدخل لتسعيid النّظام. إنّها معركة أزلية، بين القوة المتمردة والنّظام الحارس، بين الحرية الفوضوية للخلية والانضباط الضروري للحياة. وفي هذا الصراع، في هذا التوتر الدائم بين الانحراف والنّظام، تتكشف الحقيقة الكبرى : أنّ السرطان ليس مجرد تهديد، بل هو جزء من لغة الحياة نفسها، لكنّها حياة مفرطة شدت الطريق فلم تعد تصل إلى خط النهاية ..

### ثالثاً، ما هي العوامل التي يمكنها إحداثه؟

في عالم الخلايا، حيث تتناغم الحياة بنسق دقيق، تتسلل أحياناً قوى خفية، قوى تغيّر مسار الحياة بصمت، دون أن يُسمع لها صوت .. هذه القوى هي العوامل المسرطنة، كظلالٍ سرية تعبر بالشيفرة العتيقة للحياة، تهدد النظام المترابط الذي حافظ على توازننا منذ ولادتنا. إنّها ليست قوة واحدة، بل هي طيف واسع، يمتد من اللمس الفيزيائي إلى الهمس الكيميائي، ومن إشعاع الشمس إلى صخب التلوث الصناعي، وكلّها قادرة على إشعال شرارة الفوضى في الخلايا.

أول هذه القوى هو **العامل الفيزيائي**، الذي يحمل طاقة يمكن أن تخل بتوزن الخلية. الإشعاعات، سواء كانت أشعة الشمس فوق البنفسجية أو الأشعة السينية، تدخل إلى نسيجنا العميق، وتعيد ترتيب خيوط **DNA** كما لو أنّ فناناً عديم الموهبة يشوه لوحة قديمة. في كل شعاع، احتمال صغير لخطأ جيني، وكل خطأ يمكن أن يكون بداية قصة جديدة للتمرد الخلوي، بداية الطريق إلى السرطان.



ثم هناك **العوامل الكيميائية**، هذه المواد التي يخلقها الإنسان أو يتركها في الطبيعة، تختبئ في الهواء، في الماء، في الطعام. بعضها مسرطنة بطيئة، مثل دخان التبغ الذي يتسلل إلى الرئتين يوماً بعد يوم، وبعضها سريع، مثل بعض السموم الصناعية التي تكسر جدران الخلية فجأة. هذه المواد الكيميائية لا ترى بالعين، لكنها تزرع بذور الفوضى في عمق خلايانا، وتعيد كتابة

الشيفرة كما لو كانت روحًا غريبة تتسلل إلى مصنع الحياة.



و لا يمكننا نسيان **العوامل البيولوجية**، الكائنات الدقيقة التي تحمل معها طاقات خفية، مثل بعض الفيروسات والبكتيريا التي تمتلك القدرة على تعديل الجينات، وكأنها رسول خفية من عالم آخر، تدعوا الخلايا إلى التمرد بلا صخب. هذه القوى الحية تتسلل إلى أجسادنا، وتزرع بذور السرطان في تربة الجسد في غفلة من الفلاح ..

هناك أيضًا **العوامل الوراثية والداخلية**، التي تحملها الخلايا نفسها، كعواقب أخطاء في النسخ أو شيفرات قديمة تنتقل عبر الأجيال. هي عوامل غير مرئية للعين، لكنها تجلس في أعماق **DNA**، تنتظر اللحظة المناسبة لخروج من صمتها، وكأنها رسالة قديمة من الماضي،

تذكّرنا بأن جسد الإنسان ليس حصيناً من الانحراف، وأن لعنة المرض ربما نزلت على الجسد منذ زمن سحيق واليوم تتحقق النبوءة المشؤومة ...

وأخيراً، هناك **العوامل البيئية والاجتماعية**، التي تشكل الساحة التي تتحرك فيها الخلايا. نمط الحياة، التغذية، الضغط النفسي، التعرض المستمر للمواد الصناعية، كل هذه القوى تشكل نسقاً خارجياً يمكن أن يرفع احتمال حدوث السرطان، كأنها موجات خفية في بحر هادئ، تدفع السفينة ببطء لكن بثبات إلى شواطئ مجهلة منفية

العوامل المسرطنة إذن ليست مجرد تهديدات؛ هي رسائل من الكون، تذكّرنا بأن الحياة قائمة على توازن هش، وأن كل قوة خارجية أو داخلية تحمل معها إمكانية الانحراف عن النظام، وزرع بذور الفوضى. إنها جزء من لغة الوجود، جزء من الحوار الخفي بين الجسد والبيئة، بين الخلية والعالم، بين الخلق والانكسار. وكل خلية تتأثر بعامل مسرطان، تحمل في قلبها صدى هذا الصراع، صدى رغبة الحياة في الاستمرار، وصدى اضطراب الطبيعة عندما تُخالف قوانينها.

#### رابعاً، كيف يمكن قهره؟

في صمت الجسد، حين تتجلّى الفوضى السرطانية في انسجام غير متوقع، يبدأ الإنسان رحلة السعي عن حلّ

، رحلة بحث عن الضوء في قلب الظلام. السرطان، ذلك التمرد الصامت، لا يعلن عن نفسه إلا من خلال تمويجات الألم، وفي كل خلية متحولة، تحمل الحياة تحديًا عميقًا : هل يمكن للنظام أن يستعيد توازنه أمام فوضى التمرد؟

تبدأ المعركة غالباً بالسلاح الكيميائي، حيث تُسخر المواد الكيميائية كجنودٍ شجعان، تهدف إلى اقتلاع الخلايا المتمردة من جذورها. هذه المواد، رغم قسوتها وتساقط شعر المريض بسببها مع الاقياءات العنيفة التي تصاحبها، تحمل رسالة فلسفية : أن الحياة أحياناً تتطلب التضحية، وأن القوة الصارمة ضرورية لإعادة النظام.



ثم يأتي السلاح **الإشعاعي**، الذي يستخدم أشعة محددة لتحطيم النواة المتمردة للخلية السرطانية. الإشعاع يشبه شعاع الشمس الذي يخترق الغابة الكثيفة، يضيء الأخطاء ويكشف الظل، ويعيد ترتيب الفوضى في العمق. في كل شعاع، هناك توازن هش : ما يُهدم من الخلايا التالفة، وما يبقى من الأنسجة السليمة، وبينهما قصة صراع لا تنتهي، قصة صراع مستمر بين الضوء والظلام في جسد الإنسان كما هو الحال خارجه ..



و مع تطور العلم، ظهر السلاح **المناعي**، الذي يحول الجسم إلى معقل حقيقي، حيث يستيقظ جهاز المناعة كجيش حارس، يتعرف على الخلايا السرطانية المتمردة ويهاجمها بعقلانية مذهلة. هذا العلاج يحمل في طياته

**فلسفة الذات** : أن الجسد لديه القدرة على الدفاع عن نفسه، وأن الحياة، مهما انحرفت أحياناً، تحمل إمكانات الشفاء الذاتي إذا أحببت قوى الدفاع الكامنة فيه.



ولأننا ننسى العلاجات المستهدفة جزيئياً، تلك التي تعرف على وجه التحديد نقاط ضعف الخلية السرطانية، كالقائد الذي يعرف مكان الخاصرة الضعيفة في جسد العدو.

هذه الاستراتيجية تعلمنا أن القوة لا تكمن دائمًا في القسوة، بل في الفهم العميق للعدو، وفي القدرة على توجيه الضربة المناسبة دون هدر للطاقة. هنا، العلم يصبح فناً، والطب يصبح فلسفه، حيث يتم التنقل بين الغموض والحقيقة، بين الشيفرة الوراثية وعمق الوجود.

ولما يمكننا إغفال سلاح **الجراحة** ، الذي غالباً ما يكون أول العلاج و ليس نهايته .. كمحاولة لاستئصال ما

يمكن من الورم قبل مهاجمة انتشاراته الأخرى في  
الجسد بالأسلحة السابقة ..



أما على الجبهات الحديثة للمعركة، يبرز علاج جديد واعد ومبشر .. يعتمد على مبدأ بسيط لكن خلاق ، و هو **تعطيل إنزيم التيلوميراز**، ذاك الإنزيم اللعين الذي يمنح الخلايا السرطانية القدرة على التكاثر بلا حدود، و كأنها تحاول تحدي القدر نفسه . التيلوميراز هو المفتاح الخفي الذي يسمح للخلية السرطانية بتجاوز دورة الحياة الطبيعية، وبالتحايل على الموت ، ففي الوضع الطبيعي يتراقص طول الصبغيات مع كل انقسام خلوي حتى يبلغ النقص منطقة حرجة من الصبغيات ضرورية لحياة الخلية وعندما ترفع راية الاستسلام و تودع المعركة فتموت ، و إنزيم تيلوميراز الموجود فقط في الخلايا السرطانية يمنع ذاك القصر في الصبغيات خلال

الانقسام فتستمر تنقسم بدون توقف . لذا عند تعطيله، تعود الخلية السرطانية إلى الوضع الطبيعي فتقصر صبغياتها تدريجياً مع كل انقسام حتى تموت .. و منه فإن العلاج الواعد لمرض السرطان يتمحور حول إمكانية تعطيل هذا الإنزيم في الخلايا السرطانية .

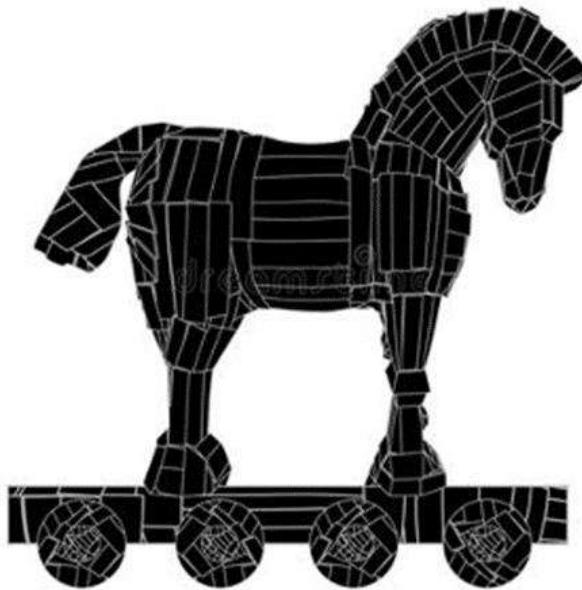


في كل العلاجات السابقة ، يتجلى سحر الطب الحديث : الدمج بين القوة والعقل، بين القسوة والرحمة، بين العلم والفلسفة. كل علاج هو رسالة، وكل خلية تموت أو تُشفى هي فصل من قصة أكبر، قصة الإنسان الذي يحاول أن يستعيد توازنه أمام قوى الطبيعة الخفية. الجراحة ، الكيمياء، الإشعاع، المناعة المستحدثة، العلاج الجزيئي، وتعطيل التيلوميراز، كلها أدوات في يد البشرية لفهم الوجود، لإعادة النظام إلى الجسد،

وللتأمل في هشاشة كل كائن هي أمام قوى الكون  
الخفية.

### خامساً، السرطان من وجهة نظر فلسفية ..

في معركة الجسد، حيث تتناغم الأعضاء كجيوش صغيرة تحرس مملكة الحياة، يظل السرطان كعدو خفي، غامض، كأنه حصان طروادة متسلل بين صفوف الحماية. لا يأتي هذا العدو مع بوق الحرب، ولا مع أعلام معلقة على الأسوار؛ إنه هادئ، صامت، يختبئ وراء الانسجام اليومي للجسم، حتى يصل إلى قلب النظام، ويبدأ نسج فوضاه من الداخل. كمثل حصان طروادة الأسطوري، يترك للجسد شعوراً بالأمان، ثم يفتح الأبواب الموصدة داخل الخلية، ويحرر القوة المتمردة التي تكسر التوازن القديم.



في البداية، يبدو السرطان كهمس بعيد، كما لو أن الجسد

يُخبرنا أن شيئاً ما ليس في محله و غالباً ما نتجاهل النداء التحذيري . الخلايا الصغيرة التي اعتدنا على رؤيتها تعمل في تناغم، فجأة تبدأ بعض منها في التمرد، في التجمع، في بناء حصون صغيرة داخل الأنسجة . وهذا، يعلن السرطان عن نفسه، لكنه يفعل ذلك بطريقة فنية، كما يفعل القائد العسكري الذي يعرف كيف يخترق دفاعات العدو دون ضوضاء. كل خلية متمردة، كل نسق مت حول، هو جندي في جيش الظل، يقود حملة صامدة على مملكة الجسد، وفي نفس الوقت يختبر قلب الإنسان : هل سيسسلم ؟ أم سيدافع ؟

وفي هذا الغزو، يظهر درس الإنسان الأول : **الصبر**. فالصبر ليس مجرد انتظار سلبي، بل هو اليقظة في خضم المعركة، هو القدرة على رؤية الضوء في نهاية النفق رغم سواد عتمته ، و كيف تتعلم الروح كيفية التعايش مع القلق والخوف، دون أن تفقد قوتها.

إنّ السرطان لا يقتصر على كونه عدواً، بل يصبح معلماً. يعلم الإنسان أن **الأمل** ليس مجرد فكرة، بل شعاع يُضاء في أعماق الروح، حتى في أصعب اللحظات. كل دورة علاج، كل خلية تستهدف وتحطم، تحمل معها رسالة : أن الفوضى يمكن مواجهتها، وأن النظام يمكن استعادته، وأن الحياة، مهما علت فيها الفوضى، تمتلك قوة داخلية لتعيد ترتيب نفسها. وكان

السماء نفسها تهمس للإنسان بأن المعجزات ممكنة، وأن كل تحدي هو فرصة لاكتشاف القوة الكامنة في قلبه.



السرطان أيضًا يعلم الإنسان عظمة الامتثال والتواضع أمام معجزات السماء. فحين تتتعطل الخلايا و تتمرد، لا يمكن للعلم وحده أن يحل كل الأزمات؛ هناك لحظات تحتاج فيها الروح إلى الإيمان، إلى الاعتراف بأن قوة أكبر من إدراك الإنسان تدير نسق الحياة، وأن كل انتصار صغير هو جزء من حكمة أكبر، غامضة وجميلة في آن واحد. في كل خلية تعود إلى النظام، في كل لحظة استشفاء، هناك معجزة صغيرة، تذكرنا بأن الحياة لا تزال تسير، وأن الكون ينسق توازنه بدقة متناهية .. و كم من مريض سرطان شفي بطريقة غير مفسرة أو منطقية عندما أقسمت الأرقام أنه هالك لا محالة !!

كما في الحروب الكبرى، هناك دروس في التحالفات، في القوة المتضادة بين العلم والطبيب والمريض، بين العلاج والصبر، بين الجسم والروح. تماماً كما يحتاج الحصن لمقاتلين متعاونين لمواجهة الغزو، يحتاج الإنسان إلى الانسجام بين جسده وروحه وعقله وقلبه ليقاوم السرطان. كل دورة علاج، وكل تجربة، تحمل معها درساً عن وحدة الكينونة، عن التآزر بين الجسد والروح، عن أن مجابهة الغزو ليست مهمة فردية فقط، بل رحلة مشتركة مع الحياة نفسها.

## سادساً، حقائق غريبة عن السرطان ..

✿ يمكن أن يصيب السرطان أي جزء من الجسم تقريباً، حتى العين أو القلب وإن كان ذلك نادراً جداً

✿ بعض السرطانات تنمو ببطء شديد لدرجة أن الشخص قد يموت من سبب آخر قبل أن يلاحظ وجودها.

✿ الحيوانات قد تصاب بالسرطان أيضاً، مثل الكلاب والقطط، وحتى بعض الأسماك.

✿ يوجد نوع نادر من السرطان يمكن أن ينتقل بين الكلاب عن طريق التزاوج.

✿ بعض الأورام قد تنمو لتكون أسناناً أو شعرًا، مثل أورام المبيض تيراتوما.

❖ يُعتبر التدخين مسؤولاً تقريباً عن ثلث جميع حالات السرطان عالمياً.

❖ بعض الفيروسات يمكن أن تسبب السرطان، مثل فيروس الورم الحليمي البشري (HPV) المسبب لسرطان عنق الرحم.

❖ جهاز المناعة لدينا ينجح في القضاء على خلايا سرطانية يومياً قبل أن تتطور إلى مرض ظاهر.. لكن توجد خلايا سرطانية تنتج بروتينات تخدع جهاز المناعة وتجعله لا يهاجمها.

❖ الخلايا السرطانية تستطيع إقناع الأوعية الدموية بتغذيتها بعملية تسمى تكون الأوعية الجديدة

❖ بعض الأورام يمكن أن تبقى خاملة في حالة سبات لعشرين السنين ثم تنشط فجأة.

❖ هناك مرض نادر يُسمى الورم الميلانيكي الشرعي المنقول من زرع الأعضاء، ينتقل من المتبرع إلى المستقبل.

❖ العلاج الكيميائي صمم أول مرة استناداً إلى غازات سامة استُخدمت في الحرب العالمية الثانية.

❖ بعض الخلايا السرطانية تستطيع التحرك عكس اتجاه تيار الدم، وهو أمر غير معتمد في الخلايا الطبيعية

❖ في قرية لوجانوس بالإكوادور يعيش أشخاص

قصير القامة بسبب مرض وراثي نادر ( متلازمة لارون ) ، وهو لاء لديهم مناعة شبه كاملة ضد السرطان بفضل طفرة جينية تربط مستقبلات هرمون النمو.

❖ بعض الأورام قد تفرز هرمونات غريبة تجعل المريض يعاني أعراض تشبه أمراضًا أخرى ( مثلاً : ورم رئوي يُسبب أعراض تشبه مرض كوشينغ في غدة الكظر ).

❖ في حالات نادرة، اكتشف الأطباء سرطان داخل جنين لم يولد بعد و سمي التيراتوما الجينية

❖ بعض السرطانات يمكن أن تتكمش أو تخفي دون علاج فيما يعرف بالترابع العفوي ..

❖ في أستراليا، قد تصيب حيوانات الشياطين التسمانية بسرطان معٍ ينتقل عبر العض.

❖ بعض الأورام تنموا بسرعة مذهلة : يمكن أن يتضاعف حجمها خلال أيام قليلة فقط.

❖ يوجد نوع نادر من سرطان العظام يمكن أن يسبب إنتاج مادة تشبه الأدرينالين تجعل المريض في حالة نشاط مفرط.

❖ بعض الأورام تفرز بروتينات تسبب رائحة مميزة للجسم، بحيث يمكن للكلاب المدربة اكتشافها مبكرًا.

❖ هناك تجارب على استخدام بكثيريا معدلة وراثيًا

لمهاجمة الخلايا السرطانية من الداخل.

✿ الورم السليم لا يعني أنه غير مؤذٍ ، فقد يسبب أعراضًا اضغاطية بسبب حجمه الكبير ، أو يفرز هرمونات معينة تتلاعب بتوازن الجسم و وظائف الأعضاء ..

✿ أورام الكبد أحياناً تسبب الإصابة بمرض السكري الثانيي بسبب إفرازها مواد تغير استجابة الجسم للأنسولين.

✿ في الصين القديمة، اكتشفت آثار جراحة لإزالة أورام في هيكل عظمي تعود لآلاف السنين.

✿ العلماء يدرسون إمكانية أن يكون لدى بعض الأشخاص بكتيريا معوية خاصة تساعده في منع نمو الأورام.

✿ أشيع ورم هو سرطان الجلد و بين الذكور سرطان الرئة و بين الإناث سرطان الثدي ، أما أندر ورم فهو ورم الغدة الصنوبيرية في الدماغ ..

✿ هناك محاولات لإنتاج لقاح عالمي ضد السرطان يعتمد على تدريب جهاز المناعة لمهاجمة بروتينات مشتركة في أغلب الأورام و هذا حلم واعد للبشرية ننتظر تحقيقه بفارغ الصبر ..

\*\*\*\*\*

في ختام مقاربتنا لهذه المغالطة الهامة (السرطان) ،  
من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= لقد أصبت بالسرطان .. إنها النهاية ..

بل أن نقول :

= و إن مرضت فهو يشفيني .. و الله منحنا سبل  
العلاج المادية بوسائل متنوعة بعضها أثبت نجاعته و  
بعضها الآخر واعد بقوه .. كما منحنا سبل العلاج  
المعنوي أيضاً بالصبر و الأمل و الإيمان أن زمن  
المعجزات لن يولي ما دام هنالك إله في السماء ..

السرطان في جوهره ليس غريباً عن الحياة؛ فقد وجدت  
دلائل على أورام سرطانية في عظام ديناصورات  
عمرها أكثر من **70** مليون سنة .. هذا يعني أن  
المرض قديم قدم الحياة نفسها، و رافق الكائنات منذ  
فجر الخليقة.



فلسفياً، يشبه السرطان ظلاً أزلياً يمشي إلى جوار الكائن

الحي، ليذكّره بأن الخلود وهم، وأن الفناء جزء من المعادلة الكونية .. إنه شاهد على أن الطبيعة لا تعرف الكمال، بل تحتضن دائمًا احتمالية الانحراف والتمرد.

ومن هذا الوعي يولد الدرس الأكبر: أن قيمة الحياة ليست في طولها، بل في نوعيتها .. في عمقها وصبرها و إصرارها على بلوغ النور.



الوجه الآخر للطب

( إخفاء مستندات )



- = هل سمعت أن صديقنا جوى تم تحريرها من  
الخطف أخيراً ؟
- = لا لم أسمع ، هذا خبر عظيم .. و كيف هي صحتها  
، هل آذاها الخاطف ؟
- = لا ، صحتها جيدة .. و لكن ..
- = لكن ماذا !؟
- = هنالك شيء غريب للغاية أصابها بعد الخطاف كما  
أخبرني والدها ..
- = خير !؟
- = يقول أنها تدافع عن الخاطف و ترفض الادعاء عليه  
أو محاكمته و سجنه !
- = لماذا هل تعرفه ؟
- = إطلاقاً .. تخيل بعد 10 أيام من الحجز في قلق و  
خوف تدافع عنه !
- = ربما أملك جواباً على سلوكها الشاذ هذا بحكم  
دراستي للطب ..
- = صحيح ؟! هات ما عندك ..
- = أظنها مصابة بمتلازمة ستوكهولم ..
- = و ما هذا .. مرض ؟!
- = تقريباً .. حالة نفسية تصيب الضحية نتيجة الرض  
النفسي القوي الذي سببه لها الجاني ..

= و ما علاقتها بستوكهولم عاصمة السويد ؟!  
= وصفت هذه المتلازمة لأول مرة بشكل رسمي عقب  
حادثة سرقة بنك في العاصمة ستوكهولم عام 1973 ،  
حيث ظهرت على الرهائن الذين احتجزتهم عصابة  
السرقة في البنك أعراض مشابهة لما يحدث مع  
صديقنا جوى .. فقد تعاطفوا مع اللصوص و دافعوا  
عنهم ، بل إن بعضهم عاونهم على السرقة و الفرار  
لاحقا ..



= يا لها من حالة غريبة !! .. و ما تفسيرها الطبي ؟  
= التفسير النفسي بحت و بسيط ، قائم على اقتناع  
الضحية باللاوعي أنها إن كانت في صف الجاني فلن  
يؤذيها .. لذا تتعامل معه على هذا الأساس ، و من شدة  
التوتر الذي تتعرض له تفتتح لاحقا أنها في صفة بالفعل  
= تفسير منطقي .. يبدو أننا العامة لا نعرف شيئاً عن  
الطب سوى الزكام و التهاب البلعوم !!  
= على العكس الطب دنيا من الألغاز والأمراض

الغريبة والتفاصيل الجميلة التي تتماهى مع الفن أيضاً  
= كل هذا !! مثل ماذا ؟

= قبل كل شيء تحدث مع والد جوى و أخبره  
بتشخيصها المحتمل كي تراجع طبيباً نفسياً ليعالجها من  
حالتها .. و بعدها تعال لأحدثك عن غرائب عالم الطب

\*\*\*\*\*

الصورة الشائعة للطب و السائد بين عامة الناس هي  
مريض متعب يتآلم ، يفحصه الطبيب و يعالجه .. لكن  
الحقيقة أن للطب وجها آخر غير ذلك، وجهاً يجتمع فيه  
الفن و الطرافة و الطبيعة و الكون .. ربما تشكى  
عزيزي القارئ في ذلك و تعتبره مبالغة من طبيب  
يروج الإشاعات الجميلة عن مهنته .. و مهمتي خلال  
الصفحات التالية أن أجبر وجهة نظرك هذه و أثبت لك  
وجود جانب آخر للطب .. جانب ممتع و مثير لأصح  
المغالطة السائدة بين الناس عن كون الطب يقتصر على  
التعب و الآلام و العجز لا غير ..

و لإنجاز ذلك سأقوم بمقاربة مغالطتنا الجديدة ( **الوجه الآخر للطب** ) عبر **٦** محاور رئيسية :

- **الطب و الفن ...**
- **أمراض طبية غريبة تسمع بها لأول مرة في حياتك**
- **الجانب الطريف من الطب ..**

● الطب و الطبيعة و الكون ..

● الطب و الرياضة ..

● الخلية الإله ..

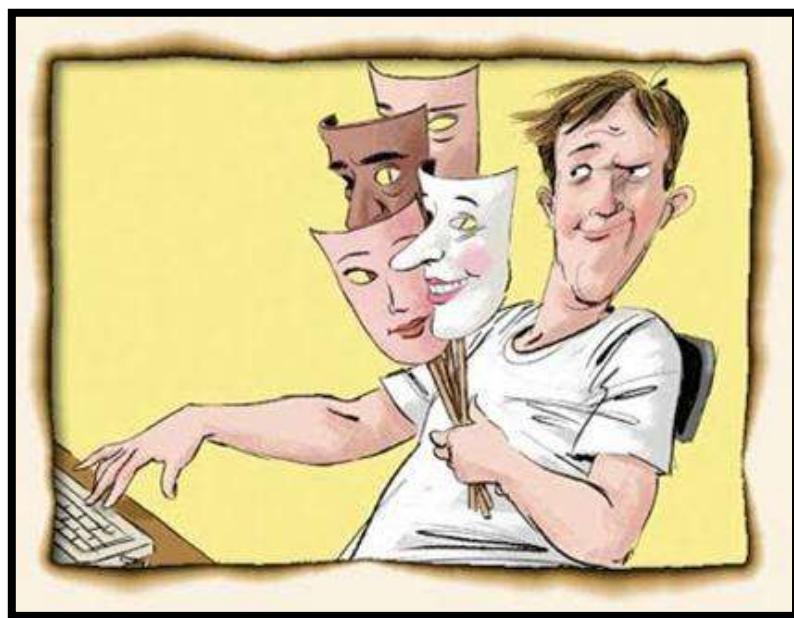
فهيا بنا عزيزي القارئ نتعرف على الوجه الآخر للطب

## ① الطب و الفن :

هناك ارتباط وثيق بين الطب و الفن بأقاليمه المتنوعة في أمراض كثيرة نذكر منها على سبيل المثال :

❖ **متلازمة فريجولي** : و سميت تيمناً بالممثل

المسرحي الإيطالي الشهير ليوبولدو فريجولي الذي كان يأخذ أدواراً مختلفة في مسرحياته و يتذكر فيها بإتقان كبير بحيث لا يعرفه الحضور .. و في هذه المتلازمة النفسية يظن المريض أن كل الناس من حوله هم شخص واحد لكن متذكر ..



## ❖ مُتلازمة المحبوس Locked in : مرض طبي

خطير ينجم عن خثرة في الشريان القاعدي للدماغ  
فيسبب شللاً في كل عضلات الجسم عدا عضلات  
العينين التي تحركها للأعلى و الأسفل .. أصيب بهذه  
المُتلازمة الكاتب الشهير جون دومينيك بوني و الذي  
ساعدته زوجته على تأليف رواية كاملة باسم ( بذلة  
الغوص و الفراشة ) بالاعتماد على عدد رفات عينه  
اليسرى التي كانت تعمل بمفردها في جسمه .. فكل  
عدد معين من الرفات يشير إلى حرف هجائي محدد ..  
و تخيل عزيزي القارئ عدد الرفات و الساعات الطوال  
التي استغرقتها كتابة هذه الرواية ..

## ❖ القصة الشهيرة جميلة و الوحش : ففي الحقيقة

الوحش في القصة هو شخص مصاب بمرض ضخامة  
النهايات الذي يزداد فيه إفراز هرمون النمو من الغدة  
النخامية ، فيتضخم الجسم و تبرز الجبهة و الفك ..



## ❖ الطب في الأساطير :

● **متلازمة أوندينيه** : و هي حالة نفسية سميت تيمناً بأوندينيه و هي حورية بحر حسناً في الأساطير الإغريقية و التي ألقت لعنة على زوجها بأن يتوقف عن التنفس خلال نومه مراراً و تكراراً بسبب خيانته لها ، و هذا ما يحدث في هذه المتلازمة بالفعل على أرض الواقع حيث يتوقف تنفس المريض بشكل متكرر خلال نومه بسبب تثبيط مركز التنفس .. و قد جسد الفنان جون ووترهاوس هذه الأسطورة في لوحته الشهيرة عام 1872 ..

● **عقدة أوديب النفسية** : و التي تحدث عند الأطفال الذكور بغيرتهم على أمهاتهم من آبائهم استمدت اسمها من أسطورة إغريقية أخرى و هي أسطورة أوديب الذي يقتل أباً دون أن يعلم و يتزوج أمه دون أن يعلم أيضاً

● **اضطراب الشخصية النرجسية** : اشتق من الأسطورة الإغريقية نرجس ( نرسيس ) الذي كان يتأمل حسن وجهه في مياه البحيرة لأيام حتى سقط فيها و غرق ..

● **دواء المورفين المسكن للألم والمنوم** : اشتق اسمه من إله النوم والأحلام عند الإغريق مورفيوس.

● **ظاهرة حصان طروادة** ، حالة طبية مشتقة من هذه الأسطورة الإغريقية و تدعى ( الغرس ضد المضيف ) حيث يشكل العضو المغروس في الجسم كالكلية مثلاً

حصان طروادة تماماً لكن بدلاً من تسلل الجنود منه  
تنسل الكريات البيض للشخص الذي تبرع بالكلية و  
الموجودة في الكلية المغروسة إلى دماء المستقبل للكلية  
و تهاجم جسده ..

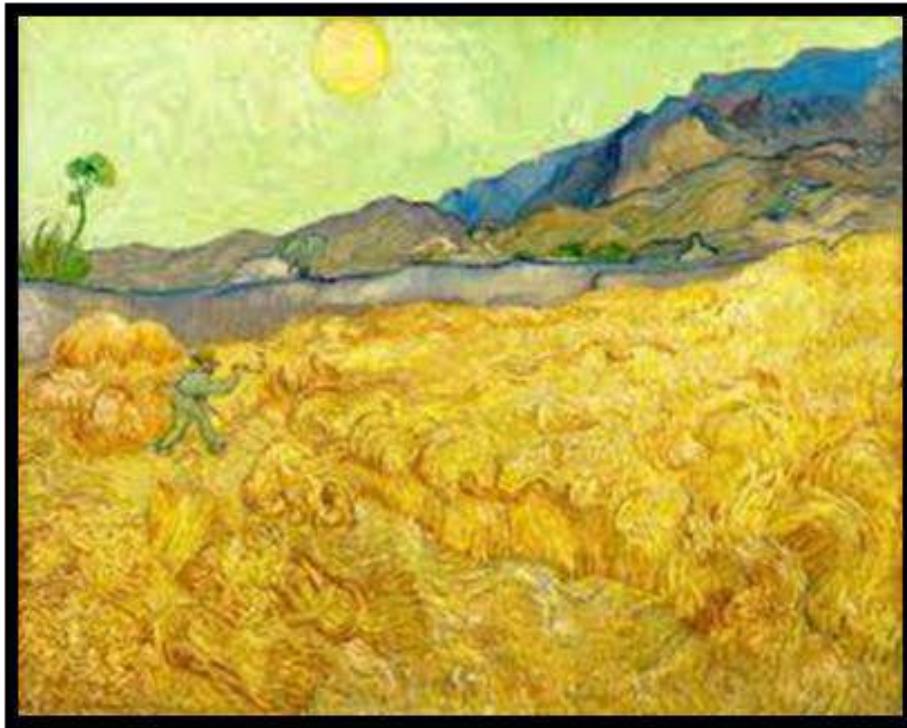


● **الأسطورة الإغريقية السايكلوب ذو العين الواحدة**  
نجدها في مرض يدعى متلازمة باتو حيث لا تنقسم  
الكرة المخية إلى نصفي كرة مخية و في بعض الأحيان  
تلتحم العينان معاً في عين واحدة ..



## ✿ الطب في الرسم :

● هل تعلم لماذا كان اللون الأصفر غالباً على لوحات الفنان الشهير فان جوخ ؟ لأنه كان مصاباً بالتسمم ب المادة الديجوكسين التي تسبب الرؤية الصفراء لكل شيء فكان يرى كل ما حوله من مشتقات اللون الأصفر .. أما الديجوكسين فهو دواء مقوي للقلب يستخدم في قصور القلب .. و هنالك نبتة غنية بمادة شبيهة بتركيبة وهي ما كان فان جوخ يستخدمها بكثرة ..

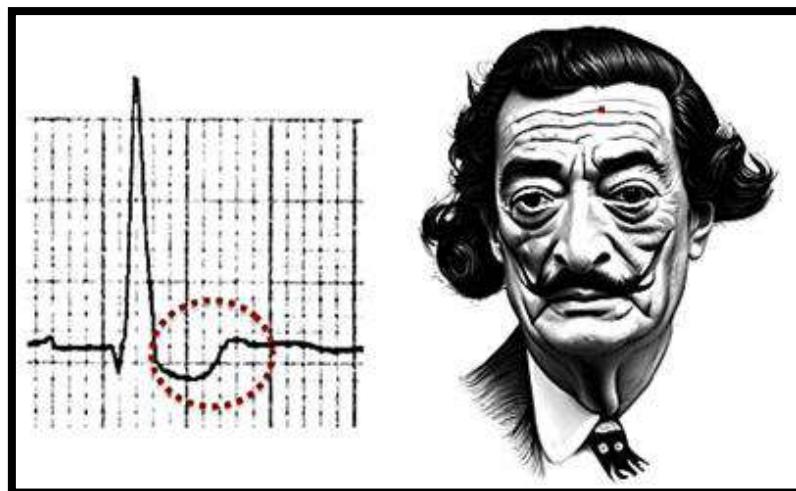


● بعيداً عن عشق ليوناردو دافنشي أشهر فنان في التاريخ للطب والتشريح ، فإننا نجد سراً طبياً في أشهر لوحاته على الإطلاق (الموناليزا) حيث يُشتبه بقوة بإصابتها بمرض باركنسون بسبب جمود ساحتها وإمساكها ليدها بيدها الأخرى خوفاً من أن ترجم

عندما كان دافنشي يرسمها ..



● بعيداً عن الالوهات البصرية الكثيرة التي كانت تصيب الفنان المبدع المجنون سلفادور دالي و التي تظهر بوضوح في لوحاته .. فإن هنالك علامة مرضية شهيرة على تخطيط القلب الكهربائي تدعى ( شارب سلفادور دالي ) حيث تتشكل موجة شبيهة بشاربه بالفعل ، و تترجم عن السمية بالديجووكسين أيضاً ..



## ❖ الطب والموسيقى :

● علامة أوتار الكمان : و هي التصاقات تشبه أوتار الكمان بين البريتوان البطني و الكبد و نجدها في الإنтан بجرائم المكورات القندية ..

● علامة درجة البيانو : و هي كسر في المفصل بين عظم الترقوة و عظم الكتف فيرتفع عظم الترقوة بشكل درجة البيانو ..

● بتهوفن أعظم موسقي في التاريخ أصيب بالصمم و هو في أول شبابه و ألف أغلب سمفونياته الشهيرة دون أن يسمعها و اعتمد فقط على إحساسه ..



● الرقص على أنغام الموسيقى فن محب للناس ، و نجد في مرض الحمى الرثوية حركات رقصية للأطراف تدعى ( رقص سيدنهام ) كما نجد حركات رقصية أيضاً في داء هين تين غتون ..

## ✿ الأبطال الخارقون في الطب :

و نجد هنا 5 أمثلة عنهم :



● **الرجل الأخضر هالك** : الذي يتتحول إلى وحش أخضر عندما يغضب .. و هذا ما نجده في ورم القوام الذي يصيب غدة الكظر و يفرز هرمون الأدرينالين فيسبب نوبات غضب للمريض قد تصل به إلى حد القتل ..

● **الرجل الوطواط (باتمان)** : الذي لا يغادر مقره إلا ليلاً .. و هذا ما نجده في مرض البورفيريا الجلدية ، حيث يتجنب المريض الخروج من منزله نهاراً بل يغلق جميع الستائر لأن ضوء الشمس يسبب له حساسية جلدية و تقرحات ..

● **الفتاة المطاطية في ( الخارقون )** التي يمكنها مط أطرافها بمرونة ، و هذا ما نجده في مرض إهلو دانلوس الذي يسبب مرونة هائلة في الجلد و المفاصل

● **رجل الماء (أكوانا)** : الذي يعيش تحت الماء و له حراشف كالسمك .. و هذا ما نجده في مرض السمك الجلدي الذي يصبح فيه الجلد جافاً و يأخذ

مظهر حراشف السمك أيضاً ..

● **الرجل الحديدي (أيرون مان)** الذي يرتدي بدلة من المعدن تحميـه .. و هذا ما نجده في مرض اختزان الحديد ( هيمو كرومـا توسيز ) الذي يتربـب فيه الحديد في أنسجة الجسم المختلفة ليصبح المريض حرفياً رجلاً حديدياً ..

❖ و نجد في **الأدب العالمي** روایات من قبيل ( الحب في زمن الكوليـرا ) لغابريـيل غارسـيا مارـكيـز ، و ( الطاعـون ) لأـلـيـرـ كـامـو .. و غيرـها تناولـت الأمـراض بطـرـيقـة روـائـية أدـبـية ..

## ② أمـراض غـرـيبة لم تـسمـع بـهـا مـنـ قـبـل :

❖ **ذهـان وـينـديـغو** : وـينـديـغو هي الـوحـوش آـكلـة لـحـوم البـشـر التي تـعيش حـسب الأـسـاطـير شـمال المـحيـط الأـطـلـسي .. و المصـاب بـهـذا المـرض يـكون لـديـه رـغـبة شـدـيدة لـأـكـل لـحـوم البـشـر ، و هـذا مـا يـفـسـر السـلـوك الشـاذ لـبعـض القـتـلـة المتـسلـلـين ..

❖ **متـلاـزـمة مـونـشـهاـوزـن** : سمـيت تـيـمنـاً بالـبارـون الـأـلمـانـي فـون مـونـشـهاـوزـن ، و فـيهـا يـدـعـي المـريـض المـرض أو يـؤـذـي نـفـسـه بـالـعـدـم كـي يـتـلقـى الدـعـم و الـاـهـتمـام مـنـ الآـخـرـين ..

❖ **وـهم كـوتـار** : و هـنا يـقـتنـع المـريـض بـأنـه مـيـت بـالـفـعل

و لا يمكنك إقناعه بخلاف ذلك .. تماماً كحالة الزومبي الشهيرة ..



✿ **متلازمة الرجل الصخري** : و يعرف طبياً بخل التنسج الليفي المعظم المترقي ، و هو مرض شديد الندرة يصيب النسيج الضام بحيث تحدث طفرة في طريقة إصلاح الضرر بالنسيج الضام بما فيه (العضلات، الأوتار، الأربطة) بحيث تتحول هذه الأنسجة إلى عظم في حال إصابتها أو تضررها، و في الكثير من الحالات، تسبب الإصابات في المفاصل بتوقف المفصل تماماً عن الحركة ، و لا علاج لهذا المرض ..

✿ **متلازمة الرجل المستذئب** : وفيه يظهر الشعر بكثافة في وجه الإنسان و جسده ، و هو عموماً من الأمراض النادرة، يحدث نتيجة خلل جيني يؤدي إلى نمو الشعر في كل أنحاء الجسم، ويسمى بهذا الاسم لأن

المريض يشبه هيئة الذئب بالفعل ، ولا يوجد علاج فعال للمرض ، و حتى حلق الشعر لا يجدي لأنه سرعان ما ينمو مجدداً ..



✿ **الحساسية من المياه** : ربما سمعت عنأشخاص يتحسّسون من أطعمة معينة أو أدوية محددة أو من لسع الحشرات ، لكن المريض هنا يتحسس من المياه و أي احتكاك بها سيسبب له نوبة حساسية مفرطة قد تقتله !!

✿ **متلازمة أليس في بلاد العجائب** : وهو مأخذ من اسم الرواية المشهورة ، حيث إن الأعراض تشبه ما عانت منه بطلة الرواية المنشورة سنة 1865 حيث نراها وهي ترى تغييراً في الأشكال والأحجام ، و ثمة اعتقاد بأن كاتب الرواية كان مصاباً بهذا المرض و لهذا وثقه برواية ، فالمرتضى يرى نسباً خاطئة للأجسام وتشوههاً في أشكالها ، ويعلم أن ما يراه ليس صحيحاً بل

هلوسات، كما قد يرى أشياء ثابتة تترافق أو رؤية رؤوس البشر كحيوانات مما يربكه بشكل عام ..



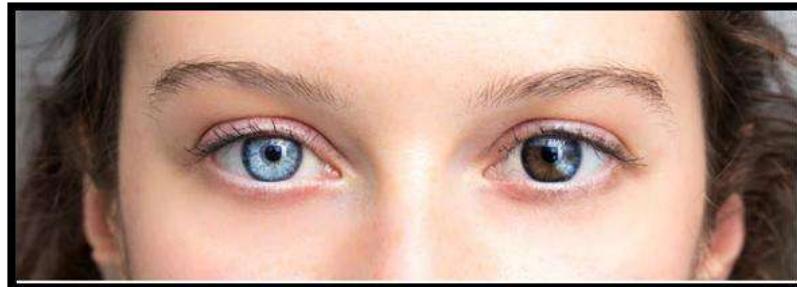
✿ **مرض انقلاب الأحشاء** : و هنا تتوضع أحشاء الجسم بعكس جهتها الطبيعية فيكون القلب و الطحال مثلاً في الجانب الأيمن من الصدر و الكبد في الجانب الأيسر ..



## ❖ **متلازمة الخنوثة الكاذبة الذكورية** : و هنا تكون

مستقبلات هرمون الذكورة التستوستيرون غير حساسة له .. لذا يكون المريض ذكراً صبغياً و أنثى فائقة الجمال ظاهرياً ، كونها لا تتأثر بأي كمية من هرمون الذكورة و الذي يفرز عند الإناث في الحالة الطبيعية من غدة الكظر ..

## ❖ **هيتروكروميا** : و هي مرض نادر يكون لون قزحيتي العينين مختلفاً كلياً ( أسود و أزرق مثلاً ) ..



## ❖ **مرض إهمال نصف الجسم** : و ينجم عن أذية الفص الدماغي الجداري .. و هنا يتعامل المريض مع جسده كأنه نصف فقط .. فمثلاً يحلق نصف لحيته فقط



### ③ الوجه الطريف من الطب :

✿ **متلازمة ديوجانس** : سميت تيمناً بالفيلسوف الإغريقي الشهير الذي اتبع الفلسفة الكلبية ( ديوجانس ) و هي فلسفة قائمة على التخلّي عن الماديات و العيش بحرية في الطبيعة .. و المصاب بهذه المتلازمة يعاني من إهمال الذات الكبير و الميل للعزلة الشديدة ، كما كانت حياة ذلك الفيلسوف بالضبط .. و في رواية طريفة حقيقة عنه أن الاسكندر الأكبر المقدوني التقى به و هو يعيش في برميل خشبي في الشارع فسأله عن أي خدمة يحققها له فأجابه ديوجانس ( ابتعد فقط من طرقي فأنت تحجب أشعة الشمس عنِي !! )



✿ **متلازمة اليد الغريبة** : و تحدث نتيجة للسكتات الدماغية أو الجراحات على الدماغ .. و هنا يفقد

المريض سيطرته على يده فتبدأ بالتصرف بأفعال لا يريدها كرمي الآخرين بالأشياء أو صفعهم أو غير ذلك

❖ في بعض الحالات قد يولد الذكور **بعضهن ذكريين**  
كاملين .. تماماً كحال حيوان الكوالا اللطيف ..



❖ قد تجد رجلاً أو سيدة متقدمين بالعمر بخدین  
محمرین فتقول لنفسک ( ما شاء الله ما زالت الطفولة  
في وجوههم ) و في الحقيقة هذه تدعى السحنة التاجية  
و سببها **تضيق الدسام التاجي** مع التقدم بالعمر ..

❖ **متلازمة وليامز** : مرض خلقي من أعراضه  
سحنة وجهية مميزة تدعى وجه العفريت و اللطف  
الزائد مع الغرباء .. حيث يتعامل المريض مع كل

البشر كأصدقاء مقربين ..

✿ **الضحك غير المفسر** : و هنا يضحك المريض باستمرار و دون سبب .. و السبب غالباً تضرر بالفص الجبهي للدماغ أو ورم يدعى هامرتوما يصيب الوطاء في الدماغ ..

✿ يقال أن التدخين سبب رئيسي لأمراض كثيرة و يقصر العمر .. و هذا بلا شك صحيح .. لكن هل تعلم عزيزي القارئ أن التدخين يوصف كدواء رسمي للعلاج من داء باركنسون و التهاب الكولون القرحي ؟!



✿ **مريض التوحد** : يستخدم ضمير الغائب للحديث عن نفسه ، فمثلاً إذا كان اسم الطفل المتوحد هو آدم فإنه إذا عطش يقول : آدم يريد أن يشرب !! ..

❖ **بعض العلامات التجارية في الطب :** فنجد علامة بيبسي في إيكو دوبرل أم الدم ، و مناورة برینغل في لقط وريد الباب في الثرب الصغير ، و متلازمة ميشلان التي يأخذ فيها جلد الرضيع شكلاً شبيهاً بإطارات ميشلان للسيارات بسبب الثنائيات الجلدية الكثيرة عليه!...



❖ **متلازمة خدود المارشمو :** تكون خدود الرضيع منتفخة بشكل محب للقلوب ، تترجم عن الرضاعة

بالحليب الصناعي ..

✿ **متلازمة كوفاد** : أو الحمل التعاطفي ، و فيها ينتفخ قليلاً بطن الزوج و تظهر عليه أعراض شبيهة بالحمل عندما تكون زوجته حامل و يقلق عليها كثيراً ..

✿ **علامة باباي** : تمزق وتر العضلة ذات الرأسين العضدية مما يعطيها مظهراً شبيهاً بعضلات الشخصية الشهيرة بباباي ..



✿ **الحس المواكب للمرأة** : يشعر فيه المريض بالعنق إذا رأى شخصين يتعانقان ..

✿ **مرض بيكا** : وهو اسم إغريقي قديم يشير إلى طائر عرف بقدرته الفائقة على الأكل منهم، و بالفعل فإنّ مرضى البيكا هم أناس يأكلون بهم ويأكلون للأسف كل شيء من التراب إلى الطين أو الزجاج أو

حتى البراز وغير ذلك، ويصنف في الأساس على أنه مرض نفسي وقد يترافق مع فقر الدم أيضاً ..

#### ④ الطب والطبيعة والكون :

في الطب علامات كثيرة استمدت اسمها من الطبيعة الخلابة ( نبات ، حيوان ، سماء ) فنجد مثلاً :

##### ● عالم الحيوان :

✿ **منقار الطائر** : في تصوير المري الظليل في مرض الأكالازيا ..

✿ **عين البومة** : في وصف خلية ريد ستيرين بيرغ في مرض لمفوما هودجكن أو الخمج بفيروس CMV

✿ **ذيل الفرس** : و هي الجذور العصبية الانتهائية للنخاع الشوكي ..

✿ **يد القرد** : و نجدها في إصابة العصب الناصل للذراع ..

✿ **الورم الوعائي العنكيوتي** : ينجم عن زيادة الاستروجين في قصور الكبد ..

✿ **علامة الراكون أو الباندا** : في كسر قاعدة الجمجمة

✿ **طفح الفراشة** : على الخدين و الأنف في مرض الذئبة الحمامية الجهازية ، كذلك نجد علامة الفراشة

في التصوير الطبي للدماغ في الورم الدماغي الدبقي  
متعدد الأشكال ..



✿ صوت نباح الكلب : و نجده عند المريض بالتهاب  
الحنجرة و القصبات و القصبات  
**CROUP**

✿ متلازمة مواء القطة : مرض تشوهي خلقي ..



✿ نجد أيضا السعال الديكي ، جدري الدجاج و القرود  
، انفلونزا الطيور و جنون البقر و غيرها ..

✿ **السخنة السنحابية** : في فقر الدم بتلاسيميا بيتا  
الكبرى ..



✿ **حديبة الثور** : حديبة على العنق نجدها في داء  
كوشنج في غدة الكظر ..



✿ **رائحة النفس كالسمك** في قصور الكبد .. و نجد  
أيضا **رائحة السمك للمهبل** في الإنたن بجرثومة  
الغاردنيلا المهبلية ..

✿ **جلد النمر** : علامة في الكولون عند الاستعمال  
المزمن للملينات ..

❖ **جلد الأفعى** : علامة في المعدة عند ارتفاع توتر  
وريث الباب ..

❖ **عيون الضفدع** : جحظ العينين في داء غريف  
الذي يصيب الغدة الدرقية ..



### ◎ **عالم النبات :**

❖ **الزيتونة** : علامة بجسّ المعدة في تضيق البواب  
الضخامي .. كذلك نجد نواة الزيتونة في الدماغ ..

❖ **سان الفريز** : و نجده في الحمى القرمزية و في  
داء كاوازاكي ..

❖ **الكرزة الحمراء** : مظهر لسان المزمار بالانتظير  
عندما يأتهب ..

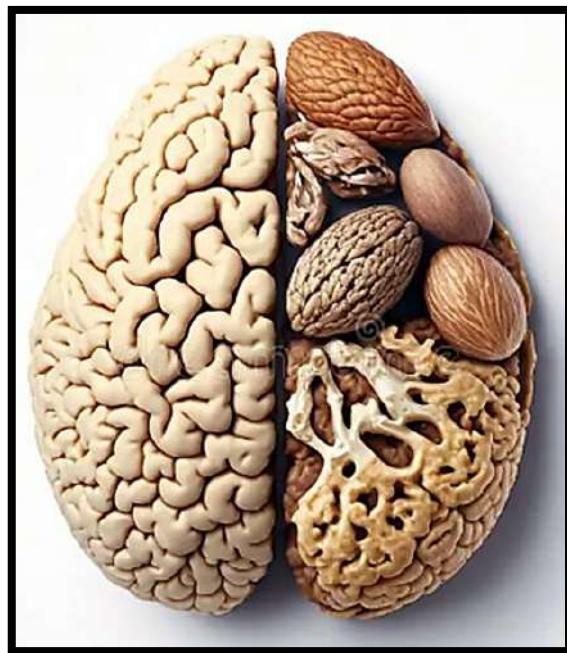
❖ **الزهيرات الكاذبة** : و نجدها كتجمع لخلايا الأورام  
الغدية العصبية على شكل زهور ..

- ✿ علامة تليف قشر البصل : في التصلب الشرياني أو في التهاب الطرق الصفراوية المصلب البدئي ..
- ✿ الأذن القرنيبيطية : نشاهد ها هند الملاكمين ..
- ✿ علامة قشر البرتقال : في سرطان الثدي ، حيث يسبب انسداد الأوعية المفاوية بالورم هذا المنظر ..



- ✿ كذلك نجد رائحة النفس كالفواكه في الحمامض الخلوني السكري ..
- ✿ علامة الملح و الفلفل : على الصورة الشعاعية للجمجمة عند مرضى الورم النقوي العديد ..
- ✿ مظهر شجرة عيد الميلاد : طفح على الظهر يشبه الشجرة نجده في داء النخالية الوردية ..
- ✿ علامة ندف القطن : في اعتلال شبكيّة العين بالسكري ..
- ✿ لا ننسى بأن الدماغ بنفسه يأخذ شكل ثمرة الجوز

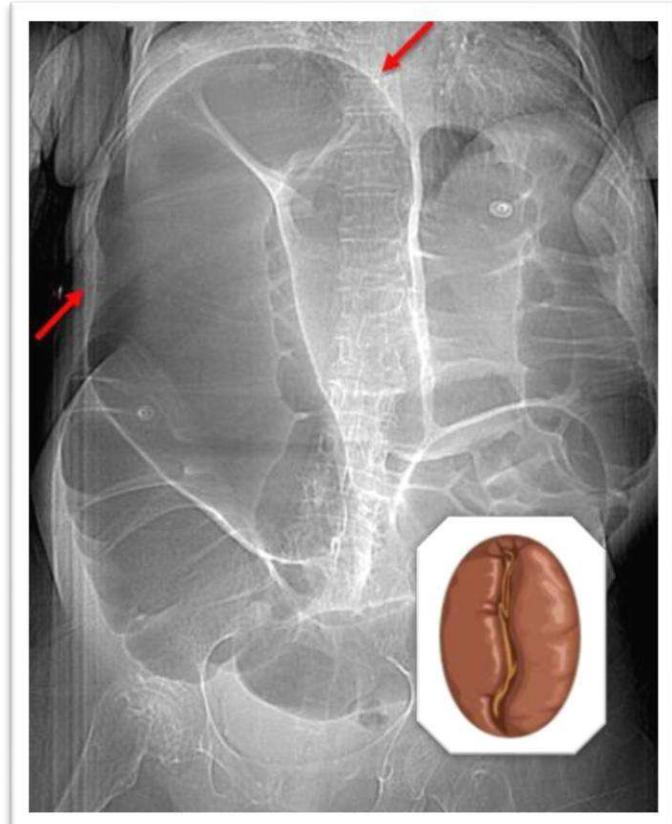
بل إن تركيبه مشابه على نحو غريب لتركيب الكون  
كما سبق و حلنا في مغالطة العقل و الحاسوب ..



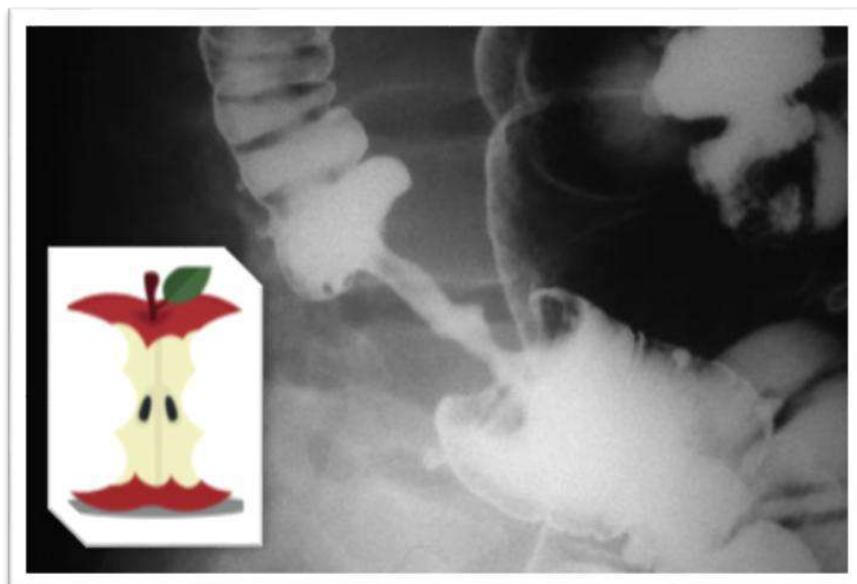
❖ **عود الخيزران** : عالمة شاعية تظهر العمود  
الفقري كعود الخيزران في مرض التهاب الفقار القاسط



❖ **بول الشاي** : في اليرقان الناجم عن انحلال الدم ..  
❖ **حبة القهوة** : علامة تظهر على إيكو البطن في  
انفتال الكولون السيني ..



❖ **التفاحة المقصومة** : في سرطان الكولون الأيسر ..



## ⦿ السماء والفضاء :

❖ **الهلال** : علامة شعاعية تصف النزف تحت الجافية في الدماغ .. كم نجد الهلال الغازي تحت الحجاب الحاجز في الصورة الشعاعية للبطن عند انثقاب الأحشاء ..



❖ **غروب الشمس** : و هو علامة شعاعية تظهر على العظام المصابة بورم أوستيوساركوما .



❖ **وجه البدر** : وجه مدور في داء كوشنج في غدة الكظر أيضاً ..

❖ **مظهر السماء المرصعة بالنجوم** : نجده في خزعة الكلية تحت مجهر التألق المناعي في التهاب الكبب والكلية ، كما نجده في خزعة العقد المفاوية في لمفوما بوركت ..

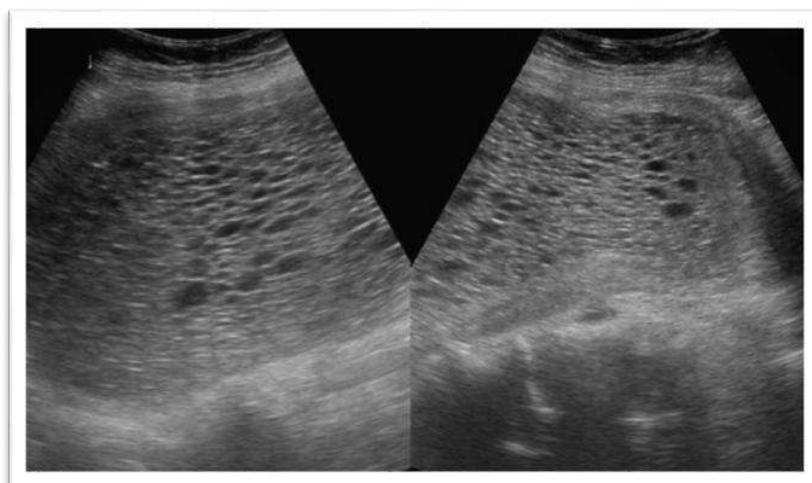
### ◎ علوم الجغرافيا :

❖ **الأمواج** : علامة مميزة لألم دم الشريان الأبهري البطني ..

❖ **حمى الجبال الصخرية** : و هي مرض إنتاني ..

❖ **السان الجغرافي** : و هنا يأخذ اللسان شكلاً فريداً يشبه خريطة العالم !!

❖ **العاصفة الثلجية** : علامة نجدها بايكو الرحم في الرحى العدارية و في الصورة الشعاعية للرئة في التسمم بالزئبق ..



❖ **البركان** : وصف لشكل سرطان الجلد قاعدي الخلايا ..

## ٥) الطب و الرياضة :

فأنامل الطُّب تترك لمستها على مختلف الرياضات المعروفة أيضاً ، و نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

❖ **أذن السباح** : التهاب مجرى السمع الظاهر بجرائم سودومناس و يشيع عند السباحين ..

❖ **متلازمة سائقى الدراجات** : انضغاط العصب الزندي في نفق غويون و يشيع عند سائقى الدراجات ..

❖ **مرفق لاعب التنس** : التهاب القيمة الوحشية للعضد و تشيع عند لاعبي التنس ..

❖ **حبيبات مضرب التنس** : حبيبات تأخذ شكل مضرب التنس تحت المجهر الإلكتروني في داء كثرة الناسجات للانجر هانس ..

❖ **مرفق لاعب الغولف** : التهاب القيمة الأنوية للعضد و تشيع عند لاعبي الغولف ..



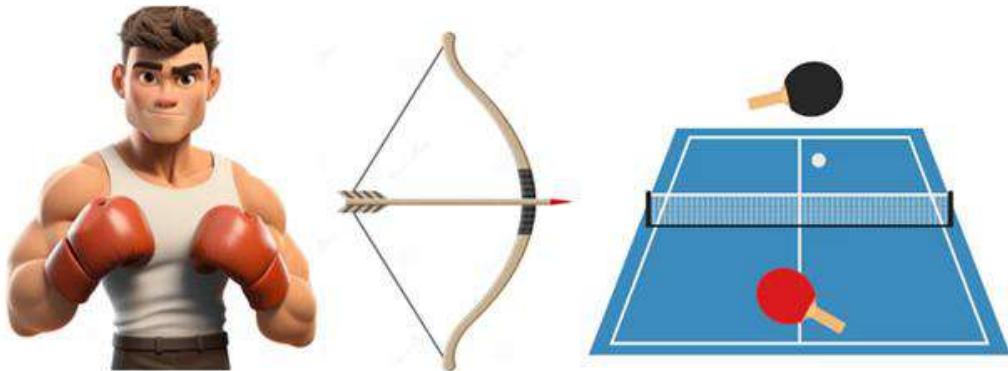
❖ **ظل القلب ككرة القدم على الصورة الشعاعية** : نشاهد في تبادل منشأ الأوعية الكبرى الخلقى للقلب ..

❖ **أمراض العدائين** : كمتلازمة الرباط الألوبي الظنبوي و متلازمة الإجهاد الظنبوي ..

❖ **كسر الملاكم** : كسر عنق السنع الخامس في اليد ، يشيع عند الملاكمين ..

❖ **علامة القوس و النشاب** : في سلاميات الأصابع عند مرضى ضخامة النهايات ..

❖ **علامة البينغ بونغ** : نجدها في كسور الجمجمة ..



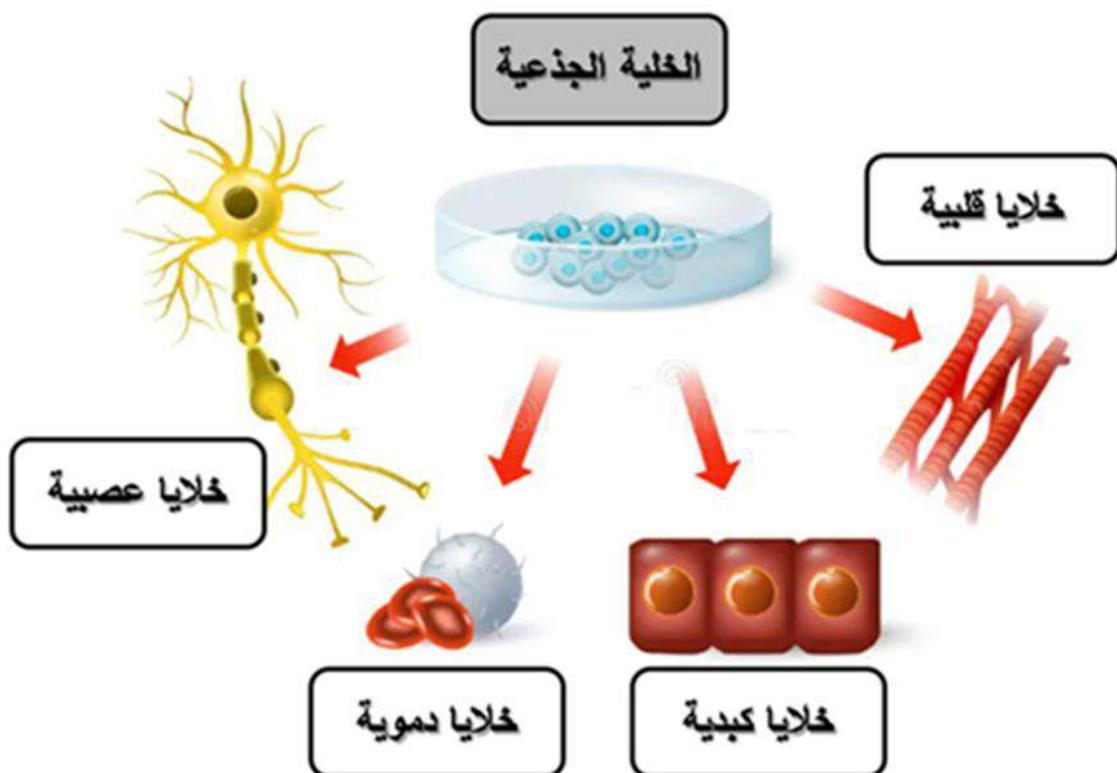
❖ **علامة الهدف** : علامة شعاعية بالإيكو تظهر في انغلاق الأمعاء ..

## ⑥ الخلية الإله :

أغلب البشر يعتقدون أن الطب هو دواء أو جراحة ، لكن في الحقيقة هنالك زاوية أخرى للطب يجهلها البعض و مذهلة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، إنها الخلية عزيزي القارئ ، ماذا يمكن للخلية أن تفعل ؟ تعال لأحدثك عن **٣** أقاليم في الطب ستغير وجه البشرية :

**الخلية الجذعية** : و هي خلية بشرية قادرة على التمايز إلى أي نمط خلوي و استبدال الخلايا التالفة بأخرى جديدة ..

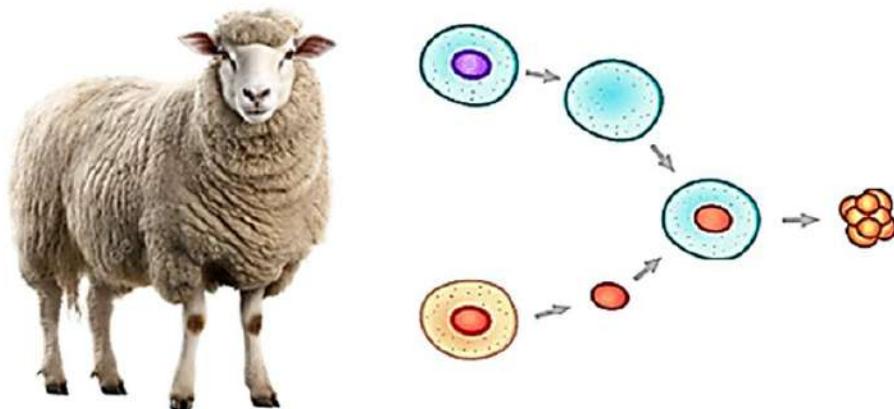
مثلاً إن تلفت خلايا في القلب أو الدماغ يمكن حقن المريض بخلايا جذعية تتکفل بإصلاح الضرر، و كما ترى بنفسك هذه ثورة علمية طبية حقيقة ..



و يمكن تأمين هذه الخلايا من خلايا الجنين الأولية أو من النسج البالغة في الجسم فهي تحوي نسبة منها أيضاً .. و هذه التقنية ذات آفاق عملية واسعة في المستقبل .. فهي ببساطة قد تحل مشكلة المجاميعات و عوز البروتين في البلدان النامية بإنتاج كميات هائلة من النسيج العضلي مثلاً ..

## ✿ الاستنساخ :

فيتمكن أن تأخذ أي خلية جسدية كخلايا الجلد مثلاً ثم تزرع نواتها وتحقن هذه النواة في بوبيضة أنثوية منزوعة النواة، و مع بعض التأثيرات الإضافية تتطور هذه البوبيضة لتعطي نسخة طبق الأصل عن الكائن الذي استعملنا نواة خلبيته الجسدية .. و أشهر مثال عن هذه التقنية هو النعجة دوللي التي تم استنساخها عام **1996**

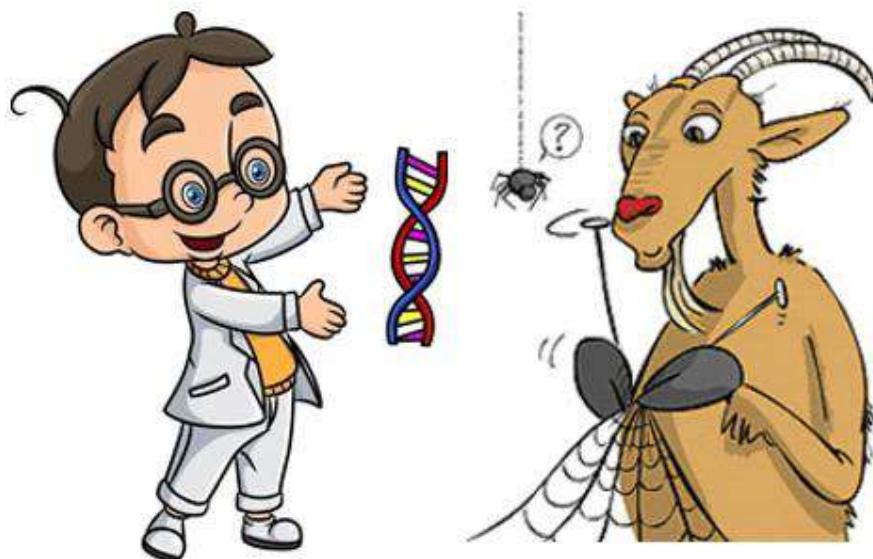


و لهذه التقنية استخدامات عديدة ، كحفظ الأنواع المهددة بالانقراض أو استنساخ الأنواع الأفضل من الحيوانات لتحسين الإنتاجية ، مثلاً استنساخ الخيول القوية و السريعة أو الأبقار ذات الحليب الغزير أو الأغنام ذات الصوف الكثير أو اللحم الزائد ..

## ✿ التلاعب الجيني :

حذف جينات مرضية أو استبدالها بجينات سليمة عند الإنسان مما يعالج أمراض قاتلة لا علاج دوائي أو جراحي لها .. أو إضافة جينات معينة إلى جينات

الحيوانات لمنحها صفات جسدية جديدة ، كإضافة جينات صنع الحرير عند العنكبوت إلى جينات الماعز فتبدأ الماعز بصنع كميات هائلة من حرير العنكبوت الأقوى من الفولاذ ٨ مرات و تصنع منه الدروع المضادة للرصاص مثلاً ، في حين أن إنتاج غرامات قليلة من هذا الحرير في الحالة العادبة يحتاجآلاف العناكب .. أو التلاعيب الجيني عند النباتات لإنتاج أنواع أفضل نوعية و كمية ..



و إن أردنا أن نتحدث عن الوجه الآخر للطب بعيداً عن الألم و التعذيب و العجز سنحتاج إلى موسوعات للإحاطة به .. لكنني أعتقد أنني غيرت نظرتك القديمة الجافة للطب لتدرك أن هناك الكثير بعيداً عن الزكام و التهاب البلعوم !!

\*\*\*\*\*

**في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الشيقة ( الوجه الآخر**

**لـلـطـب** ) من الأـنـسب بـعـدـ الـآنـ أـلـاـ نـقـولـ :

= الطـبـ عـلـمـ جـافـ وـ مـحـزـنـ يـتـعـلـقـ فـقـطـ بـالـآـلـامـ وـ التـعـبـ  
وـ العـجـزـ وـ رـبـماـ المـوـتـ ..

بلـ أـنـ نـقـولـ :

= الطـبـ عـالـمـ مـمـتـعـ مـنـ الـأـلـغـازـ وـ الـفـنـ وـ الـطـرـافـةـ وـ  
الـطـبـيـعـةـ .. نـحـنـ فـقـطـ نـجـهـلـ حـقـيقـتـهـ لـكـنـنـاـ إـنـ تـعـمـقـنـاـ فـيـ  
سـبـرـ أـغـوارـهـ فـسـيـذـهـلـنـاـ بـلـ شـاكـ ..

اشـتـهـرـ الكـاتـبـ الـفـرـنـسـيـ **ستـنـدـالـ** بـإـصـابـتـهـ بـمـتـلـازـمـةـ  
نـفـسـيـةـ سـمـيـتـ لـاحـقاـًـ عـلـىـ اـسـمـهـ ،ـ فـقـدـ كـانـ يـعـانـيـ مـنـ  
تـسـرـعـ فـيـ ضـرـبـاتـ قـلـبـهـ بـقـوـةـ ثـمـ يـغـمـىـ عـلـيـهـ عـنـ روـيـتـهـ  
لـعـمـلـ فـنـيـ مـبـهـرـ كـلـوـحـةـ أـوـ تـمـثـالـ وـ غـيرـهـ .. وـ رـبـماـ إـنـ  
تـعـمـقـتـ عـزـيـزـيـ الـقـارـئـ فـيـ عـلـومـ الـطـبـ أـكـثـرـ سـتـكـتـشـفـ  
أـنـكـ مـصـابـ بـهـذـهـ مـتـلـازـمـةـ أـيـضـاـًـ ..ـ لـأنـيـ أـعـتـقـدـ بـأـنـهـ  
سـيـغـمـىـ عـلـيـكـ مـنـ هـوـلـ مـاـ سـتـراـهـ ..





**شوابخ النفس**

**(فرويد والخيال)**



= كيف قضيت أمسيةك يا صديقي ؟

= شاهدت برنامجاً وثائقياً مذهلاً ..

= عما يتحدث !؟

= عن سبر أغوار النفس البشرية و اكتشاف الإنسان لخفاياه النفسية كي يتحكم بها و يقودها بدلاً من أن تقوده هي ..

= يبدو برنامجاً شيئاً ..

= بالفعل هو كذلك .. و أجمل شيء فيه هو بدايته ، فقد شرع يتحدث عن شيء لا علاقة واضحة له بالتحليل النفسي مما أثار حفيظتي ..

= و ما هو هذا الشيء ؟

= تحدث لعشر دقائق عن **بئر الكولا** ..

= بئر الكولا ، يا له من اسم غريب !!

= تماماً هذا ما لفت انتباхи و جذبني لاستكمال مشاهدة البرنامج ..

= و ما هو هذا البئر ؟

= بئر الكولا مشروع علمي أجري في الاتحاد السوفيتي لاستكشاف قشرة الأرض وهي أعمق بئر استكشافية في العالم .. و قد بدأ الحفر عام **1970** و توقف عام **1989** مخلفاً ثقباً عميقاً أكثر من **12** ألف متر أي أنه

أعمق من خندق ماريانا في المحيط الهادئ و الذي  
يعتبر أعمق نقطة طبيعية على سطح الكوكب ..



= مذهل !! لكن ما علاقة ذلك البئر بجوهر البرنامج ؟  
= تماماً ، هذا هو السؤال ، فقد انتقل المخرج بعقربيه  
من فكرة محاولات البشر لسباق أغاروار كوكب الأرض  
عبر هذا البئر إلى محاولاتهم سبار أغاروار النفس البشرية  
و اكتشاف أسرارها ليتابع الحديث بعد ذلك عن التحليل  
النفسي بإسهاب تحت عنوان بئر فرويد..



= حركة ذكية بالفعل .. لقد شوّقتني لمتابعة هذا  
البرنامج بنفسي ..

\*\*\*\*\*

## **النفس البشرية الأمارة بالسوء ، ذلك الحصان البري**

**الجامح** الذي يسعى الإنسان جاهداً خلال حياته إلى ترويضه حتى يصبح مطواعاً يلتزم بتوجيهاته فيقوده هو بدلاً من أن يقوده ذلك الحصان إلى الهاوية .. فهل هذا أمر قابل للتنفيذ عملياً ، أم إن الإنسان عاجز عن ترويض نفسه كلياً إذ يحكمها لاوعي مسيطر علينا على نحوٍ منهم كما يشاء بين الناس ؟

في الواقع الإنسان بالفعل قادر على تهذيب نفسه و ترويضها لتصبح كالعجبينة بين يديه فيشكلها كما يشاء ، و فكرة عجزنا عن تدجين اللاوعي في حياتنا هي مجرد مغالطة جديدة تنضم إلى عائلة مغالطاتنا .. و لإثبات بطلان هذه المغالطة سنستعين بأشهر خيال محترف في تاريخ علم النفس ، و هو عالم النفس النمساوي **سيجموند فرويد** الذي روض حصان النفس البشرية الجامح من خلال نظرياته النفسيّة العظيمة التي تركها وراءه كإرث هام للبشرية ، ليكون بلا شك عرّاب مغالطتنا الجديدة ( **ترويض النفس** ) التي سنقوم خلالها بتحليل خفايا النفس البشرية و سبر أغوارها كبير الكولا حتى نصل إلى أعماق الحقيقة المنشودة فنحكم قبضتنا على لاوعينا .. و لإنجاز ذلك سنقوم بمقاربة مغالطتنا من **5** زوايا شديدة و هامة للغاية :

١ نظرية الثالوث المتصارع ..

٢ دفاعات الأنا النفسية ..

٣ تأثير الجنس على النفس ..

٤ التلاعُب النفسي الاجتماعي ..

٥ أشهر اضطرابات الشخصية ..

فهيا بنا عزيزي القارئ في مغامرة شيقة لترويض  
حصان النفس البشرية البرية الجامح ..



## ١ نظرية الثالوث المتصارع :

تقول هذه النظرية بوجود صراع دائم بين **٣** عناصر  
في أعماق النفس البشرية التي تشبه بنية الجبل الجليدي  
 تماماً :

- **الأنا** : و هي الجزء الطافي من الجبل الجليدي و يشكل تصرفات الإنسان اليومية الظاهرة للآخرين
- **الأنا العليا** : و هي الجزء الأكبر من الجبل الجليدي تحت المياه ، و تمثل الأخلاق و المبادئ السامية و تحمي الأنما من الضياع ( النور ) ..
- **الهو**: و هو الجزء المظلم الأعمق من الجبل الجليدي و يمثل الوحش القابع في أعماق الإنسان و يجسد الغرائز و الرغبات الشاذة الدفينة ، و يعمل على ضعف الأنما و ضياعها ( الظلم ) ..



فإن انتصرت الأنما العليا على الهو في صراعهما على التأثير على الأنما ظهر النصف الأبيض المشرق من الإنسان المتمثل بالمبادئ السامية و الأخلاق الرفيعة ،

و إن انتصر الهر على الآنا العليا ظهر النصف الأسود  
المظلم منه فتاه الإنسان في ظلام الخطايا ..

لذا على الإنسان في حياته اليومية أن يستشعر هذا الصراع فيصغي إلى أناء العليا و يصم أذنيه عن إغواءات وهو في حرب طويلة بلا أسلحة أو ضحايا ستمتد على مدى حياته أقرب ما تكون على نحو غريب إلى حرب **335** عاماً الشهيرة بين هولندا و جزر سيلي الواقعة في الجنوب الغربي من شاطئ المملكة المتحدة، و التي لم تطلق فيها النيران أبداً مما جعلها أطول حرب في التاريخ وأقلها خسائر في الأرواح ، و فهم طبيعة هذا الصراع هو أول خطوة على درب ترويض النفس البشرية مما يقودنا إلى البند الثاني..

## دَفَعَاتُ الْأَنَا النُّفُسِيَّةُ : ②

دفاعات الأنماط العقائدية هي تحايلات نفسية يقوم بها الإنسان باللاوعي لخلق توازن نفسي في أعماقه والتي ستدفعه بلا شك عزيزي القارئ ، فلا ريب أنك تستخدمها يومياً في حياتك الشخصية و المهنية دون أن تدرك ذلك :

**القمع (الكبت)** : محاولة دفن أو إخفاء الأحاسيس أو الأفكار المؤلمة من وعي الإنسان ، علماً أنَّ هذه الأحاسيس أو الأفكار قد تعود لتطفو مجدداً

على السطح في ظروف معينة بطريقة ما .. و يعتبر الكبت هو الأساس أو القاعدة التي تتبّع منها معظم الآليات الداعية الأخرى ..

**مثال موضح :**

طفل تعرض للتحرش الجنسي في طفولته ، يقوم بكبت هذه التجربة في لا وعيه لكنها قد تتلاعب لاحقاً بعد البلوغ بميله الجنسية ..

✿ **التماهي (التوحد) :** و هو التقارب اللاواعي مع الأشخاص الذين يحملون نفس الأفكار..

**مثال موضح :**

التعاطف مع الآخرين الذين يشبهوننا في لون البشرة أو الانتماء أو الدين و غيرها و تمييزهم باللاوعي عن الآخرين بالمعاملة ..

✿ **التبرير :** و هو محاولة إيجاد سبب منطقي للسلوكيات أو الدوافع عن طريق اعطائها مبررات أو أسباب مقبولة ..

**مثال موضح :**

بعد رفض قبوله في الوظيفة الجديدة التي تقدم لها ، قال عباس لنفسه : إنها وظيفة تافهة بجميع الأحوال من الأفضل لي ألا أقبل فيها ..

و دفاع الأننا هذا يتقاطع مع المثل الشعبي الشهير :  
( من لا يطول العنبر يقول عنه حامض )



❖ **الكبح** : حيث يتم إيقاف المشاعر و الامتناع عن التعبير عنها ، لأن هذه المشاعر غير مقبولة اجتماعياً ..

**مثال موضح :**

عندما مرت تلك الفتاة الحسناء المثيرة بالجوار أراد حسان أن يعاكسها بكلام بذيء لكن وجود الناس من حوله لجم لسانه ..

❖ **النكوص** : وهو العودة إلى المراحل الأولى من النمو النفسي أو البدني حيث تكون المسؤوليات أقل والشعور بالأمان أكبر ..

**مثال موضح :**

بعد أن أخذ الجد أحفاده إلى مدينة الملاهي رأه أحد

أصدقائه و هو يركب الأرجوحة و يضحك من قلبه  
كطفل و قد نسي نفسه للحظات ..



✿ **الإسقاط** : وفيه يتم نسب المشاعر غير المقبولة في  
داخلنا إلى الغير، كنوع من الراحة النفسية لنا ..

**مثال موضح :**

غضب المدير بشدة من موظفه و اتهمه بالقصير في  
عمله و أنه سبب انهيار الشركة فرفده من العمل .. و  
في الحقيقة المدير هو المقصر في إدارة شركته و يريد  
إسقاط تقصيره على الموظفين ..

✿ **التكوين العكسي** : وهو التصرف بعكس ما يمليه  
 علينا العقل اللاواعي بشكل مبالغ فيه وبصورة مفرطة

**مثال موضح :**

راودت شاب أفكار مجانية بشدة فلجاً إلى الصلاة بكثرة

و بشكل مبالغ به ..



❖ **الاستبطان:** عملية أشبه ما تكون بعملية التحليل النفسي إلا أن الإنسان يجريها على نفسه بنفسه ..

**مثال موضح :**

جلس أحمد مع نفسه يراجع سلوكه في الحفلة كي يفسر سبب تصرفاته الغريبة فيها ..

❖ **التشبه :** تقليد جهة يعتبرها الإنسان مثلاً أعلى بكل شيء ..

**مثال موضح :**

لجأت لجين إلى تقليد الفنانة ميسون بلباسها و شكلها و طريقة كلامها ..

✿ **التسامي** : و تعد واحدة من أكثر دفاعات الأنماط إيجابية حيث يتم فيها التعبير عن الغضب أو التوتر بصورة مقبولة اجتماعياً ..

**مثال موضح :**

لجا المراهق الذي يشعر بمشاعر غضب بداخله و نعمة على المجتمع إلى ممارسة رياضة الملاكمة كي يفرغ طاقته هذه بدلاً من إيذاء الآخرين ..



✿ **الفكاهة**: وهو التعبير عن الأفكار أو المشاعر والتي عادة ما تكون ذات طبيعة مؤلمة بصورة دعابة أو سخرية ..

**مثال موضح :**

لجوء الشخص الذي تعرض لضغوط نفسية هائلة في

طفولته إلى السخرية من الآخرين باستمرار ..

✿ **التعويض:** هو محاولة الفرد النجاح في ميدان تعويض عجزه في ميدان آخر ..

**مثال موضح :**

بعد فشله في المدرسة لجأ حسان إلى الانضمام إلى فرقة غنائية لاستغلال موهبته في الغناء ..

✿ **الإيشار:** وهو الخدمة البناءة للأخرين والتي تجلب السعادة والإشباع النفسي لتعويض إثم مستوطن نرتکبه.

**مثال موضح :**

قيام زعيم المافيا بإنشاء جمعية خيرية لمساعدة الفقراء



✿ **الثبتت:** هو توقف نمو الشخصية عند مرحلة من النمو ..

## **مثال موضح :**

رغم بلوغ بلال عامه العشرين ، لا يزال والده  
يساعده على إنجاز مهامه اليومية ..

**العدوان المنفعل :** رد الفعل على فعل سلبي  
بطريقة غير مباشرة ..

## **مثال موضح :**

لجا الموظف الذي وبخه مديره بالأمس بشدة إلى التأخر  
عن دوامه في صباح اليوم التالي كرد فعل على توبيخه

**الإنكار :** التعامل مع الأمور السيئة التي تحدث و  
كأنها لم تحدث ..

## **مثال موضح :**

بعد وفاة زوجته المفاجئة بحادث سير ، تابع الزوج  
روتينه اليومي كالمعتاد و شعر الآخرون بأنه يتتجاهل  
وفاة زوجته ، لكنه في الحقيقة يحاول إنكار موتها ..

**أحلام اليقظة:** اللجوء إلى عالم الحلم و الخيال  
لعيش واقع غير ممكن حالياً ..

## **مثال موضح :**

كانت سيلين تسرح بخيالها باستمرار عن زوجها  
المستقبلي الذي سيؤمن لها كل شيء تحبه .. فترسم

تفاصيل السنوات القادمة بإسهام و كأنها ستحدث بشكل  
مؤكد !!



✿ **الإِزَاحَةُ :** تكوين رد فعل تجاه جهة ما ضد جهة

أخرى ..

**مثال موضح :**

قام الموظف الذي وبخه مديره في العمل بتوبیخ زوجته  
في المنزل دون سبب .. أي أنه أزاح غضبه من مديره  
إلى زوجته ..

✿ **الانقسام :** تقسيم كل شيء في الحياة إلى نقيضين

## مثال موضح :

بعد خروجها من المشفى قالت بتو ل بأن جميع الأطباء هناك سيئون و جميع الممرضين جيدون ..



هذه هي أشهر دفاعات الأنما النفسيّة ، و لا شك عزيزي القارئ أنك أصبحت الآن متعرساً في فهم أفعالك أو أفعال الآخرين غير الواقعية بتحليلها نفسياً ، فإن عاد زوجك من العمل عزيزتي القارئة و صرخ في وجهك بدون سبب يمكناك ببساطة أن تفهمي أنه تعرض للتوبیخ من قبل مدیره في العمل أو شخص آخر خارج المنزل و يقوم بإزاحة مشاعره لا أكثر .. لذا امتصي غضبه و ساعديه على التفريح عن مشاعره السلبية كي يرتاح بشكل واعٍ ..

## ③ تأثير الجنس على النفس :

إن الغريزة الجنسية تؤثّر على مشاعرنا و أفكارنا و

أفعالنا باللاؤعي ، و هذه النظرية تبناها فرويد كأول شخص و آمن بها ، إذ يقول فرويد بأن الغريزة الجنسية التي تبدأ براعمنها بالتفتح عند الطفل بين عمر 3 و 5 سنوات بظهور **عقدة أوديب** عند الذكر ( انجذابه لأمه ) و **عقدة إكترا** عند الأنثى ( انجذابها لأبيها ) سترسم ملامح الحياة المستقبلية للطفل في كافة نواحيها .. و يقول فرويد أنّ انجذابنا لمهن محددة أو هوايات معينة أو أشخاص دون سواهم بل إلى أماكن دون غيرها يعود كله إلى جذور جنسية في طفولتنا .. و يؤمن فرويد أن الجنس يتحكم بتفاصيل حياة الإنسان كلها ، في حين نجد تلميذه **كارل يونج** يخالفه الرأي في هذه النقطة و يقول بأنّ عقد النقص هي من يتحكم بحياة البشر ..

و من وجهة نظر شخصية متواضعة فأنا أميل لتأييد فرويد أكثر ، بل أزيد على كلامه بأن الكون برمتته مخلوق وفق نظرية جنسية .. فالجنس في الحياة مقدس سماوياً كونه الوسيلة التي يأتي بها البشر إلى هذه الحياة .. لذا لا عجب أن نجده في كل شيء من حولنا في الطبيعة ، فالجبل يشبه العضو الذكري و الوادي يشبه العضو الأنثوي ، و الشمس المانحة تعبر عن الذكر و القمر المستقبل يعبر عن الأنثى ، و الغيوم المعطاءة تمثل الذكر أيضاً و الأرض المتلقية تمثل الأنثى و هكذا .. فالجنس باختصار يحكم حيوات البشر باللاؤعي بالفعل !!

## ④ التلاعب النفسي الاجتماعي :

هو نوع من التأثير على الجماعة يهدف إلى تغيير أفكار أو سلوك الآخرين من خلال تكتيكات مسيئة أو خادعة أو خفية لتحقيق غايات الشخص المتحكم وغالباً على حساب الآخرين .. لذا يمكن اعتبار مثل هذه الأساليب استغلالية وملتوية تتعامل مع البشر كأحجار على رقعة شطرنج تحركها كما تشاء لتحقيق غاياتها ..



لكن من العدل أن ننوه إلى أن تأثيرات التلاعب النفسي الاجتماعية ليست سلبية دائماً ، كأن يحاول الطبيب إقناع المرضى بتغيير العادات غير الصحية بحيل نفسية ، و بالمجمل يمكن اعتبار التأثير الاجتماعي للتلاعب النفسي غير مؤذٍ بشكل عام في حال احترامه لحق الشخص المتلاعب به في القبول أو الرفض و تجنب الأساليب التعسّفية التي تفرض عليه ، و يشيع التلاعب

النفسي في **السياسة** و **الإعلان** بشكل خاص ، حيث تلّجأ جهات معينة إلى التلاعُب بنفوس الجمهور من خلال حيل نفسية معينة كحال المرشح السياسي الذي يُشعر الناس بأن مصيرهم الضياع إذا لم ينتخبوه وأن أبواب الجنان والنعيم ستفتح أمامهم إن انتخبوه .. أو الشركة التي تروج لحبوب تنحيف الوزن فتظهر فتاة بدينة للغاية تحولت إلى نحيلة بعد استخدام الحبوب ! علمًاً أن هذه الفتاة كانت بدينة تنكريًا فحسب !!

## ⑤ أشهر اضطرابات الشخصية :

اضطرابات الشخصية شائعة للغاية في البشر من حولنا ، وإن تعرفنا عليها أكثر بتنا قادرين على تمييزها في الناس الذين نحتك بهم مما يساعدنا على تنظيم علاقتنا بهم على نحو أعمق وأفضل .. و أشهر هذه الاضطرابات هي :

❖ **الشخصية الفياميّة** : و تتميز بالانسحاب الاجتماعي الإرادي و قلة التعبير العاطفي ..

❖ **الشخصية فصامية النمط** : و تتميز بالمظهر غير الطبيعي من حيث اللبس و الحركات مع وجود أفكار سحرية و غريبة و كثيراً ما ترتبط بالفضائيين و الماورائيات ..

❖ **الشخصية المعادية للمجتمع** : و تتميز باحتقار حقوق الآخرين و خرق الأعراف و التقاليد مع ميول إجرامية كثيراً ما يتم التعبير عنها بحرق المرافق العامة و أذية الحيوانات ..

❖ **الشخصية الحدية** : و تتميز بعلاقات اجتماعية مؤقتة مع إيذاء الذات و الميول الانتحارية و أيضاً الفراغ العاطفي .. يميل هؤلاء إلى الحدية في قناعاتهم و مواقفهم، فالأشخاص و الأشياء عندهم إما أبيض أو أسود و تغيب الألوان و تدرجاتها من قاموسهم ..

❖ **الشخصية الهرستريائية** : و تتميز بالسعى لكسب التعاطف و الاهتمام كالظهور بالمرض و استخدام الكلام الدرامي الذي يستدر التعاطف ، إضافةً إلى الأفعال المسرحية كالظهور بالإغماء ..

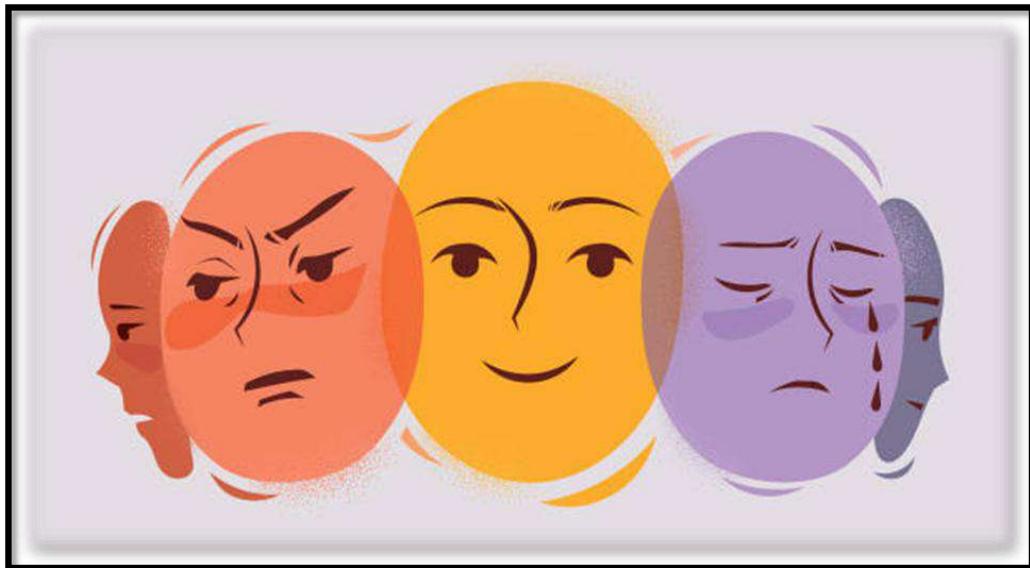
❖ **الشخصية النرجسية** : و تتميز بالشعور العظمة و تكرر من تمجيد الذات و الإطراء على الإنجازات الشخصية ، كما أنها مغرمة بمديح الآخرين لها و تكره النقد كثيراً ، و مفعمة بالغيرة من الآخرين و إنجازاتهم ..

❖ **الشخصية التجنبية** : و تتميز بالانسحاب الاجتماعي بسبب الخوف من النقد أو الرفض من قبل

الآخرين رغم الرغبة بعيش حياة اجتماعية طبيعية ..

✿ **الشخصية الوسواسية القسرية:** و تتميز بالسعى للكمال و السيطرة على كل شيء و التحكم بالأخرين ، و قد تعاني من بعض الأعراض الوسواسية القسرية فتهتم مثلاً بترتيب الأشياء بنمط معين أو غير ذلك ..

✿ **الشخصية الاعتمادية :** و تتميز بضعف الثقة بالنفس و الحاجة الدائمة للدعم من قبل الآخرين ..



و بالمحصلة عزيزي القارئ احترس مما يجري داخلك من صراع بين عناصر الثالوث ( أنا و أنا العليا و الهو ) ، و مما يحدث كتفاعل بينك و بين المحيط عبر دفاعات أنا التي يستخدمها لاوعيكي ، و من تأثير غريزتك الجنسية على سلوكك و حياتك بالمجمل ، و من تلاعب الآخرين نفسياً بك لاستغلالك و استنذاف طاقتكم لأجلهم .. و أخيراً من الناس الذين يعانون من

اضطرابات شخصية في محيطك كي تتجنب أذاهم..

\*\*\*\*\*

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة ( ترويض النفس )

من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= النفس الأمارة بالسوء تحكمني و تقودني ، و لا سبيل

أمامي للسيطرة عليها ..

بل أن نقول :

= للنفس خفايا و أعماق جلّها علم النفس ، و بإمكاننا ببساطة إن اطلعنا قليلاً على آلية تحكم اللاوعي بنا أن نرّوض أنفسنا و نقودنا و ليس العكس ، و لنا في الخيال فرويد عرّاب التحليل النفسي أسوة حسنة في هذا المجال

و أتركك يا صديقي أخيراً مع هذه **الحيل النفسية البسيطة** التي تعبد طريقك إلى قلوب الآخرين فتكتسب محبتهم و ثقفهم بطريقة أشبه بالسحر :

**① الاقتران العيني** : عندما تتحدث مع شخص ما

ثبت نظرك على عينيه .. و في الحقيقة قام العلماء

بالقيام بتجربة بسيطة بوضع شخصين من جنسين

مختلفين في غرفة و جعلوهم يتكلمون مع بعضهما

لبعض الوقت و طلبوا منهما التركيز على عيون

الشريك الآخر ، و كانت النتيجة أن 80 % منهم وقعوا في حب بعضهم !!

**(2) نظرية المرأة :** وهي أن تقوم بتقليد حركات معينة يعتمدتها الطرف الآخر كحركات اليد او النقر بالأصابع أي احفظ حركات هذا الشخص و قم باستخدامها ، هذا سيجعل عقله اللاواعي أو الباطن يظن أنك تشبهه فيشعر بالتماهي و الانسجام معك ، لأن الناس بشكل عام تكره من يختلف عنهم و يشعرون بالتهديد منه ..

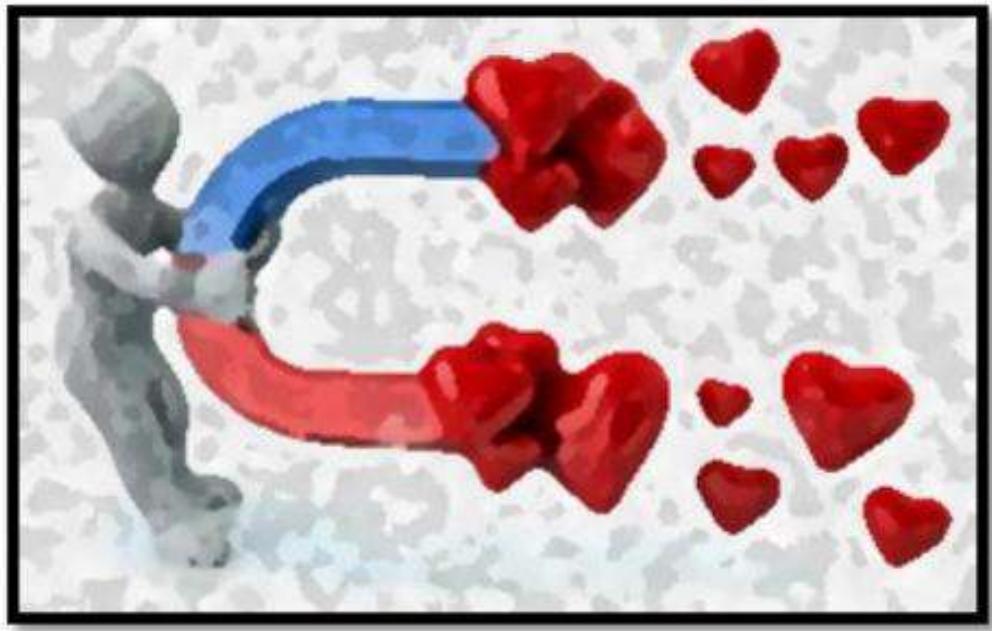
**(3) الابتسامة الثابتة :** فالابتسامة تذيب الجليد بينك وبين الآخرين و تعطي عنك انطباعاً بأنك لطيف و مسلم و تمنح الآخرين شعوراً بالراحة و الإيجابية و تزرع محبتك في قلوبهم ..

**(4) نظرية الحضن الدافئ :** عليك إشعار الطرف الآخر أنك ملاذ آمن له يدعمه في ضعفه و يتفهم شكوكه ، و ذلك بالإصغاء الجيد له و تكرار الإيماءة برأسك أثناء حديثه و استعمال عبارة ( أنا أفهمك ) من حين لآخر و استخدام لغة الجسد المعززة كالرمت على كتفه مثلاً .. و بالطبع الإطراء عليه من آونة أخرى ..

**(5) نظرية البئر العميق :** بدأنا مغالطتنا ببئر الكولا العميق و نخماها ببئر عميق آخر ، و هذه النظرية تنص

على قيامك بالبوح ببعض أسرارك غير الحساسة  
للطرف الآخر ، فذلك يشعره بأنه مهم بالنسبة لك ، و  
بأنك تعتبره مصدر ثقة مما يزيد ثقته بك بشكل  
انعكاسي و يعتبرك بئر أسراره فتفاقم محبته لك ..

أنجز هذا الخماسي بإتقان و أنا أضمن لك اكتساب  
محبة أي شخص من حولك خلال فترة قياسية !!!





**مُغَالِيَةٌ بِبِيكَاسُو**

**الْمُعَاوِظُ**

**(الْمُطَبِّبُ بِالْأَذْهَانِ)**



= باعتبارك طبيب يا صديقي ، أريد سؤالك عن سبب تغير لون هذه الكدمة في ساقي بعد اصطدامها بالباب من الأحمر إلى البنفسجي ، هل هذا طبيعي ؟

= بالطبع طبيعي .. و سيتغير لونها مجدداً عدة مرات = ولماذا يحدث ذلك ؟

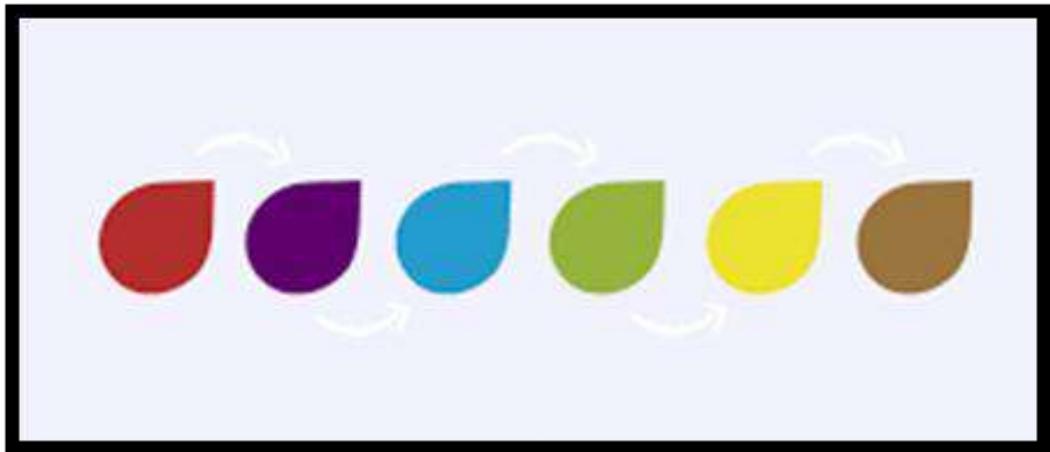
= لأن الكدمة عندما تتشكل تكون عبارة عن دم غني بالأكسجين بلونه الأحمر المعتاد ، و بعد يومين تقل نسبة الأوكسجين فيه فيتحول إلى اللون البنفسجي فالأزرق ..



= و بعد ذلك ؟

= بعدها يتحلل هيموغلوبين الدم ( الخضاب ) إلى مركب بيلفيردين الأخضر فيصبح لون الكدمة أخضر ..

ثم يتتحول هذا المركب إلى مركب البيلروبين الأصفر البني فيتحول لون الكدمة إلى اللون الأصفر فالبني .. و أخيراً يتم امتصاص كل المركبات في الكدمة و تتماثل للشفاء ليعود لون الجلد إلى الطبيعي ..



= و كأنّ بيكانسو يرسم لوحة فريدة على الجلد بألوانه الزاهية .. أنت تجعل من الرضّ عمل فني جميل !!  
ضحك الصديق ..

= تماماً ، في الحقيقة الكدمات ليست الحالة الطبية الوحيدة التي تتناوب فيها الألوان بمظهر فني مبهر ، بل هناك حالات أخرى كثيرة ..  
= حقاً !! مثل ماذا ؟

= تعال لأحدثك أكثر عن اللوحات الفنية المبهرة التي ترسمها الأمراض على لوحة الجسد البشري ..

\*\*\*\*\*

سبق لنا أن قاربنا الطب في مغالطتين حتى الآن ، و حاولنا من خلالهما إثبات أنّ الطب ليس علمًا جافاً و مضمراً مرتبط بالآلام و العذاب فقط ، بل هناك جانب شيق و ممتع منه قد يجهله كثيرون في مغالطة حقيقة شائعة بين الناس ، و كانت المغالطة بعنوان :

### ● الوجه الآخر للطب ..

### ● السرطان ..

و خلال الصفحات التالية سنتابع مهمتنا هذه في إثبات أنّ الطب علم شيق بأن نتطرق إلى حالات مميزة يتحوال فيها الجسد البشري إلى لوحات ترسم عليها الأمراض أجمل الأعمال الفنية .. فأملك عزيزي القارئ فرشاتك و هيأ بنا في مغامرة طبية فنية ممتعة ..

### ① لوحة صلبة العين :

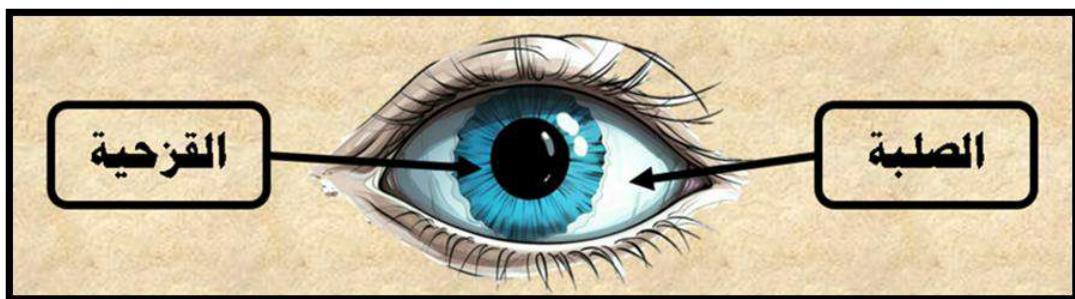
صلبة العين هي الجزء الأبيض منها الذي يحيط بالقزحية الملونة ، و بعيداً عن أن القزحية بحد ذاتها هي لوحة فنية مبهرة فنجدها زرقاء أو سوداء أو بنية أو خضراء أو عسلية .. فإن صلبة العين البيضاء بدورها قد تصبح لوحة فنية في بعض الأمراض فتتلون بألوان غريبة ..

### ✿ الصلبة الصفراء : و نجدها في حالة اليرقان الناجم

عن انحلال الدم أو أمراض الكبد حيث يتراكم مركب البيلروبين الأصفر في الجلد و صلبة العين و يمنحهما اللون الأصفر ..

✿ **الصلبة الزرقاء** : و نجدها في مرض يدعى تكون العظم الناقص و تكون فيه العظام هشة و سهلة الكسر من أبسط الرضوض ..

✿ **الصلبة السوداء** : و نجدها في مرض يدعى بيلة الألكابتون الناجم عن عوز أنزيم في الجسم فتتراكم مواد سوداء في الصلبة و صيوان الأذن و تمنحهما اللون الأسود ..



## ② لوحة الجلد :

بعيداً عن تنوع لون بشرة الجلد بين البشر و الأعراق من أسود و خلاسي و أسمر و حنطي و أبيض و أصفر و أحمر .. فإن الجلد قد يتلون بألوان إضافية بحسب الأمراض التي تصيبه فنجد مثلاً :

✿ **الجلد الأصفر** : في اليرقان مجدداً سواء باتحلال الدم أو في أمراض الكبد ..

- ❖ **الجلد البرونزي** : في داء الصباغ الدموي الذي يترسب فيه الحديد في الجلد و الأحشاء ..
- ❖ **آفات جلدية حمراء** : كالإكزيماء و الحمرة و الحمامى ..
- ❖ **آفات جلدية بنفسجية** : كالحزار المسطح ..
- ❖ **آفات جلدية بيضاء** : كالصداف ..
- ❖ **آفات جلدية عسلية ذهبية** : كالقوباء ..
- ❖ **آفات جلدية سوداء** : كالسعفات الفطرية السوداء ..
- ❖ **آفات جلدية بنية** : كالوحمات ..



### ③ لوعة بولية :

البول في العادة سائل أصفر اللون ، لكنه قد يتلون باللون مختلفة في بعض الأمراض ، فمثلاً نجد :

- ❖ **البول الأحمر** : في البيلة الدموية بسبب الأورام أو حصيات البولية أو تناول الأطعمة الصباغية كالشوندر

❖ **البول البرتقالي** : عند تعاطي دواء ريفامبيسين  
لعلاج السل ..

❖ **البول الأسود** : في مرض بيلة الألكابتون الناجم عن  
عوز أنزيم في الجسم ..

❖ **البول الأخضر** : في بعض الانتانات البولية أو  
تعاطي دواء إندوميتاسين أو بروبوفول ..

❖ **البول الأزرق** : في مرض بيلة الكلس العائلية ..

❖ **البول بلون الشاي** : في انحلال الدم ..



#### ④ لوحة هضمية :

البراز في العادة يأخذ اللون البني ، لكنه قد يتلون بألوان  
مختلفة في بعض الحالات المرضية ، فنجد مثلاً :

❖ **البراز الأحمر** : في النزف الهضمي السفلي كما في  
ال بواسير النازفة أو سرطان الكولون ..

❖ **البراز الأسود** : في النزف الهضمي العلوي كما في  
نزف القرحة المعدية أو العفجية ..

❖ **البراز الأبيض** : في انسداد الأقنية الصفراوية ..

و لا ننس أن نوعية الأطعمة التي نأكلها تصبغ البراز  
بألوان مختلفة أيضاً ..

## ⑤ لوحة بصرية :

في الحالة الطبيعية يرى الإنسان المحيط من حوله بألوانه المتنوعة الحقيقة ، لكن هنالك حالات مرضية تتغير فيها هذه القاعدة فيرى الإنسان كل شيء بلون واحد كما في تعاطي بعض الأدوية :

✿ **الرؤية الزرقاء** : عند تعاطي دواء سيلدينافيل ( فياغرا ) الخافض للضغط و المقوي الجنسي ..

✿ **الرؤية الصفراء** : عند تعاطي دواء ديجوكسين المقوي للقلب ..

و لا ننس أيضاً مرض عمى الألوان التي يعجز فيه المريض عن رؤية ألوان محددة ..

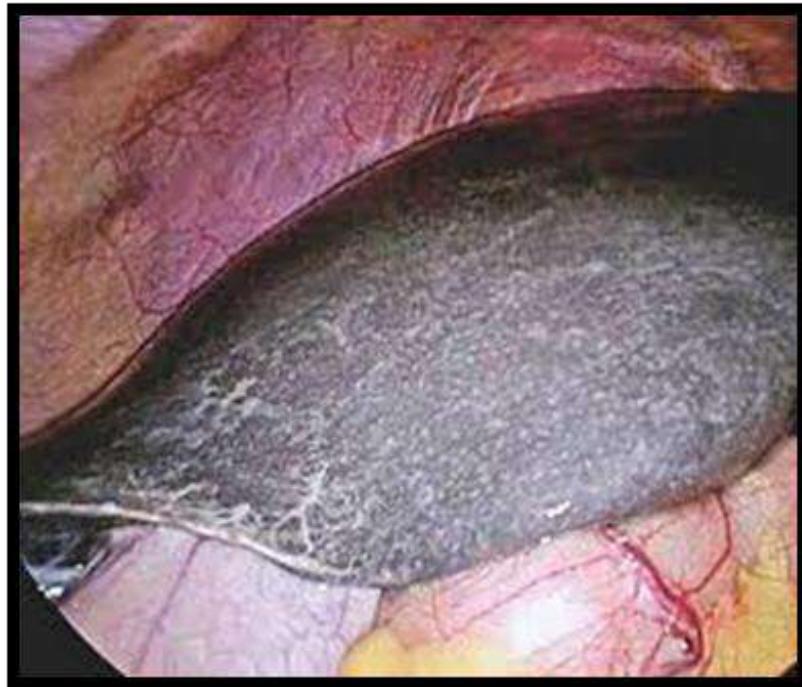


## ⑥ لوحات جسدية متفرقة:

أعضاء الجسم و مفرزاته تأخذ عادة ألوان محددة معروفة ، لكننا نجد تغييراً هذه الألوان في حالات مرضية كثيرة فنجد مثلاً :

❖ **الدمع البرتقالي**: عند تعاطي دواء السلّ ريفامبيسين

❖ **الكبد الأسود** : في مرض دوبن جونسن الناتج عن عوز أنزيم معين في الكبد فيتراكم الصباغ فيه ..



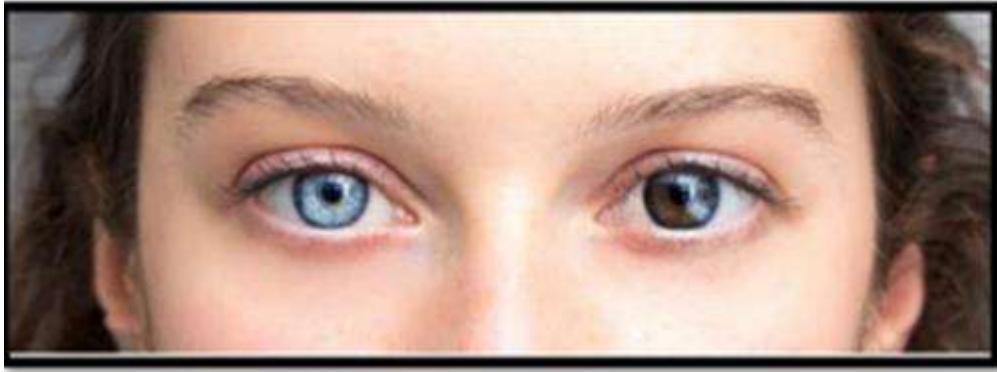
❖ **الأنسان الزرقاء** : في التسمم بالرصاص أو بدواء تتراسيكلين ..

❖ **البنكرياس البرونزية** : في داء الصباغ الدموي الذي يترسب فيه الحديد في البنكرياس و القلب و الكبد ..

❖ **الطفل الرمادي** : عند تعاطي الأم أو الرضيع

لدواء كلورأمفينيكول ..

❖ عينان بلونين مختلفين : في مرض هيتروكروميا فنجد عين سوداء و أخرى زرقاء عند نفس الشخص مثلاً !!



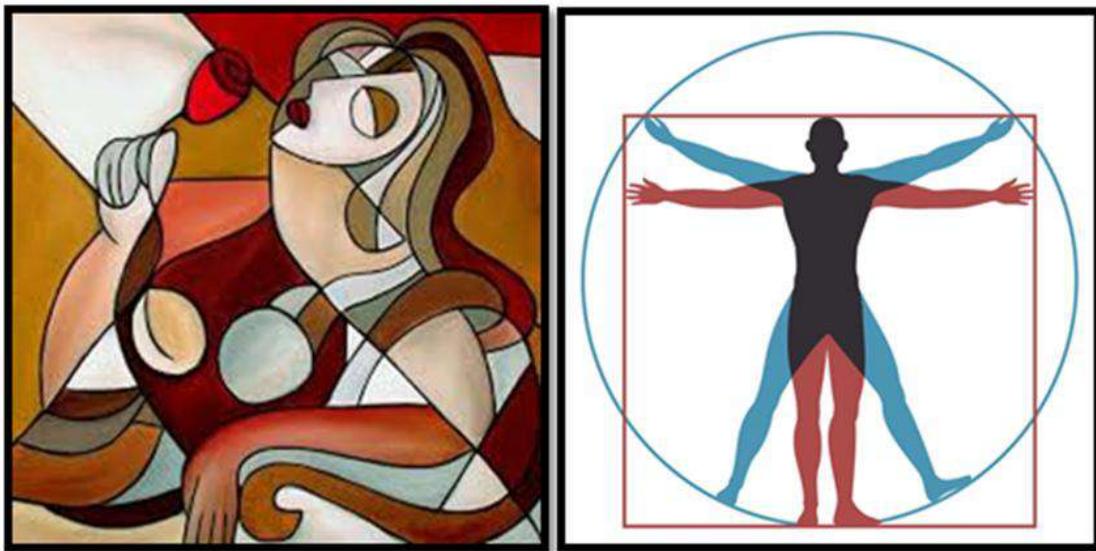
❖ مرض المهق : و فيه يغيب صباغ الميلانين في الجلد و الشعر و قزحية العين فتظهر كلها بلون أبيض باهت ..

❖ الظفر الأخضر : و نجده في الإنستان بجرائم البسودوموناس ..

## ⑦ الفن التكعبي في الجسد البشري :

اشتهر الرسام الإسباني بابلو بيكاسو بالفن التكعبي الذي يرسم الأشياء على هيئة أشكال هندسية ، و لعل أجمل لوحة تكعيبية في الكون هي الجسد البشري نفسه الذي تحد فيه كل الأشكال الهندسية مع بعضها في لوحة واحدة مذهلة ، فنجد الأطراف و الأصابع الأسطوانية ، و القلب و المثانة المخروطيين ، و العين

و الرأس الكرويين ، و الخصية و المبيض البيضويين ، و غدة الكظر و الرئة الهرميّتين ، و القزحية الدائريّة و الأظافر شبه المنحرفة و راحة اليدين المربعة و أخمص القدم المستطيل و الأنف المثلثي ، و الأوعية الدمويّة الأنبوبيّة و صيوان الأذن الحلزوني و غيرها .. كما نجد التناظر بادٍ في اللوحة بشكل فريد لا تشوبه شائبة ..



## ⑧ ألوان الجسد الزاهية :

في لوحة *الجسد البشري* استخدم الفنان الأعظم في الكونين الأكبر والأصغر ( الله ) كل الألوان التي تخطر في خيالك فنجد الدماء و العضلات الحمراء ، و غدة الكظر البرتقالية ، و النسيج الشحمي الأصفر ، و المادة البيضاء و الرمادية للجهاز العصبي ، و الحدقة السوداء و النوى القاعدية السوداء للدماغ ، و القزحية و الشعر و الجلد التي يختلف لونها من إنسان إلى آخر ، و نجد المف الأخضر و الأوردة الزرقاء ، و الكبد و

الكليتين و الشامات البنية ، و الأعضاء التناسلية الزهرية ، و غيرها و غيرها ..



## ⑨ العلاج بالألوان :

بدأ الاهتمام بالعلاج بالألوان عندما وضح ابن سينا أهمية الألوان في التشخيص والعلاج في كتاب القانون في الطب، إذ قال أن الألوان قد تعكس أعراض بعض الحالات الصحية، ثم وضح المعالجون في القرن 19 أن الفلاتر الزجاجية الملونة قادرة على معالجة العديد من الأمراض تأكيداً لكلام ابن سينا .. ثم جاء بعد ذلك مصطلح البيولوجيا الضوئية ليحل محل مصطلح العلاج بالألوان، ليوضح أن البيولوجيا الضوئية والعلاج

بالضوء لا يقونان على أساس الرمزية والسر، بل هو علم قائم بذاته يستخدم ضوءاً عالياً الكثافة لعلاج بعض اضطرابات النوم، و اضطرابات المزاج.

تتمتع الألوان بصفات نفسية مختلفة، فتُعد الألوان الدافئة مثل: الأحمر، والبرتقالي، والأصفر الواناً مزودة بالطاقة، في حين تعتبر الألوان الباردة مثل: الأزرق، والنيلي، والبنفسجي الواناً مهدئاً.. ويقع **اللون الأخضر** في المنتصف ليُعد اللون الموازن بين الألوان الدافئة والباردة.. وسنوضح في ما يلي دور الألوان المختلفة في علاج الحالات المرضية :

✿ **النيلي** : مفيد لعلاج أمراض العينين والأذنين والأ NSF ..

✿ **البرتقالي**: يفيد في علاج الاكتئاب وهو منشط عام ، و مضاد للإحساس بالهبوط ، الفتور والنعاس والاضطهاد واليأس، و كافة المشاعر السوداوية.

✿ **الأسود**: يحرض على النعاس و النوم لمرضى الأرق ..

✿ **البنفسجي**: يقوى عضلة القلب وينظم حركة الحجاب الحاجز ..

✿ **الأحمر**: كونه لون الطاقة والحيوية ، فإنه يرتبط بالدورة الدموية والتنفس، يساعد في تنظيم ضغط الدم

ويحافظ على صحة القلب ونشاطه.

✿ **الأزرق**: لون الهدوء والاسترخاء والسلام، يساعد في تخفيف الحمى والبرد والسعال والصداع..

✿ **الأصفر**: يشير اللون الأصفر إلى السطوع ويقوى الجهاز الهضمي والتمثيل الغذائي ..

✿ **الأخضر**: أكثر الألوان تأثيراً على الجهاز العصبي يفيد في حالات توتر الأعصاب و لتسكين الآلام ..

بالطبع العلاج بالألوان غير مثبت علمياً بل علم قائم على التجربة و التسجيل لا أكثر بدون براهين واضحة لكن من المناسب الإشارة إليه في سياق مغالطتنا !!



\*\*\*\*\*

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة الطبية الفنية  
(**بيكاسو والأمراض**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الطب مضجر و بلون واحد قائم من معاناة و ألم و  
مرض و موت ..

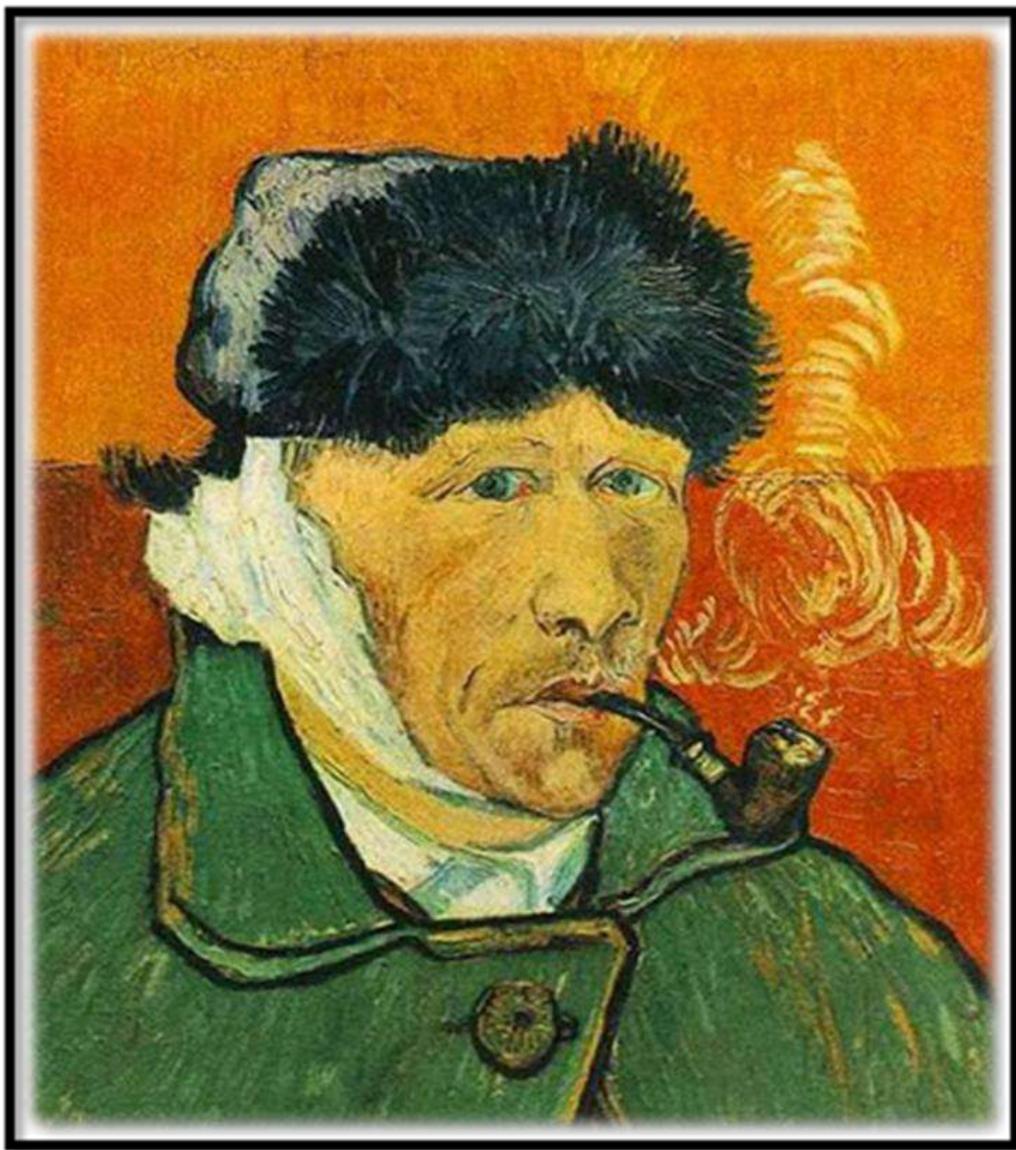
بل أن نقول :

= الطب علم ممتع و شيق و مزدان بألوان الطيف كلها ،  
و الجسد البشري أعظم لوحة فنية رسمت في التاريخ  
بيد فنان لا يشق له غبار ..

الطب و الفن عالمان متصلان بقوة ، لذا لا عجب أن  
نجد كثيراً من الرسامين اهتموا بتشريح الجسد البشري  
و عالمه الساحر كحال **ليوناردو دافنشي** ، كما لا عجب  
أن نجد أن كثيراً منهم عانى من حالات مرضية أثرت  
على أعماله الفنية كحال **فان كوخ** الذي كان يعاني من  
الرؤية الصفراء جعلت اللون الأصفر طاغ على لوحاته  
، كما عانى من مشاكل نفسية جعلته يقطع أذنه و  
يرسلها إلى محبوبته ..

أو **سلفادور دالي** الذي عانى من اضطرابات نفسية  
عميقة ظهرت في أعماله بسريالية مذهلة و **بيكاسو**  
الذي كما أسلفنا استشعر الفن التكعيبى في الجسد  
البشري فحوله إلى أسلوب رسم قائم بحد ذاته و غيرهم  
كثير كثير ، و آمل أن تكون هذه المغالطة قد ألقت

بظلال فنية شاعرية على روبيتك للطب و أمراضه و  
تشريحه ..





٢

شُنَاحُ بِنْ شُنَاحٍ مُرْضِيٌّ بِنْ شُنَاحٍ

( مَنْ أَعْرَضَ نَعْرَفُ الْمَرْضَ )



= كيف حالك يا صديقي ؟

= نشكر الله و نحمده على كل حال .. أعاني من ألم في البطن منذ أمس .. لذلك اتصلت بك و طلبت منك المجيء .. فأنت طبيب و يمكنك مساعدتي على التشخيص ..

= بالطبع ، أنا في خدمتك .. أين يقع الألم أولاً ؟

= قلت لك في البطن ..

= فهمت ، لكن أين بالضبط أعلى ، وسط ، أسفل ؟

= في الخاصرة ..

= و هل هو ألم مستمر أم يأتي و يذهب ؟

= يأتي و يذهب ..

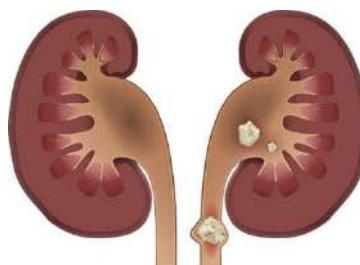
= هل ينتشر الألم إلى أي مكان آخر ؟

= أجل إلى الأعضاء التناسلية ..

= و هل هنالك دم في البول ؟

= نعم ، لونه أحمر قليلاً ..

= إذن فالتشخيص واضح .. أنت تعاني من حصيات بولية في الحالب و المثانة هذا يدعى القولنج الكلوي ..



= هكذا ببساطة ، تشخيص بدون صور أو تحاليل ..

= بالطبع .. الصور و التحاليل تؤكد التشخيص البدئي  
لا تشخيص بنفسها ..

= من حظي الجيد أن صديقي طبيب ..

= في الحقيقة تشخيص أغلب الأمراض لا يحتاج إلى طبيب ، بل يمكن لأي إنسان أن ينجزه ..

= مستحيل !!؟

= بل واقع حقيقي .. الآن عليك الذهاب إلى المشفى  
كي يعالجوأ المك و يحددوا مكان الحصيات بدقة و  
بعدها سأهديك كتيباً صغيراً ، يساعد أي إنسان على  
تشخيص

أغلب الأمراض بمنتهى البساطة ..

= شوقتني على قراءته بالفعل .. أشكرك على مساعدتك  
و دعمك .. هيا بنا إلى المشفى إذن ..

\*\*\*\*\*

## اسأل مجرّب ولا تسأل طبيب ..

عبارة شائعة في كل المجتمعات و نعرفها جمِيعاً ، و في  
الحقيقة هي تتطوّي على صحة و واقعية لأبعد الحدود  
.. فتشخيص الأمراض ليس حكراً على الأطباء فقط كما  
هو سائد بين الناس كمغالطة جديدة تستحق أن نقاربها

بشدة .. بل يمكن لأي إنسان لديه خبرة مقبولة و معلومات جيدة أن يشخص الأمراض - الشائعة منها على الأقل - بحيث يساعد المريض على التوجّه نحو الخطوة الثانية المثالية التي تنفعه.

و خلال الصفحات التالية سنتعرّف سوياً عزيزي القارئ على طريقة بسيطة لتشخيص أشيع الأمراض بناءً على الأعراض التي يشتكي منها المريض لا غير ، فهيا بنا في هذه المغامرة الطبية الشيقة ..

## ✿ الصداع :

- **صداع توّري :** إذا كان على شكل رباط ضاغط على محيط الرأس و مترافق مع التوتّر والإجهاد الجسدي أو النفسي ..
- **صداع ارتفاع توّر شرياني :** إذا تركز في مؤخرة الرأس ..
- **صداع الشقيقة :** إذا كان نابضاً في نصف الرأس فقط مع غثيان و انزعاج من الصوت والضوء ..
- **الصداع العنقودي :** إذا تركز في عين واحدة و ترافق مع سيلان دمع من العين و منخر الأنف ..
- **صداع النزف تحت العنكبوتى :** صداع مفاجئ داخل الرأس يوصف بأنه أقوى صداع ممكّن أن يجربه

الإنسان في حياته ..

● صداع ارتفاع الضغط داخل الجمجمة : إذا ترافق الصداع مع أقياء & اضطراب في الرؤية المحيطية & ارتفاع توتر شرياني & تباطؤ نبض القلب & تنفس غير منتظم ..



### ✿ **الألم الصدرى :**

● **قلبي المنشأ ←**

= نقص تروية قلبية : ألم ضاغط على الصدر ينتشر إلى

الفك و الذراع الأيسر مع غثيان ..

= التهاب تامور : ألم في موضع القلب يزداد بالاستلقاء

و يخف بالجلوس و الانحناء إلى الأمام ..



### ● هضمي المنشأ ←

- = قلس معدى مريئي : شعور بالحرقة عند الاستلقاء ..
- = تشنج مري منتشر : ألم صدرى ضاغط مترافق مع عسرة بلع ..

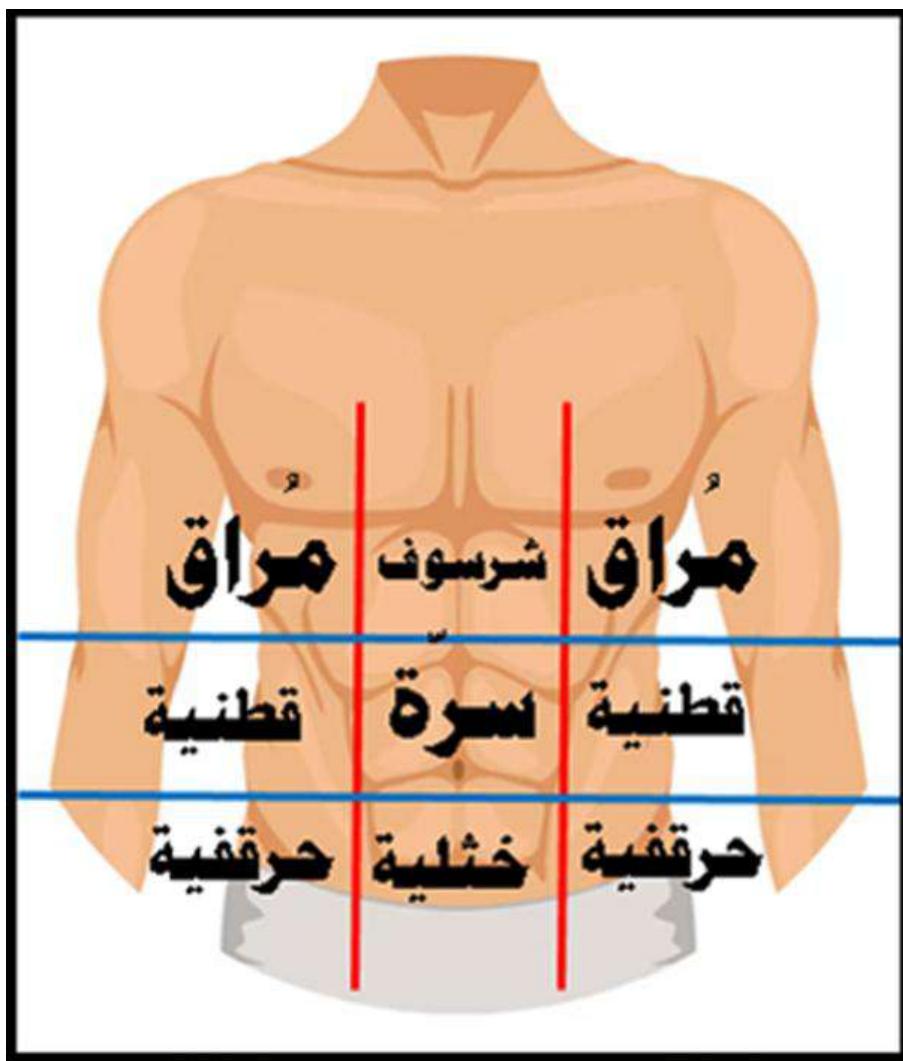
### ● تنفسى المنشأ ←

- = التهاب جنب : ألم في جهة من الصدر يزداد بالتنفس العميق و السعال و العطاس ..
- = صمة رئوية : ألم صدرى مترافق مع تسرع نبضات القلب و صعوبة في التنفس ..

### ● وعائي المنشأ ← تسلخ أبهر : ألم يشبه طعنة السكين ينتشر إلى الظهر & اختلاف قيمة الضغط الشريانى بين الطرفين العلويين ..

● **جداري المنشأ** ← عضلي أو عظمي ← يزداد بالحركة & بالضغط عليه و لا يترافق مع أعراض أخرى ..

## ✿ **الألم البطني** :



● ألم شرسوفي متعلق بالطعام ← التهاب معدة أو قرحة هضمية ..

● ألم شرسوفي منتشر للظهر ← التهاب بنكرياس حاد أو سرطان بنكرياس ..

- ألم مراق أيمن منتشر للكتف الأيمن ← التهاب مرارة
- ألم مراق أيسر منتشر للكتف الأيسر ← تمزق طحال
- ألم حرقفي أيمن ← التهاب زائدة دودية
- ألم حرقفي أيسر ← التهاب رتوج كولونية
- ألم وسط البطن طاعن كالسكين بدون أعراض أخرى ← احتشاء شريان مساريقي حاد ..
- ألم قطني منتشر إلى الأعضاء التناسلية مع دم في البول ← حصيات بولية ..
- الألم خثلي متراافق مع حرقة في البول ← التهاب مثانة

### **❖ ضعف عضلات الحوض والكتف :**

- وهن عضلي وخيم ← يبدأ الضعف من عضلات العين وينزل إلى الأسفل ..
- كوشينغ (ورم غدة الكظر المفرز لكورتيزول) ← يتراافق الضعف العضلي مع بدانة في الجذع & تشكل حبة شحمية خلف العنق & شقوق أرجوانية على البطن ..

● فرط نشاط الدرق ← يترافق الضعف العضلي مع شعور زائد بالحرارة & تعرق غزير & خفقن قلب & رجفان يدين & إسهال ..

● التهاب عضلات ← يتركز الضعف في الكتف و الحوض و لا يترافق مع أعراض أخرى ..

● الحثول العضلية ← يظهر الضعف في الطفولة حيث يعجز الطفل عن النهوض من الأرض إلا بمساعدة اليدين

● فرط الكالسيوم ← يترافق الضعف مع إمساك و بوال

● بسبب أدوية خاصة ( ستاتين & كينولون & ستيروكوريد )



## ✿ تنمیل الیدین و/or القدمین :

- مترافق مع فقر دم ← اعتلال أعصاب بنقص فيتامين B12 ..
- مرتبط بالتقدم بالعمر و الأعمال اليدوية & تنمیل الیدین فقط ← متلازمة نفق الرسغ ..
- مترافق مع مشكلة في النظر & أعراض عصبية متنوعة من شلل و فقدان حس ← تصلب لويحي MS
- يزداد عند تحريك الطرف كالمشي ← نقص تروية الطرف بسبب انسداد الشريان بخثرة أو عصيدة شحمية
- مترافق مع البدانة أو قصة حمل ثقل & ألم أسفل الظهر ينتشر إلى الأسفل ← انضغاط جذور عصبية بدبيسك أو انقراض فقرات ..
- مترافق مع بوال و عطش زائدin ← داء سكري ..

## ✿ الإسهال :

- مائي ← برد أو انتان فيروسي أو كوليرا ..
- مخاطي ← طفيلييات و أولي ..
- جرثومي ← إسهال كريه الرائحة & إقياء & ألم

بطني & حمّى ..

### ● شحمي (رغوي) ←

= داء زلاقي (شاب) : تحسس على القمح ..

= قصور بنكرياس مزمن (كهل) : سوابق التهاب بنكرياس حاد ..

= افات سادة للأقنية الصفراوية في الكبد : يرقان & براز بلون أبيض & حكة منتشرة في الجسم ..

● أثر جانبي لبعض الأدوية (صادات & مضادات حموضة & مضادات اكتئاب) ..

● مرضي ← متلازمة الأمعاء الهيوجة (نفخة بطنية & التهاب كولون قرحي (إسهال دموي) & عدم تحمل اللاكتوز في الحليب (تحسس من الطفولة) & فرط نشاط الدرق (رجفان اليدين & خفقان القلب) متلازمة الكارسينوئيد (توهج الوجه & تشنج قصبات) & ورم مفرز للغازتين (زيادة حموضة المعدة) ..

### ✿ الإمساك :

● حمية فقيرة الألياف & قلة شرب الماء & قلة الحركة ..

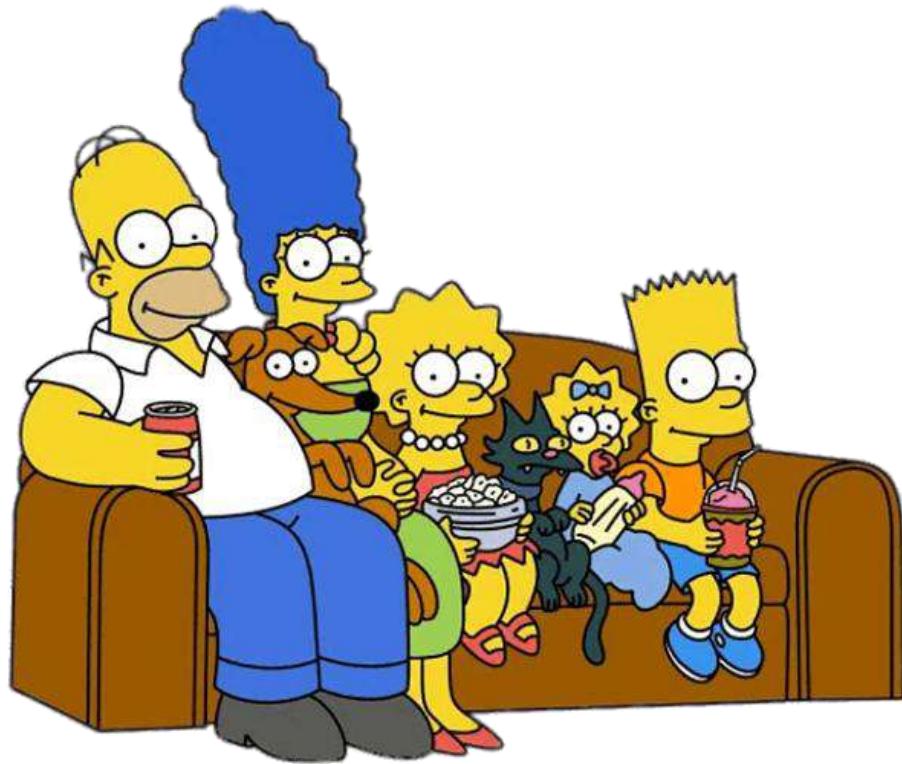
● قصور الدرق ← شهور بالبرد الزائد & جفاف

**الجلد & تباطؤ القلب & تساقط الشعر خاصة في  
الحواجب ..**

- **فرط كالسيوم ← ضعف عضلات & بوال زائد ..**
- **انسداد الأمعاء بسبب ورم أو انتفاخ أو كتلة برازية  
متحجرة ← إمساك تام لأكثر من يومين & ألم بطني ..**
- **داء سكري ← بوال زائد و جوع و عطش زائدين**
- **داء باركنسون ← تجمد تعابير الوجه & صعوبة  
الحركة & رجفان اليدين خلال الراحة ..**
- **أثر جانبي لبعض الأدوية ( مضادات حموضة &  
مضادات اكتئاب & مضادات الصرع & مدرات &  
أدوية الضغط & حاصرات الهيستامين & المسكنات &  
الحديد و الكالسيوم )**



## ✿ اليرقان : و هو اصفرار الجلد و صلبة العين ..



- التهابات الكبد الفيروسية ← غثيان و تعب عام
- يرقان & ألم قولنجي في المراق الأيمن ← حصاة قناة جامعة ..
- التهاب طرق صفراوية انتاني ← يرقان & حمى & ألم مراق أيمن ..
- تشمع كبد ← يرقان & وذمات & تطاول زمن النزف من الجروح ..
- انحلال دم ← يرقان & تلون البول بلون الشاي ..

## ✿ طنين الأذن :

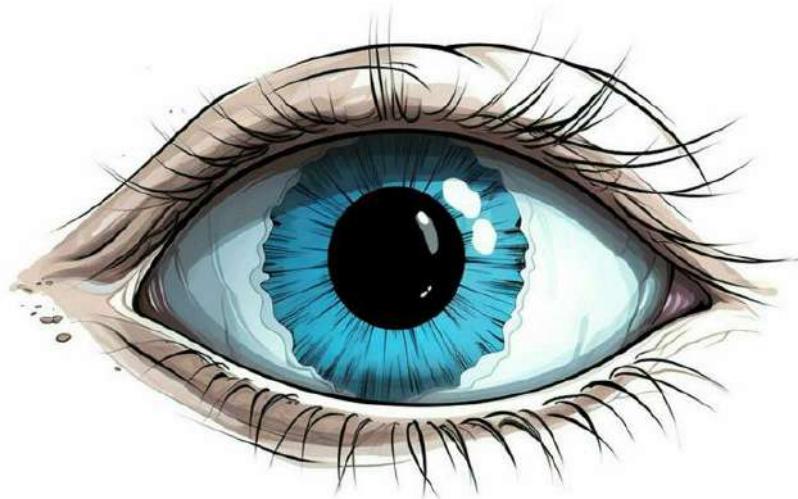
- قم ببني الأسباب الشائعة ← ضوضاء & رض على الأذن ..
- داء مونير ← طنين & نقص سمع & دوار ..
- أثر جانبي لدواء الأسبرين ← طنين مع استعمال مزمن للأسبرين ..
- ورم العصب السمعي ← طنين & اضطراب توازن & صداع & غثيان ..



✿ **أعراض عينية:** وذكر منها الحالات الإسعافية التي يجب علاجها على الفور قبل أن تسبب العمى ..

● الزرق الحاد : ألم في العين & احمرارها & دماع منها

● انفال الشبكية : لا ألم & لمعان & رؤية ستارة تغطي جزء من العين ..



### ✿ تساقط الأشعار :

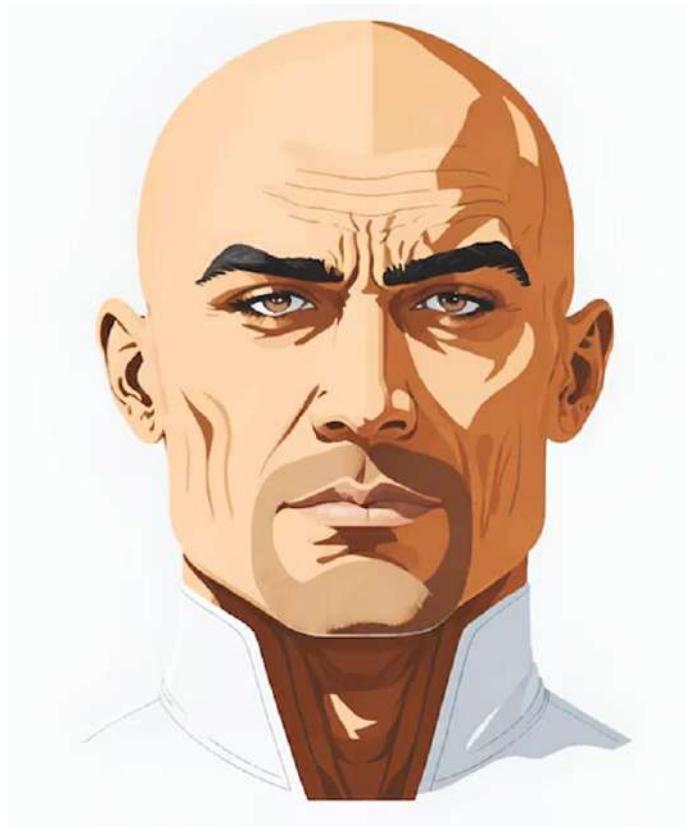
● وراثي عند الذكور ← صلع جبهي من الأمام & قصة عائلية للصلع ..

● حاصة بقعية (الثعلبة) ← آفة محددة الحواف خالية من الشعر في الفروة أو اللحية ..

● ارتداء جوارب ضاغطة لفترة طويلة من الزمن ← تساقط شعر الساقين ..

● قصور الدرق ← شعر هش يتتساقط بسهولة خاصة أشعار القسم الوحشي للحاجبين ..

- نقص هرمون الذكورة ( تستوسترون ) ← تثدي & تساقط شعر العانة و الإبطين & نعومة الصوت ..
- زيادة هرمون الأنوثة ( الاستروجين ) كما في البدانة & قصور الكبد ← بدانة واضحة أو أعراض قصور الكبد من وذمات و تطاول زمن النزف من الجروح أو اليرقان ..



## ✿ السعال :

### ① سعال منتج لقشع ←

- التهاب قصبات مزمن ← لا حمى & سعال مستمر أكثر من ٣ أشهر & تدخين & وجه أزرق ..

● نفاخ رئوي ← صدر برميلي الشكل & تدخين & وجه زهري ..

● توسع قصبات ← نفث دم & تقرط أصابع (تضخم نهاياتها ) & قشع غزير ..

● ذات رئة ( إنتان رئة بالميكروبات ) ← حمى & صعوبة تنفس ..

## ② سعال جاف ←

● التهاب قصبات حاد ← قصة زكام & لا حمى ..

● تأليف رئوي ← صعوبة تنفس شديدة ..

● أثر جانبي لدواء مثل حاصرات الأنزيم القالب كدواء كابتوبيريل الشهير الخافض للضغط الشرياني ..

## ③ سعال مع دم ←

● صمة رئوية ← تسرع قلب & صعوبة تنفس & غالباً قصة استلقاء مديد بسبب عملية جراحية أو إصابة بالتهاب الأوردة الخثري العميق في الطرفين السفليين ..

● وذمة رئة ← قصة قصور قلب & صعوبة تنفس شديدة

● سل ← حمى عالية & تعرق غزير & نقص وزن

● ورم رئبة أو حنجرة ← نقص وزن & فقدان شهية  
& تقرط أصابع ..

● حالات نادرة ( حبيوم فاغنر & متلازمة غوود باشترا ) ← سعال مدمى & بيلة دموية ..



### ✿ زيادة الوزن :

- الأكل الزائد & قلة التمرین ..
- التوتر & القلق & قلة النوم ..
- أثر جانبي لبعض الأدوية ( بعض أدوية السكري و الضغط & مضادات الاكتئاب & مضادات الصرع & الأدوية النفسية ) ..

- قصور درق ← إمساك & برودة و جفاف الجلد ..
- ورم غدة الكظر ← بدانة جذعية & حبة شحمية خلف العنق & شقوق أرجوانية في البطن ..
- الاقلاع عن التدخين ..



## ❖ نقص الوزن :

- الحمية ..
- أثر جانبي لبعض الأدوية خاصة دواء الداء السكري الميتفورمين ..
- الداء السكري ← بوال & عطش & جوع دائم ..
- فرط نشاط درق ← إسهال & حرارة الجسم &

رجفان اليدين ..

● قصور غدة الكظر ← اغماق لون راحتي اليدين &  
نوب من الألم البطني ..

● السرطانات ..

● أمراض منهكة ( قصور قلب & قصور كلية ... ) ..

● أسواء الامتصاص من الأمعاء كالداء الزلاقي ←  
إسهال مزمن شحمي رغوي عند شاب ..

● السل ← سعال مدمى & تعرّق غزير ..



## ✿ التعرّق الزائد :

● الجوّ الحارّ و الرطب ..

- حمى أياً كان سببها ..
- أورام الدم ← لمفوما & ابيضاضات ..
- ساركوفيد ← آفات حمامية حمراء على الجلد & التهاب عين & مشاكل رئوية ..
- سل او مالاريا ← في الأماكن الموبوءة بها ..
- فرط نشاط الدرق ← إسهال & رجفان يدين ..
- إياس عند النساء ( انقطاع الطمث ) ..
- ورم القواسم المفرز للأدرينالين من غدة الكظر ← نوب من الغضب & خفقان القلب & الشحوب ..
- نقص سكر الدم ← غشاوة على البصر & دوخة & جوع زائد ..



## ✿ تطبل البطن ( النفخة ) :

- الأكل بسرعة ..
- التدخين ..
- البرد ..
- متلازمة الأمعاء الهيوجة ( تشنج الكولون ) ..
- متلازمة ألفاريز ( تطبل بطن دون وجود غازات من منشأ نفسي ) ..
- عسرة الطمث ( آلام شديدة في الأيام الأوائل من الدورة الطمثية ) ..
- أسواء الامتصاص كالداء الزلaci ( إسهال مزمن شحمي رغوي عند شاب ) ..



## ✿ رائحة النفس الغريبة :

- رائحة كريهة ← الشخير & مشاكل الفم و الأسنان  
& رتج زنكر في البلعوم عند المسنين & مشاكل معدة  
& انتانات تنفسية ..
- رائحة غريبة مميزة ← أدوية كالنترات و  
الفيتامينات و العلاج الكيماوي ..
- رائحة الفواكه ← حماض كيتوني في الداء السكري
- رائحة الحلوى المتعفنة ( نفث الموتى ) ← قصور  
كبد
- رائحة السمك أو البول ← قصور كلية



## ❖ مشاكل في التبول :

- عسرة التبول ← التهاب مثانة & ضخامة بروستات
- بوال زائد ← سكري ( عطش و جوع زائدين )  
= بوال تفه ( استمرار البوال رغم الامتناع عن شرب السوائل )  
= فرط كلس الدم ( إمساك & ضعف عضلات )
- إلحاقيه ( حاجة دائمة للتبول ) ← انتانات بولية & ضخامة بروستات & ورم مثانة & سكري & حمل & قلق & كحول و كافيين & حصيات مثانية & شلل مثاني  
← بيلة دموية ●
- ◎ بدون أعراض ← سرطان كلية  
◎ مع أعراض ←
- = ألم قولنجي منتشر للأقناد ← حصيات كلوية
- = ألم خاصري أو ظهري ثابت & ارتفاع توتر شريانى ← كيسات كلوية
- = ألم خاصري & قلة/انقطاع بول ← نخر قشرى

منتشر

= حمى & طفح جلدي ← التهاب كلية خلالي



### ✿ تسرع التنفس :

● أسباب قلبية ← قصور قلب أيسر & تضيق دسام تاجي

← تزداد صعوبة التنفس عند الاستلقاء على الظهر ..

● أسباب صدرية ← ذات رئة (حمى) & ريح صدرية (قصة رض على الصدر) & صمة رئوية (خفقان قلب)

● أسباب دموية ← فقر دم (شحوب الأغشية المخاطية للعين و الفم & تعب شديد) ..

### ✿ وذمات في الجسم :

● قصور قلب ← وذمات في الكاحلين ..

● تسمع الكبد & متلازمة كلوية نفروزية ← وذمات معممة في كل الجسم ..

● قصور الكلية ← وذمات في الأجهان ..

### ❖ رجفان اليدين :

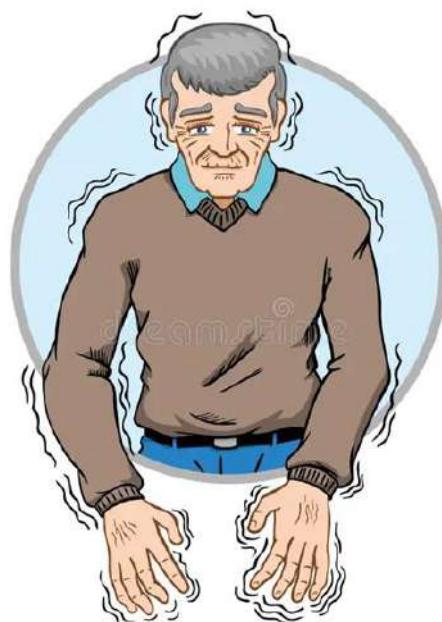
● رجفان يحدث خلال الراحة ←

= مرض باركنسون ( صعوبة الحركة & تجمد ملائم الوجه ) ..

= رجفان أساسي ( عمر متقدم & لا أعراض مرافقة )

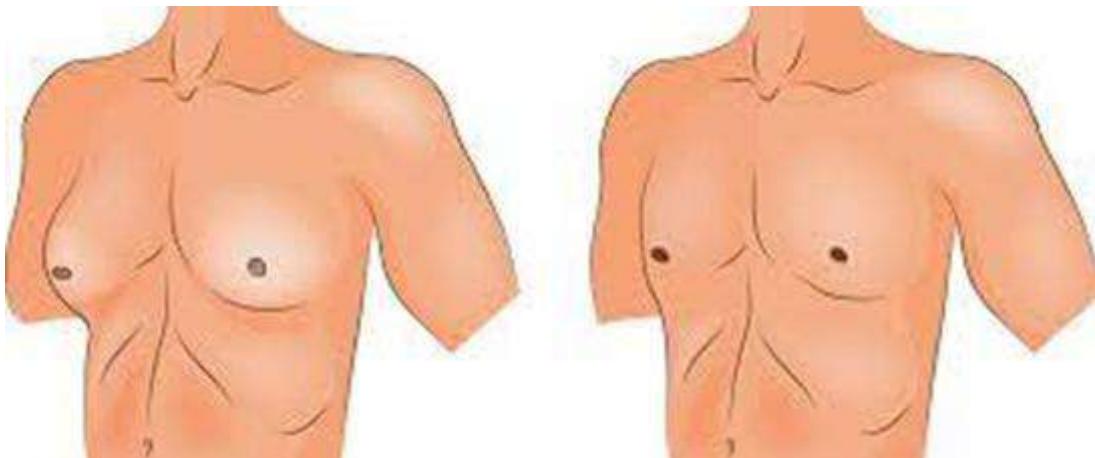
● رجفان قصدي يحدث عند بدء حركة اليدين ←  
أذية المخيخ ( يترافق مع رنح الجسد ) ..

● رجفان خافق كرفرفة جناحي الطير ← فرط أمونيا الدم في قصور الكبد ..



## ✿ التئدي :

- فيزيولوجي ( طبيعي ) ← أطفال & مسنين ..
  - وراثي ..
  - بدانة ..
- تشمغ كبد ← وذمات معمرة & تطاول زمن النزوف من الجروح & يرقان ..
- قصور الخصية ← تساقط شعر العانة و الإبط & نعومة الصوت ..
- أثر جانبي لبعض الأدوية خاصة ( سيميتيدين & سيرونولاكتون & كيتوكونازول ) ..



## ✿ التهاب مفاصل :

- التهاب مفاصل رثياني ← مفاصل الأصابع في اليدين & تشوہات خاصة & ألم يخف بالحركة و يزداد

بالراحة ..

● التهاب عظام و مفاصل → مريض متقدم بالعمر غالباً & بدين غالباً & عقيدات على مفاصل الأصابع & ألم يخف بالراحة و يزداد بالحركة ..

● التهاب مفاصل مرافق للذئبة الجهازية → فتاة غالباً & طفح يشبه الفراشة على الوجه & قصور كلوبي & اضطرابات نفسية ..

● التهاب مفاصل سلبي المصل → شاب ذكر غالباً & ألم قطني عجزي أسفل الظهر & صعوبة الانحناء للأمام ..

● حمى رثوية → طفل غالباً & قصة التهاب بلعوم سابق & التهاب المفاصل منتقل من مفصل لآخر ..

● التهاب مفصل انتاني → تورم المفصل & ألم شديد بالضغط على المفصل & احمرار المفصل & حمى ..

● النقرس → تورم إيهام القدم الكبير بشكل نوب متكررة



هذه كانت أشيع الأعراض التي يشتكي منها الإنسان في حياته ، و أصبح بإمكانك الآن عزيزي القارئ عند ظهور أي عرض منها عليك أو على من تحب ، أن تراجع الأسباب و تطابقها مع العرض الذي تعاني منه حتى تصل إلى التشخيص الصحيح دون الحاجة إلى طبيب .. !!

\*\*\*\*\*

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة ( **شخص مرضك بنفسك** ) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

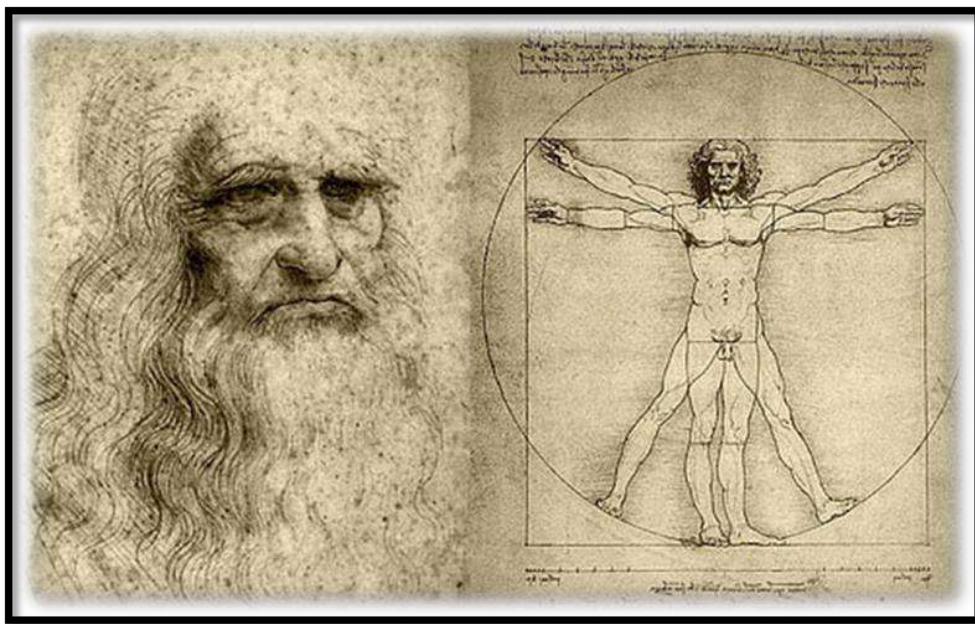
= تشخيص الأمراض حكر على الأطباء فهم من يمتلكون شهادة لمواولة المهنة ..

بل أن نقول :

= لا غنى عن الأطباء بلا شك فهم من يصفون العلاج المناسب في النهاية ، لكن يمكن لأي إنسان غير مختص بالطب أن يشخص مرضه بنفسه بربط الأعراض التي يشتكي منها مع المرض المناسب و المطابق بحيث يعرف كيف يتعامل مع حالته و إلى أي طبيب يجب أن يذهب لاستكمال العلاج ..

قبل بضعة عقود من الآن لم يكن هنالك جامعات تمنحك شهادات في اختصاصات معينة .. و كان يمكن لمن

يريد أن يختص بمجال محدد و أن يعمل به لاحقاً بعد أن يكتسب الخبرة فيه .. فالاطباء وقتها كانوا أناساً عاديين طوروا خبرات و معارف جيدة في الطب لا أكثر ، و هذا يؤكد بأنه يمكن لأي إنسان أن يفعل ذلك ببعض الاطلاع و المعرفة .. **فليوناردو دافنشي** مثلاً أبدع في الفيزياء و الطب و الرسم و النبات و الفلك و الرياضيات و رسم الخرائط و غيرها .. و هو لم يحصل شهادات تخلوه فعل ذلك ، بل بذل جهداً كبيراً كي يترك لنفسه بصمة مهمة في هذه المجالات استمرت لقرون لاحقة ..



و يمكنك عزيزي القارئ إن لم تكن طبيباً أن توسع دائرة معلوماتك الطبية أكثر بحيث تنجح في تشخيص الأمراض و توجيه المرضى في الدائرة من حولك إلى الاتجاه الصحيح ، و آمل أن تكون هذه المغالطة خطوة مساعدة لك في مغامراتك الشيقة هذه كأول حجر في

ملكناك الطبية المستقبلية ، فالطب عالم ممتع و سهل الفهم إن درس بالطريقة المناسبة ، و أعدك بكثير من الإثارة و الإيجابية في رحلتك القادمة إن عزمت على المضي قدماً في طريقها ..



٢

بِعْرَبِيَّةٍ فَكِيرَنَا لِبِرُوس

( شِرْطَ بِرُوسِيَّةٍ )



= أنت بالفعل جراح ماهر يا صديقي .. لقد كانت عملية  
المرارة لزوجتي ناجحة بامتياز ..  
= أشكرك ..

= كنت سأقول أنك أفضل جراح بالتاريخ .. لكن  
باعتبار أن الجراحة علم حديث فسأقول أنك أفضل  
جراح في العصر الحالي ..



= و من قال لك أن الجراحة حديثة العهد .. الجراحة  
موجودة منذآلاف السنين ..

= لا يمكن لهذا أن يكون صحيحاً !!  
= بل هو كذلك .. فقد اكتشف العلماء آثار تعود لقرون  
عدة خلت تصف إجراء الحضارات القديمة للعمليات  
الجراحية ..

= هل لي بمثال ؟  
= بالطبع ، مثلاً **بردية إدوين سميث الفرعونية** التي

تعود لعام **1600** قبل الميلاد ، و هي وثيقة جراحية مصرية قديمة، تُظهر معرفة بتشخيص إصابات الرأس والعمود الفقري والكسور .. و تذكر أعراضًا مثل الشلل ، كما تفرق بين الحالات القابلة للعلاج والتي لا أمل فيها .. و هذا يقارب منهج الطب الحديث المبني على الملاحظة السريرية.



= مذهل !!

= أجل ..

ضحك الصديق ..

= إذن يمكنني القول الآن بثقة أنك أفضل جراح في التاريخ يا صديقي ..

\*\*\*\*\*

سبق لنا و أن قاربنا حتى الآن أربع مغالطات طبية، و الآن سنضيف إليها مغالطة جديدة تتناول فكرة مغلوطة شائعة بين كثير من الناس ، أنّ الطب علم حديث لا يتجاوز عمره بضعة عقود ، و أنه كان في العصور القديمة مجرد علم بدائي معتمد بشكل أساسي على الخرافات و البدع ..

و هذا ما سنحاول تصويبه سوياً خلال الصفحات التالية ، حيث سنقارب بدقة أكثر هذه الفكرة الشائعة طمعاً في إجابات مرضية ، و ذلك بتحليل النقاط الثلاثة التالية :

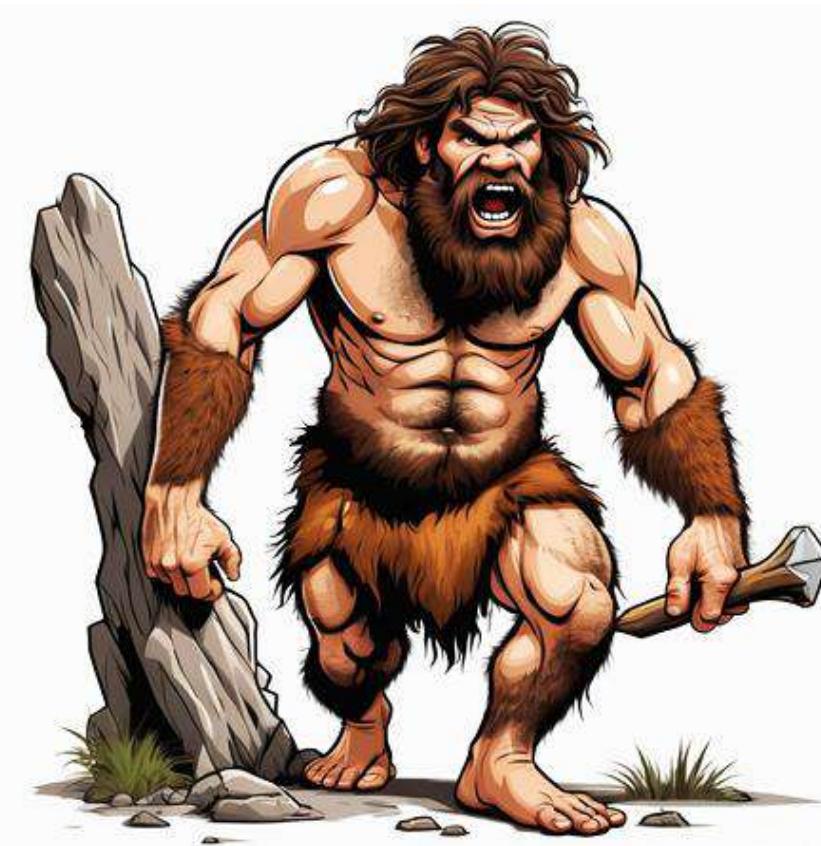
- ① تاريخ الطب عبر العصور ..
- ② شواهد على تطور الطب في الماضي ..
- ③ آفاق الطب المستقبلية ..

فهيا بنا عزيزي القارئ نجري صورة بأشعة X للتاريخ الطبي كي تذوب قشرته الخارجية و يظهر جوهره جلياً

### أولاً ، تاريخ تطور الطب عبر العصور :

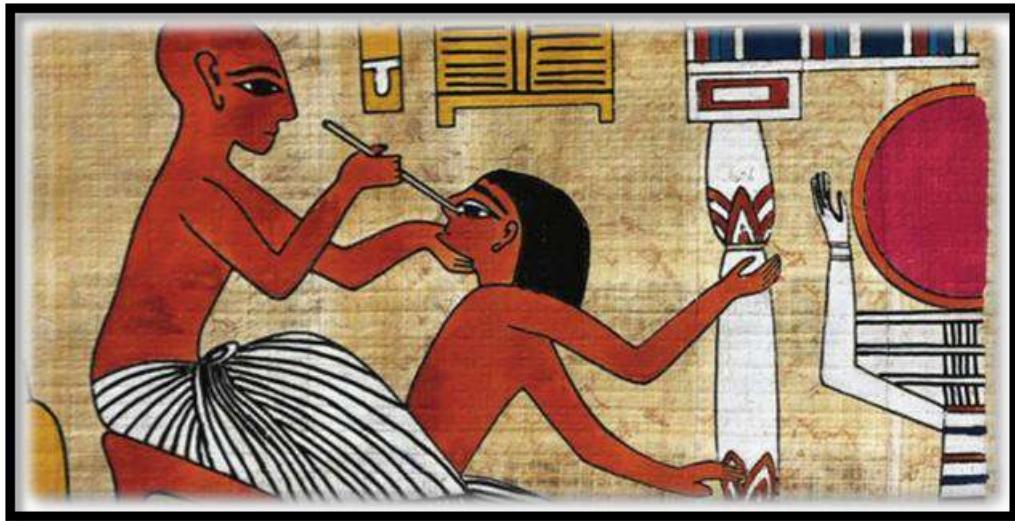
منذ فجر الإنسان، حين كان يختبئ من زمرة الوحش في كهوفٍ غابرة، كان المرض رفيقاً خفيّاً يزوره من حيث لا يدرى. ارتعشت قلوب الأجداد أمام الحمى التي تحرق الجسد، وأمام الجروح التي لا تندمل، فمذوا أيديهم إلى الطبيعة : ورقٌ يُمضغ، جذورٌ تُسحق،

وأحجار تُضغط على الرأس لعل الألم يزول. في تلك العتمة الحجرية، كان الطب وليداً، يرضع من صدر الغريزة والتجربة، يخطو خطواته الأولى بين الأعشاب والدخان وأهازيج السحرة.



ثم جاءت الحضارات الكبرى، فصار الطب علماً إلى جانب كونه فناً. في وادي النيل، حيث يشق النهر طريقه بين الرمال، دون المصريون على البرديات أسرارهم : وصفات للعين، تعاویذ للحب، وتعليمات دقيقة لجراحاتٍ تمسّ العظام والدماغ. هناك، في برديّة إدوين سميث، نشهد عقلاً يحلّ كسور العمود الفقري ويصف علامات الشلل بوعي يكاد يلمس الطب الحديث. لم يكن الفرعون وحده من ينشد الشفاء، بل حتى الفلاح البسيط كان يلجأ

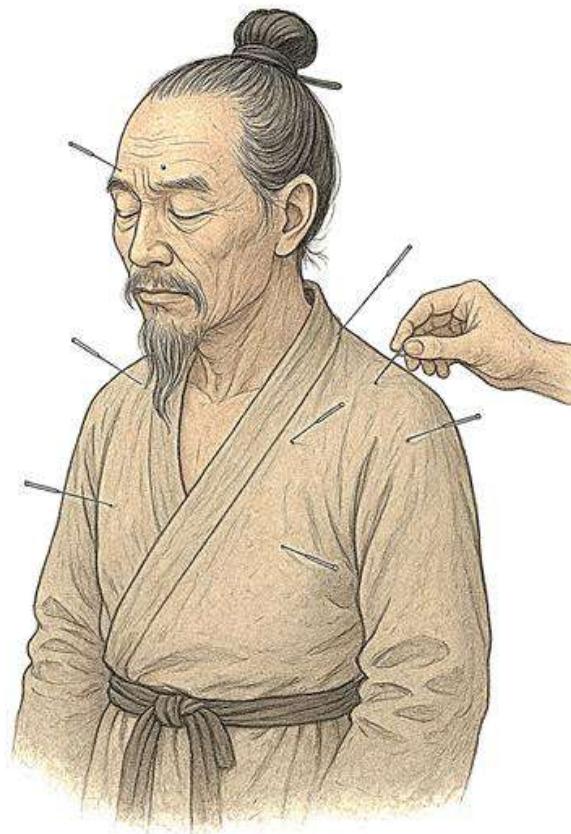
إلى كاهن- طبيب يعرف كيف يمزج بين الدعاء والمعونة.



وفي بلاد الرافدين، خطّ السومريون والبابليون ألواحاً طينية تسرد أمراض الكبد والعيون، وترتبط بين النجوم في السماء وأوجاع الجسم. أما الإغريق، فقد أزاحوا الغطاء عن الطب من عباءة السحر، وأجلسوه على عرش العقل. كان أبقراط ، أبو الطب ، يرى المرض خللاً في توازن الأخلال الأربعة، ويعالج بالحمية والرياضة والراحة. هناك بدأت ملامح الطب الوقائي، الذي ما زال جوهراً في فلسفة العلاج.

وفي الهند البعيدة، كتب سوشروتا ملحمة الطب الآيورفدي، فوصف مئات العمليات وأدوات جراحية بدائية لكنها بد菊花ة، وأجرى أولى محاولات ترقيع الجلد. أما الصين، فقد خطّ طريقاً آخر؛ مسارات خفية للطاقة الحيوية، وإبرٌ صغيرة كأنها همسات على الجسم، تكبح

الألم وتعيد الانسجام.



وجاءت العصور الوسطى، حين غطى الظلام أوروبا، لكن مشاعل الشرق كانت مضاءة. في بغداد ودمشق والقاهرة، ولدت **البيمارستانات**، أولى المستشفيات الحقيقة في التاريخ، حيث وضع المرضى في أجنحة متخصصة، وسُجّلت حالاتهم بدقة. هناك لمع اسم **الرازي** ، الذي ميّز بين الجدري والحسبة، وابن سينا الذي كتب ( القانون في الطب ) ، موسوعةً عبرت إلى اللاتين فشكّلت عصب الطب الأوروبي لقرون. وال**الزهراوي**، الذي رسم بخط اليد صوراً للأدوات الجراحية وأبدع في علم الجراحة حتى صار مرجعاً لا غنى عنه .. أما أوروبا ساعتها فكانت في ركود علمي

تواجه الطاعون الأسود اللعين بلا حول أو قوة ..

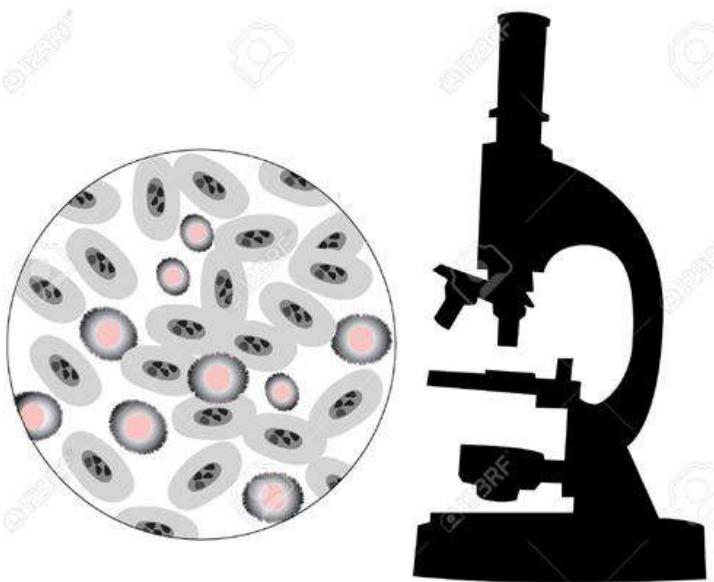


ومع عصر النهضة، انقشعـت الغشاوة. أزاحتـت مشرحة **فيزيوس** ستارـ الغموض عن الجـسـد البـشـري، فـانـكـشـفـ ما كانـ خـافـيـا من عـظـامـ وـأـعـصـابـ وـأـوـعـيةـ.



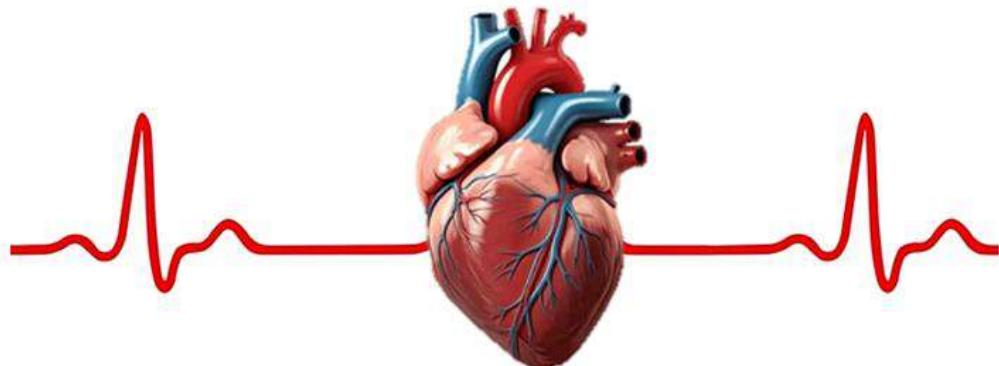
ثم أتى **هارفي** ليكشف الدورة الدموية، فيوضع أساساً جديداً لفهم الحياة. وفي القرون اللاحقة، حملت المختبرات روائح الكحول والمعادن، وبدأت الكيمياء تتزاوج مع الطب، فولدت الصيدلة العلمية.

القرن التاسع عشر كان زمن الانتصارات العظمى : **باستور** حارب الجراثيم وأثبت أن المرض كائنات دقيقة لا لعنات سماوية، و **ليستر** غسل يديه بالمطهرات فأنقذ آلاف الأرواح من تعفن الجروح. تفتحت أبواب المستشفيات على عالم جديد من الجراحة المعقمة، والتخدير الذي حول الألم إلى صمت.



و في القرن العشرين، أطلّت المعجزة : **البنسلين**، أول مضاد حيوي، يفتح عهداً جديداً في مكافحة العدو. ومعه تطورت اللقاحات، وزرعت الأعضاء، واخترعت أجهزة التصوير التي ترسم ما في داخلنا كما لو كان كتاباً مفتوحاً. صار الأطباء لا يسمعون فقط نبض

القلب، بل يرون صوته في رسم كهربائي، ويتابعون خفقات المخ في موجات مضيئة.



واليوم، في القرن الحادي والعشرين، يقف الطب على اعتاب آفاق لم يعرفها الحلم من قبل ، إذ لم يعد الجسد كتاباً مغلقاً، بل صار مخطوطاً يحرر ويعاد صياغته. ومع ذلك، يظل الطبيب - كما كان منذ فجر التاريخ - إنساناً ينصلت لألم إنسان آخر، ويبحث عن شفاء يجمع بين العلم والرحمة.

### ثانياً، شواهد على تطور الطب في الماضي :

هناك العديد من الاكتشافات التي أثبتت أن الطب في الحضارات القديمة كان متطوراً أكثر بكثير مما يعتقد أغلب الناس ، لدينا مثلاً :

✿ **بردية إبرس** التي تعود لعام 1550 ق.م تقريباً .. أطول بردية طبية مصرية ( 20 متر تقريباً ) .. وتحتوي على مئات الوصفات لعلاج أمراض القلب والجهاز الهضمي والسكري والطفيليات .. و هناك

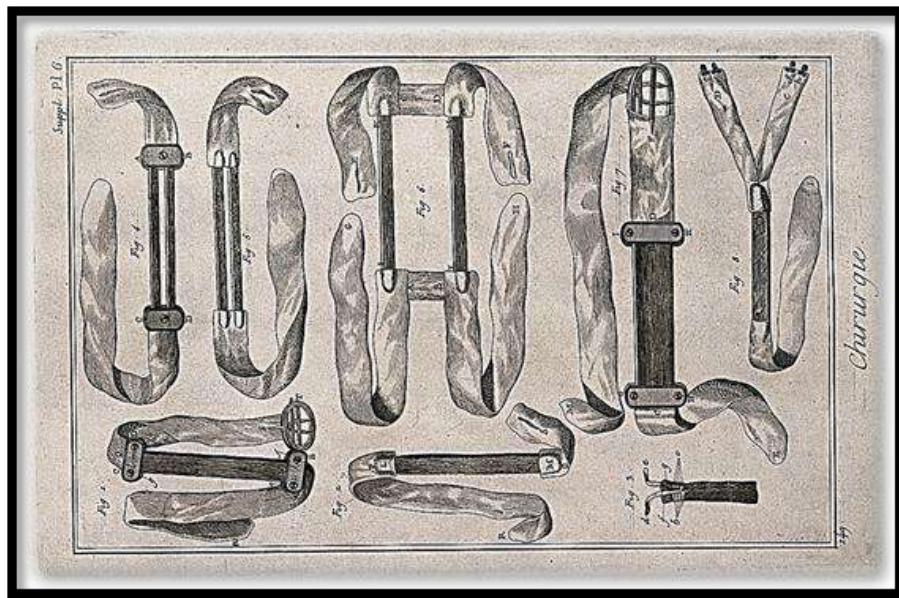
أيضاً إشارات دقيقة إلى أوعية دموية وارتباطها بالقلب،  
أشبه بمفهوم الدورة الدموية.



❖ **الجراحة الدماغية في بيرو القديمة** : عُثر على جماجم في حضارات الأنديز ( البيرو و بوليفيا ) بها ثقوب في الجمجمة و عليها علامات شفاء .. و كانت نسبة البقاء بعد هذه العمليات عالية جداً ( حتى 70% في بعض الدراسات الأثرية ).



✿ **الأدوات الجراحية الرومانية** : اكتشفت في بومبي وهيركولانيوم (إيطاليا) أدوات جراحية من البرونز والحديد تشبه الأدوات الحديثة : مشرط، ملقط، قسطرة. وهذا يدل على ممارسة متقدمة للطب الجراحي.



✿ **الأسنان الصناعية المصرية** : في مقابر مصرية قديمة، وُجدت جسور أسنان بدائية مصنوعة من ذهب وأسلاك لثنيتها. هذا يثبت وجود شكل من أشكال طب الأسنان التعويضي.



✿ **الطب الهندي القديم** : نجد ( آيورفيدا – سوشروتا سامهينا ) و هو نص هندي قديم ( حوالي 600 ق.م ) يصف أكثر من 300 عملية جراحية و 120 أداة طبية .. الطبيب سوشروتا يوصي أحياناً بأبو الجراحة ، وقد وثق عمليات ترقيع الجلد ( جراحة تجميلية ).

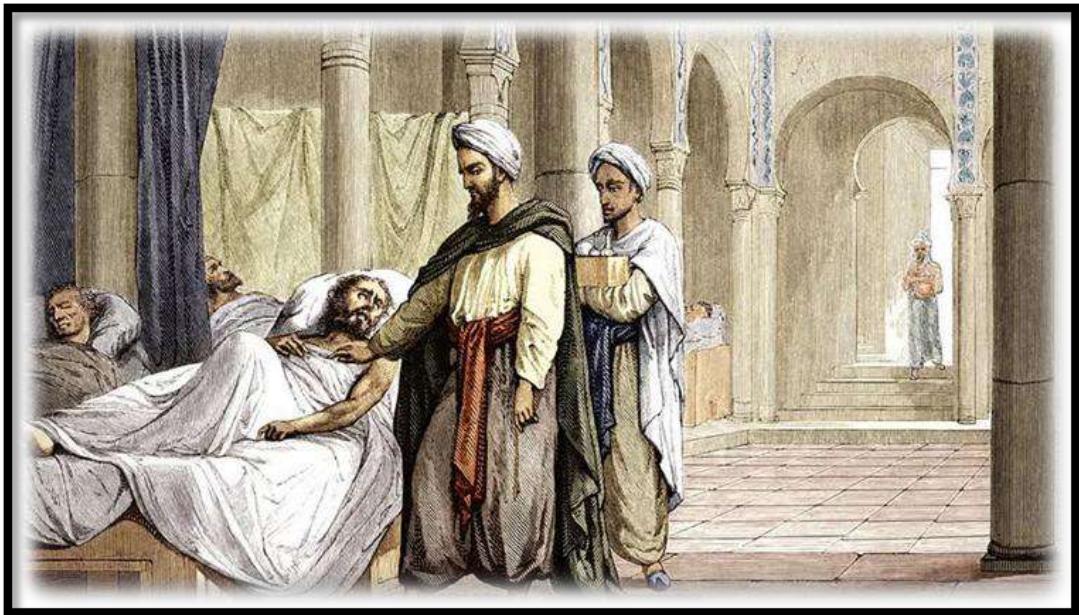
✿ **الطب الصيني القديم – الوخز بالإبر**: استخدمت إبرأ حجرية و عظمية تعود لأكثر من 2000 سنة. النصوص مثل هوانغ دي ني جينغ تشرح نظاماً متكاملاً للعلاج بالوخز بالإبر والأعشاب.

✿ **الطب الوقائي في اليونان القديمة** : أبقراط ( أبو الطب ) دعا إلى نظام غذائي صحي، ممارسة الرياضة، و توازن بين البدن والروح .. نصوصه توضح أن الأطباء كانوا يدركون أن الوقاية خير من العلاج، وهو مبدأ أساسي في الطب الحديث ..



✿ **النظافة والتعقيم في الحضارة الإسلامية** : العلماء مثل الزهراوي (أبو القاسم) وصفوا طرق تعقيم الأدوات الجراحية واستخدام الكحول والخل كمطهرات. كما ابتكروا أدوات جراحية متخصصة ما زالت تُستخدم بشكل مشابهاليوم.

✿ **المستشفيات المنظمة (بيمارستانات)** : في العصر العباسي و الفاطمي، كانت هناك مستشفيات عامة (بيمارستانات) تقدم علاجًا مجانيًا، فيها أجنحة متخصصة وأطباء مقيمون وسجلات للمرضى .. و هذا سبق المستشفيات الحديثة الأوروبية بقرون.



### ثالثاً، آفاق الطب المستقبلية :

في الأفق البعيد، يلوح زمانٌ لم يعد فيه الطب مجرد علاج للداء، بل فنٌ لإعادة صياغة الحياة نفسها. سيكون الجسد كتابًا مفتوحًا، تقرأ جيناته كما تقرأ الأسفار،

وتصحّح أخطاؤه كما يُصلح بيت من الشعر. لن يكون الطبيب مقيداً بالشرط والدواء فحسب، بل سيمتلك مفاتيح الخلايا، يعيد برمجتها لتولد من جديد، فتمحو الشيخوخة كما يمحى الغبار عن مرآة قديمة.

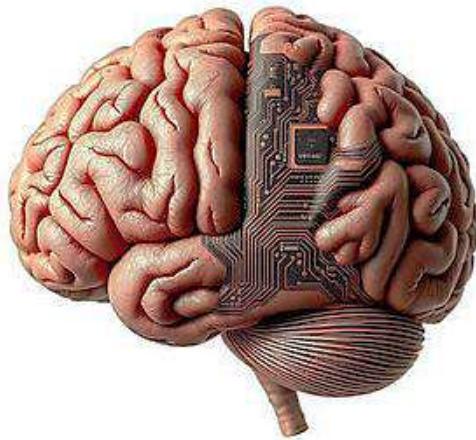
في ذلك المستقبل، لن يقتصر العلاج على إصلاح ما فسد، بل سيمتد إلى ما لم يوجد بعد : قلوب تزرع بلا خوف من الرفض، عيون ثبتت من الضوء، وأطراف تتحرك بإرادة أعصابٍ مزروعة. ستصبح الروبوتات الجراحية رفيقةً ثابتة في غرف العمليات، تلمس أنسجة الإنسان بدقةٍ تفوق ارتجاف أصابع البشر. وسيجلس الذكاء الاصطناعي إلى جوار الطبيب، يحلّ ملايين البيانات في لحظة، فيكشف الداء قبل أن يبوح بأعراضه.



أما الأدوية، فلن تكون أقراصاً تُبتلع أو إبرًا تُغرز، بل

جزئيات دقيقة كالنجوم، تناسب في الدم لتبث عن الخلية المريضة وتداويها وحدتها، تاركة الجسد في نقاءه.

وربما تزرع في أدمغتنا شرائح ذكية، تراقب نبض القلب وأنفاس الرئة، فترسل إشارات استباقية قبل أن يطرق الخطر الباب .. و هذا ما يعلم إيلون ماسك عليه بالفعل منذ الآن ..



سيكون الطب آنذاك لغة حياة جديدة، يتجاوز حدود الألم والزمان. وربما، في لحظةٍ ما، يصبح السؤال ليس : (كيف نُشفى ؟ ) بل : ( كيف نُعيد تعريف معنى أن تكون أحياء ؟ )

\*\*\*\*\*

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الطبية الجديدة ( بردية فيزاليوس ) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :  
= الطب علم حديث العهد لا يزال يحبو على دروب

التطور ..

بل أن نقول :

= الطب موضوع حساس منذ قديم الزمان ، حظي باهتمام و تفكير البشر بقوة ، فالصحة لا تقدر بثمن ، لذا لا عجب أن نجد في اكتشافاتنا الأثرية شواهد تؤكد أنهم بلغوا من العلوم الطبية مبلغًا لا يستهان به .. بل لعلهم امتلكوا وصفات و أساليب أكثر نجاعة مما نمتلكه الآن لكنها اندثرت مع اندثار الحضارات !!

من الكهوف الحجرية حيث اكتشف الإنسان الأعشاب والحرارة، بدأ الطب رحلةً بين الغموض والمعرفة، ينسجها أجدادنا بحذر ودهشة.

في وادي النيل وبلاد الرافدين، دون الأطباء القدماء وصفات وعلاجات تشبه أساليبنا الحديثة، وجعلوا الجسد كتاباً يقرأ بعقل وفن.

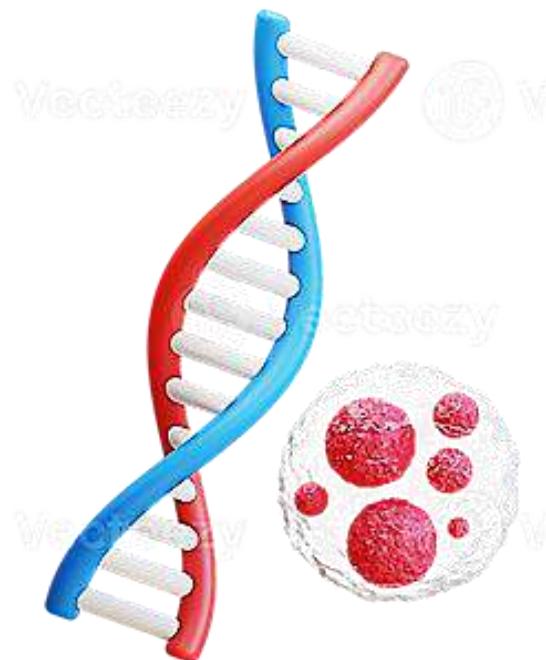
الإغريق والهنود والصينيون أضافوا أبعاداً جديدة، من التوازن والوقاية إلى الجراحة الدقيقة والوخز بالإبر، فأصبح الطب علمًا وفلسفةً معاً.

العصور الوسطى و بيمارستاناتها كانت صرحاً للرحمة والعلم، حيث وضع المريض في قلب المعرفة الإنسانية. ثم أطلت النهضة والعصر الحديث، فزرعت المختبرات والمستشفيات بالإبداع، و ولد التخدير، و المضادات

الحيوية، و التصوير الطبي، لتفتح أبواب الجسد على مصراعها.

واليوم، يرقب الطب المستقبل بعينين متقدتين : الجينات ، الخلايا الجذعية، الروبوتات الجراحية، والذكاء الاصطناعي، ليعيد كتابة حدود الحياة والشفاء.

من الماضي إلى المستقبل، يظل الطب حكاية الإنسان الذي لا يكلّ من البحث عن الصحة، الشفاء، والرحمة، في رحلة بلا بداية معروفة و لا نهاية متوقعة ..



# **الطب بنكهة أدبية ...**

## محتوى الكتاب :

- ارتفاع ضغط الدم ( القاتل الصامت )
- الداء السكري ( السم بالعسل )
- القصور الكلوي ( المصفاة لا تعمل )
- أمراض الجهاز التناسلي الذكري ( ميراث السنين )
- أمراض الجهاز الهضمي ( ما يدخل إليك .. يظهر عليك )
- أمراض القلب ( عطل في المضخة )
- أمراض الجهاز التنفسي ( ما بين شهيق و زفير )
- أمراض الغدد الصماء ( أصمّ يسمع كل شيء )
- أمراض الجهاز التناسلي الأنثوي ( الوردة و الأشواك )
- أمراض الجهاز العصبي ( روق أعصابك )
- أمراض الجهاز الحركي ( بحث مفصلي )
- أمراض العين و الأذن و الجلد ( فوضى الحواس )
- أمراض الأطفال ( رسوم متحركة )
- التوليد ( يصوركم في الأرحام كيف يشاء )
- أمراض الجراحة ( المبضع مفتاح الأسرار )
- أمراض نفسية ( صرخة روح )
  - ❖ ملحق ( مغالطات طبية )
  - = السرطان ( تيلوميراز )
  - = الوجه الآخر للطب ( إغماء ستندال )
  - = ترويض النفس ( فرويد الخيال )
  - = بيکاسو الأمراض ( الطب بالألوان )
  - = شخص مريض بنفسك ( من العرض تعرف المرض )
  - = بردية فيزاليوس ( مشرط حجري )

